

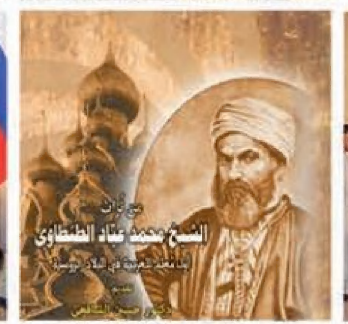
صفحات من تاريخ العلاقات المصرية الروسية

70 عاماً علاقات دبلوماسية









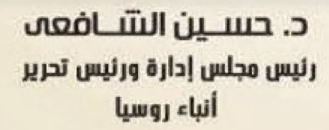




د. حسين الشافعى

رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير

أنباء روسيا



دار نشر





صفحات من تاريخ العلاقات المصرية الروسية

70 عاماً علاقات دبلوماسية
















د. حسين الشافعى

رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير

أنباء روسيا

دار نشر



الناشر



رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. حسين الشافعي
h.elshafie57@mail.ru

المراسلات
القاهرة - مدينة العبور
44971 مكتب بريد جمعية أحمد عرابي
ص. ب. 72

Tel. & Fax: + (202) 24 77 38 70 & 71
E-mail: secertary_ert@yahoo.com

شارك في الإعداد
عبد الله فهيم السعدنى

التصحيح والمراجعة
حامد أحمد محمد

الإخراج الفني
أمير يوسف أحمد

تحرير
شيماء محمد شعبان
ولاء عماد قاسم
شريف محمد جمال

الطباعة
دار الطباعة المتميزة
مدينة العبور - القاهرة
Tel. & Fax: + (202) 4478 96 44 & 46

الطبعة الأولى
2013

رقم الإيداع
2013 / 10094



يتقدم الدكتور حسين الشافعى بالشكر والتقدير لوزارة الخارجية الروسية لما أتاحته من وثائق تاريخية حول العلاقات المشتركة ، وكذا لإدارة السلك الدبلوماسى والقنصلى بالخارجية المصرية لما قدمته من معلومات في هذا الإطار.
وقد كان لمشاركتهما الفضل الأكبر فى إعداد مواد هذا الكتاب.



Страницы из истории египетских - российско отношений

Посвящен 70-летию установления дипломатических отношений

д-р Хуссейн Эль-Шафи
Главный редактор изд-ва
«Российские новости»



تقــديم ..



بقلم
سيرجي كيربيتشينكو
سفير روسيا الإتحادية بالقاهرة

تحتفـل بلدينـا - روسـيا الاتحادية وجمهوريـة مصر العربيـة - هذا العـام بالذكرى السـبعون لإقامـة العلاقـات الدبلوماسـية على مسـتوى السـفراء بينهمـا في 1943 ، وهي مناسبة عزيزة علينا ، تدعونا للتأمل والدراسة وأخذ العِبر للاستفادة منها في تطوير هذه العلاقات في كافة المجالات بما يخدم مصالح شعبينا .

الكثـيرون يتفقون في أن التعاون الروسـي المصري على مدى عقوده السـبعة الماضية شهد طفرات ضخمة في الستينات والسبعينات من القرن الفائت ، ساهمت خلالها روسيا في إرساء قواعد قلاع صناعية عملاقة بمصر ما زالت شاهداً على عمق ومتانة هذه الصداقة: الرمز الأكبر السـد العالى ومجمعات الحديد والصلب والالومنيوم وغيرها . هذا إلى جانب مساهمة ضخمة في إعادة هيكلة القوات المسلحة المصرية التي حققت معاركها المجيدة في 1973 وأعادت كامل أرضها المحتلة للوطن .

لقد سـاهم العلماء والخبراء والمهندسـون والعسـكريون الروس طوال هذه المسيرة جنباً إلى جنـب مـع أقرانهم المصرين ، وإختلطت دمائهم ، وحفروا في ذاكرة شـعبيهما الروسـي والمصري عُرى صداقة لا تنفصم .

وبمناسـبة الذكرى السبعون لإقامة العلاقات الدبلوماسـية المصرية الروسـية ، فقد

قام الدكتور حسين الشافعي ، بجهد حثيث - و لشهور طويلة - عمل خلالها على إعداد هذا الكتاب التأريخى لبعض صفحات من تاريخ العلاقات المصرية الروسية ، تطرق إلى صفحات ضاربة في القِدم منذ القرن السادس عشر ، ووصل بنا - مع مساعديه المحررين لرسم معالم الطريق لتطوير هذه العلاقات لما يخدم مصالح شعبينا .

على مدى هذا التاريخ ، كان الموقف المبدئى للاتحاد السوفيتي ، ولروسيا هو الوقوف بجانب الشعوب العربية خلال مراحل كفاحها لنيل إستقلالها ، ومن ثمَ لبناء قواعدها الصناعية ، ودعمها لتحرير الأرض .

الآن .. ونحن نشهد أحداث " الربيع العربي " ، والذي إجتاحت رياح التغيير فيه بلدانٍ عربية عديدة - ومن بينهما مصر - مازال موقفنا المبدئى لم يتغير ، وأظنه لن يتغير أبداً - وهو الحق المطلق للشعوب في تقرير مصائرها ، دونما تدخلات من دول أجنبية لفرض سيطرتها ، أو دعم أنصارها . ولعل أحداث الغزو العراقي ، والمذابح السورية خير دليل على صحة مواقفنا ، ومبدئيتها .

لقد شارك في تقييم العلاقات المصرية - الروسية كُتابٌ روسٌ ومصريين ، منهم : "فلاديمير بولياكوف"، و "جينادي جارياتشكين" و "صبري الدالي" و "نورهان الشيخ" إضافة إلى دراسات "صبري الدالي" و "أحمد الخميسي" ، وهو ما أثرى مادة الكتاب ، وإرتقى به ليعد كتاباً هاماً تسجيلاً لهذه العلاقات الهامة .

العلاقات بين روسيا ومصر علاقات تاريخية إمتزج فيها البشر والأعمال تُظللهم روح الصداقة والتعاون ، وهذا الكتاب شاهدٌ من خلال صفحاته المضيئة في تاريخ علاقاتنا - من بين شواهد كثيرة - على ذلك .

فإلى صفحات من تاريخ علاقاتنا التاريخية .



70 عاماً على العلاقات المصرية الروسية

مسيرة الدم والبناء



بقلم
محمود الديب
سفير جمهورية مصر العربية بموسكو

عندما أمسكت القلم لكتابة تلك السطور استجابة للدعوة الكريمة من د. حسين الشافعي فكرت كثيراً في نقطتي البداية والخاتمة لاستعراض مسيرة العلاقات المصرية الروسية التي تحتفل بعيدها السبعين هذا العام.

إذا كيف يتسنى لي أن أختزل مسيرة العلاقات بقضها وقضيضها في صفحة أو صفحتين ؟!!... هل أكتب أولاً عن الدماء التي إمتزجت وسالت معاً في أعقاب حرب 1967 عندما هب الاتحاد السوفيتي لمساعدة مصر على إستعادة أرضها وكرامتها ، فلقى عشرات من الخبراء الروس مع أخوانهم المصريين حتفهم ، بنيران اسرائيلية وهم يؤدون دورهم التاريخي في المساهمة في إعادة بناء الجيش المصري ؟ . أم أبرز مسيرة البناء والتعمير لا سيما خلال عقدي الخمسينات والستينات التي توجت بالمساعدة السوفيتية في بناء السد العالي الذي احدث نقلة نوعية في مسيرة التطوير والتحديث بمصر ..؟ أم أن الأجدى أن أتحدث عن المشاعر الفياضة الدافقة بين الشعبين ، فالمصريون يعشقون الروس ويفضلوهم على غيرهم وينبهرون بأدابهم وثقافاتهم .. ، وكذلك فإن الروس يجدون مقصدهم في الدفء والاسترخاء في أراضي المحروسة وشواطئها ؟! فلا غرو أن حدت روسيا هي المورد الأول للسياح لمصر بما يناهز الثلاثة ملايين سائح سنوياً .

أن مـا سـبق وأكثـر منه بكثير لهو مجرد سـرد مبسـط لمحطات فى مسـيرة العلاقات المصريـة الروسـية .. ، ولكـم كان جميـلا ومبشـراً أن تتواكب الذكرى السـبعين مع دخـول تلك العلاقات المثمرة دائمـاً ودوماً مرحلة جديـدة توجت بزيارة السـيد الرئيس د. محمد مرسـى لروسـيا فى أبريل الماضى ، ليدشن خلالها الرئيسـان مرسى وبوتين انطلاقة جديـدة إلى أفاق أرحب لتنمية العلاقات الثنائية فـى مناحيها المختلفة .. ، وليعيدوا هذه العلاقات إلى عهدها الذهبى السابق .

أن مصر ما بعد 25 يناير لهى تواقه يحدوها الأمل فى إسـتعادة زخم العلاقات المصرية الروسـية لإعادتها إلى مجدها القديم ... ولسـوف نخطوا معاً خطوات سـريعة واثقة على طريق التعاون الاقتصادى .. لخير الشـعبين ... ولن يقتصر تعاوننا على مناحى سياسـية او غيرها ، بل أن رؤانا شـاملة .. وعزمنا وطيد وإرادتنا صادقة ... لتعميق التعاون بشتى صوره ومناحيه .. أن مصر وروسيا صديقان يواصلان السير معاً على طريق جديد .. قديم



70 عاماً علاقات دبلوماسية ..

لمحة من تاريخ العلاقات المصرية - الروسية

بقلم
د. حسين الشافعى
رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير
أنباء روسيا

في إطار الإحتفاليات ـ في مصر وروسيا على السواء ـ بذكرى مرور 70 عاماً على بدء العلاقات الدبلوماسية (على مستوى السفراء) في 1943 بين البلدين ، يصدر هذا الكتاب متوقفاً على أهم محطات مسيرة هذه العلاقات .

إذا كانت هذه العلاقات الدبلوماسية قد تم تفعيلها فى عام 1943 أيام اتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية - والمملكة المصرية حيث صَدَّق " ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور " فاروق الأول فى 27 ديسمبر 1943 على تعيين صاحب العزة محمد كامل عبد الرحيم أول سفير لمصر بالعاصمة السوفيتية - آنذاك - موسكو ، بعد أن سبق وعينت موسكو نيكولاى نوفيكوف أول سفير لها بالقاهرة فى نوفمبر من العام نفسه ، فإن القليلون يعلمون أن عام 1943 لم يكن بداية العلاقات الدبلوماسية إذ أنه - وقبل ذلك التاريخ بنحو مائة وستون عاماً - وبالتحديد فى عام 1784 - أصدرت الإمبراطورة الروسية إيكاتيرينا الثانية مرسوماً إمبراطورياً يقضى بتعيين البارون كوندرات فون تونوس (الروسى ـ النمساوى الأصل) كأول قنصل روسى فى مدينة الأسكندرية - وكان عمره آنذاك لم يتعد 35 عاماً .

وكان هذا المرسوم الإمبراطورى بمثابة خطوة سياسية هامة ، إذ كانت روسيا تدعم التطلعات المصرية بالإستقلال عن الإمبراطورية العثمانية .

تم رفع العلم الروسى فوق مبنى القنصلية بالإسكندرية فى حفل كبير فى 27 يوليو 1785 ، وهو الأمر الذى لم يستمر طويلاً لإندلاع الحرب الروسية - التركية ، وهو ما دعا تركيا للضغط على دول إمبراطوريتها لغلق السفارات والقنصليات الروسية بها .. وهو ما كان .

لكن روسيا لم تستسلم - وقد وعت إلى أن هذه الخطوة - لم تكن لتتم إلا بضغط تركى .

آنذاك - وكما تذكر كتب التاريخ - لم تمر أسابيع قليلة حتى عاد البارون تونوس لدمياط - مرة أخرى - ليتوجه منها إلى القاهرة حاملاً رسالة الإمبراطورة الروسية لوجهاء مصر تتعهد فيها بالدعم الروسى العسكرى لهم فى حال إقدامهم على الدفاع عن إستقلالهم .

على مر التاريخ .. ومنذ ذلك الحين .. تنتهج روسيا سياسة واضحة مع الشعوب العربية - ومصر فى طليعتها - تتسم هذه الرسالة بالعلنية ، والقوة : نحن معكم .

كتابنا التذكارى "صفحات من تاريخ العلاقات المصرية - الروسية" جمع مقالات، ودراسات، ورؤى لهذه العلاقات هامة ، منها ما كتب خصيصاً لهذا الحدث اليوبيلى - الذكرى السبعون لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وروسيا - ، ومنها ما كتب فى حينه مثلما الحال فى دراسات عن السد العالى ، وحرب الاستنزاف ، وحرب أكتوبر 1973، وهى بعض من الصفحات الناصعة البياض فى تاريخ العلاقات بين بلدينا .

من الكتاب الروس ، الذين شاركوا فى هذا الإصدار الأديب المعروف فلاديمير بولياكوف بدراسة ترجمها الدكتور أسامة السروى مستشارنا الثقافى المصرى بموسكو - تناول فيها ما جرى من تطورات للعلاقات القنصلية بين مصر والاتحاد السوفيتى فى أعقاب ثورة أكتوبر 1917، والتى أسفرت فى عام 1923 عن قرار الحكومة المصرية بسحب الإعتراف بالبعثات الدبلوماسية والقنصلية الروسية التى تنتمى للعهد القديم فى روسيا كإعتراف - على حد تعبير المندوب السامى البريطانى فى مصر - بحقيقة وجود البلاشفة فى سدة الحكم فى روسيا لسبع سنوات ، لم تظهر فيه العناصر المعادية لهم أية قوة .

يرصد بولياكوف أنه ومع الإعلان عن سحب الإعتراف هذا ، فقد بدأ التراسل بين ممثلى المملكة المصرية وحكومة الاتحاد السوفيتى فى محاولة لتجديد العلاقات الدبلوماسية ، وهو ما لم يمكن الوصول إليه إلا بعد عقدين من الزمان ، وذلك عندما عرج إيفان مايسكى مبعوث الاتحاد السوفيتى فى لندن على القاهرة فى رحلة عودته لموسكو على النحاس باشا رئيس الحكومة ليتفقا على تبادل رسائل تعرب عن رغبة مصر فى إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى إيحاء بقبوله عن طيب خاطر أمر تبادل السفراء .

وهكذا إعتبر 26 أغسطس من عام 1943 يوم تبادل وثائق بين البلدين هو تاريخ بدء العلاقات الدبلوماسية على مستوى السفراء .

وفى الخامس والعشرين من ديسمبر من العام ذاته قدم نيكولاى نوفيكوف أوراق اعتماده للملك فاروق كأول سفير للاتحاد السوفيتى لدى المملكة المصرية .

المؤرخ المعروف جينادى جارياتشكين - أستاذ التاريخ بجامعة موسكو - رصد فى دراسته عن بدء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فيحكى - بقلم المؤرخ - قصة هذه العلاقات منذ قدوم

السفير السوفيتى الأول لدى المملكة المصرية نيكولاى نوفيكوف الذى استمر حتى أواخر العام التالى لبدء عمله ليخلفه الكسى تشيبورين.

"العلاقات المصرية الروسية - شراكة الماضى فى ثوب المستقبل" دراسة للدكتورة نورهان الشيخ أستاذ مساعد العلوم السياسية بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تعود فيها إلى أن العلاقات المصرية الروسية تصل بجذورها إلى القرن السادس عشر عبر أول رحالة روسى فى صحراء سيناء عام 1561، كما كانت روسيا من أقدم القوى الكبرى التى إهتمت بمصر وعينت قنصلاً لها بالأسكندرية عام 1784 حيث اتسمت العلاقات بين البلدين بالود والتعاون وعدم التدخل فى الشئون الداخلية.

دراسة نورهان الشيخ ترصد الدور التنموى الفاعل للإتحاد السوفيتى فى مصر خلال حقبة الخمسينات والستينات، وهو الدور الذى تضمن تشييد عشرات المشروعات الصناعية، تمثل حتى الآن دعائم الإقتصاد المصرى.

الموقف الروسى من ثورة يناير 2011 سجلته دراسة الدكتورة نورهان، وإنعكس فى تصريحات رسمية لميدفيديف - الرئيس الروسى آنذاك : "نأمل بإستئناف العملية الديمقراطية فى مصر بشكل سريع وكامل عبر الانتخابات" أو ما صرح به سيرجى لافروف وزير الخارجية الروسية: "إننا لا نعتبر من المفيد فرض "وصفات" وإنذارات من الخارج على السلطة والشعب المصريين، فالسياسيون والشعب هم الأدرى بحل مشاكلهم".

كتاب "صفحات من تاريخ العلاقات المصرية الروسية" يتوقف أمام كتابين هامين، شغلا مكانة متميزة فى قائمة الكتب التى تعكس منذ زمن الاهتمام المصرى بروسيا:

الكتاب الأول : هو كتاب "الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر" الذى كتبه بالفرنسية الفيلسوف الفرنسى الشهير فولتير ، وترجمه للعربية أحمد أفندى عبيد عام 1266 هجرية بناء على طلب الوالى محمد على الكبير. ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه جمع بين شخصيات ثلاث محورية هى ثلاثى التحديث والتنوير : فولتير ومحمد على وبطرس الأكبر. وإذ يرصد الكتاب بجلاء أعمال التحديث الضخم الذى شمل مناحى الحياة فى روسيا الامبراطورية خلال فترة حكم بطرس الأكبر.. لايكاد يخالجك الشك فى أن تجربة بطرس الأكبر هذه هى بالضبط ما تم إستنساخه فى تجربة التحديث فى عصر محمد على باشا.

الكتاب - وللمرة الأولى - منذ صدوره منذ أكثر من 170 عاماً أعادت دار الكتب والوثائق القومية، فى إطار مشاركتها فى احتفاليات الذكرى 70 لإقامة العلاقات الدبلوماسية المصرية - الروسية، أعادت طباعته وخرج للنور مؤخراً، حيث قدم له الدكتور حسين الشافعى، وحققه الدكتور صبرى الدالى مدير مركز تاريخ مصر المعاصر بدار الكتب.

الكتاب الثانى : هو كتاب عن الشيخ محمد عياد الطنطاوى (1810 - 1861 م) والذى كان أول مُعلم للعربية بالامبراطورية الروسية خلال الفترة من (1840 - 1861)، حيث قضى جل حياته هناك ، ومات ودفن بمدافن التتار المسلمين بمدينة سانت بطرسبورج.

الشيخ المعمم محمد عياد الطنطاوى لم يكن مجرد مُعلم للعربية، بل كان عالماً حقاً، وزخرت

حياته بكم ضخم من المخطوطات كتبها خلال سنوات عمله بسانت بطرسبورج منها كتاب " تحفة الأذكياء فى أخبار بلاد روسيا" ، " أحسن النخب فى لسان العرب " وغيرها كثير .

أصدرت دار نشر " أنباء روسيا " أول كتاب يصدر بمصر عن الشيخ محمد عياد الطنطاوى باسم " من تراث أول معلم للعربية بالامبراطورية الروسية - هذا العام .

حوى كتاب " من تراث الشيخ " النص الكامل لكتاب الشيخ محمد عياد الطنطاوى " تحفة الأذكياء فى وصف بلاد روسيا " وجزءاً من كتاب " أحسن النخب فى لسان العرب " ، كما حوى عرضاً لحياة الشيخ ، ورصداً لما كتب عنه، وما كتبه الشيخ من مخطوطات .

عكفتُ شخصياً - وعلى مدى سنوات طوال - على أمر جمع تراث هذا الشيخ الجليل، وبحكم علاقتى الدراسية بمدينة سانت بطرسبورج ، والتى أنهى الشيخ بها حياته ، ودرست بها للدكتوراه ، توليت أمر رعاية مشروع لجمع تراث ومخطوطات الشيخ ، وهانحن نرحب بتقديمها هدية- وقيمتها التاريخية والثقافية والأدبية كبيرة- إلى كل مهتم بتراثنا الثقافى والأدبى ، ودعوة لكل الباحثين للعمل على مد جسور التواصل الثقافى بين بلدينا .. وهى جسور لها من التاريخ خير مدد .

الدكتور محمد صبرى الدالى أستاذ التاريخ بجامعة حلوان يصحبنا فى دراسته التاريخية "رؤية الآخر فى أدب الرحلة" مستعرضاً نشاطات الحركة الثقافية والأدبية أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وذلك من خلال دراسته لعدة أعمال فى الأدب والرحلة ، منها " الأثر النفيس فى تاريخ بطرس الأكبر" ، لمؤلفه وهبى بك مدير مدرسة الأقباط الكبرى وناظر مدرسة الأقباط والتى صدرت عن مطبعة بولاق الأميرية عام 1904 ، وقد ألحق وهبى بك بكتابه رؤيته التى سماها "خلاصة تاريخ الروس بعد وفاة بطرس الأكبر" .

كذا يصحبنا الدكتور الدالى فى قراءة للرحلة التى قام بها رجل القضاء " رشاد بك " إلى الآخر " الروسى " ، والذى بدأها بعبارة استفهامية استنكارية مهمة حين يقول :

هل آتاك حديث روسيا وقريمها ؟

أهذه بلاد تستحق أن يُرحل إليها ؟

وماذا بها من المشوقات والمرغبات حتى يتجشم المرء من أجلها عناء السفر ويقطع البعيد من المسافات .

وفى إطار إجاباته عن هذه الأسئلة ، دافع القاضى "رشاد بك" عن روسيا وحضارتها ووضعها حيث يقول " أجل .. إن بلاد القياصرة جديرة بأن تشد إليها الرحال . ويسرد المؤلف ما يراه من أن روسيا دولة وحكومة وشعباً تعد نموذجاً من النماذج الطيبة وإن خالفه فى ذلك البعض . كذا تتطرق الدراسة إلى لما تعرض له الشيخ على أحمد الجرجاوى فى كتابه " الرحلة اليابانية " بشكل غير مباشر لصورة روسيا .

الرسالتين الشهيرتين المتبادلتين بين شيخنا الإمام محمد عبده والمفكر الروسى تولستوى بين متن كتابنا . يذكر الشيخ محمد عبده لتولستوى أن نور أفكاره قد أشرقت علينا ، ويرد عليه

تولستوى فى رسالته بأن المعتقدات مختلفة .. لكن الدين واحد ، لكن تشبع الأديان بالعقائد المتحجرة والأوامر والأعاجيب والخرافات يزيد من تفريقها للناس ، بل وحتى فى توليدها العداء بينهم ، بل - وعلى العكس - فكلما تزداد بساطة ونقاوة ، تصبح أقرب إلى بلوغ الهدف الأمثل للبشرية .

الملف التالى الذى يحويه كتابنا "صفحات من تاريخ العلاقات" يضم فى طياته عدداً من الأضابير الهامة التي تم إستخراجها من أرشيف وزارة الخارجية فى روسيا الاتحادية :

الإضبارة الأولى : تحكى أول قصص فى التعاون العلمى ما بين مصر فى عهد محمد على باشا والامبراطورية الروسية فى عهد بطرس الأكبر ، حيث تبدأ القصة بعلم الوالى محمد على باشا عام 1838 بتوصل الروس إلى طريقة جديدة لاستخلاص الذهب من الرمال، فكان أن إستدعى إلى حضرته القنصل الروسى "مسيديم" وطلب منه وصف دقيق ومفصل لهذه التكنولوجيا . تمر الشهور وبعد رسائل وتداول تستقر الامور على إرسال أول مبعوثين مصريين : محمد على وإيليا الدهشورى إلى روسيا ، حيث ينظرهما موفد الامبراطور ليسافر معهما إلى مصانع التعدين فى يكاتيرنبورج مع توصية الامبراطور بتقديم كل مساعدة ممكنة للدراسة الراسخة لطرائق معالجة الرمال الحاوية ذهباً المستخدمة عندنا .. وقد كان هذا هو نص التكليف الامبراطورى لمبعوثه .

أنجز محمد على وإيليا الدهشورى مهمتهما، وعادا للمحروسة ليأتى فى أثرهما مهندس التعدين الروسى - كوفاليفيسكى يرافقه عاملاً تعدين ومهندس فى العلوم الطبيعية على متن باخرة قادمة من أوديسا فى ليل 23 نوفمبر 1847 ، حيث تم نقلهم بباخرة الوالى للقاهرة للقائه ليبدأ العمل فى تشييد أول معمل لاستخلاص الذهب فى كسان .

الإضبارة الثانية : تحوى رؤية روسية للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى مصر عام 1881 ، من أرشيف الخارجية الروسية ، وجاءت فى تقرير قنصل روسيا العام فى مصر . الدراسة وثيقة تاريخية مليئة بالاحصاءات، ويغلب عليها الطابع العلمى فى رصد التطورات والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية خلال تلك الفترة .

الإضبارة الثالثة : من أرشيف وزارة الخارجية الروسية حوت تقييماً للعلاقات التجارية بين روسيا ومصر فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهو نص تقرير الوكيل الملاحى الروسى ميللر - وهو الموفد لوكالة خط الأسكندرية إلى مدير الشركة الروسية للملاحة والتجارة. التقرير يسجل نشاطات الشركة الروسية للملاحة والتجارة فى ميناء الأسكندرية من واردات حبوب من روسيا وأعمال الشحن والتفريغ والضرائب ومستودعات الفحم لتموين البواخر التى تعبر قناة السويس . يرصد التقرير إحصاءات عن الصادرات والواردات خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر سواء إلى الأسكندرية أو إلى بورسعيد .

وعن "ألكسى الكسندروفيتش سميرنوف" آخر قناصل الامبراطورية الروسية فى مصر ، والذى عمل بها خلال الفترة من 1905 وحتى 1924 ، عنه يكتب جينادى جارياشكين فصلاً يتضمن ملامح من حياته ، ودوره مع بدء الحرب العالمية الأولى حيث وفد إلى مصر مئات من

الجرحى والأسرى الروس ، والذين وصلت أعدادهم إلى قرابة عشرة آلاف جريح ، وأصبح السفر إلى روسيا من الأمور العسيرة ، كما أن وصول الاصدقاء من روسيا بات كذلك .

عاش سميرنوف فى وحشة مفرطة ، وعندما توفى لم يترك إلا عجلته التى كان يقودها بنفسه ، و وصيته بدفنه بمصر . جارياشكين يرصد فى فصله أن سميرنوف لم يعترف بثورة أكتوبر وبروسيا السوفيتية ، وأدت الحرب العالمية الأولى وثورة أكتوبر إلى تمزيق العلاقات الدبلوماسية بين روسيا ... ومصر .

لكن المهاجرون الروس لم يلقوا بالاً لذلك . ففى سنة 1920 إفتتح الأطباء الروس من جامعة موسكو عيادة للمرضى ، ونظموا مؤتمرات طبية ، وقدموا العلم للكوادر المصرية .

فى عام 1923 عندما قررت الحكومة المصرية سحب الإعتراف بالتمثيل الدبلوماسى الروسى القديم ، نُزعت عنه الصفة الدبلوماسية فتحول إلى بعثة روسية ثم إلى جمعية المواطن الروسى ثم إلى ناد روسى فقط يضم جالية لا تتجاوز 600 فرد بعد أن هجر البلاد كثيرين .

صفحة جديدة من صفحات تاريخ العلاقات المصرية الروسية تحكى عن زيارة أول رائد فضاء سوفيتي - يورى جاجارين . إلى مصر يكتبها الكاتب المصرى أحمد الخميسى ، ويرصد فيها القصيدة التى كتبها الكاتب والأديب المصرى عبد الرحمن الخميس عن زيارة يورى جاجارين لمصر :

جاجارين فى قريتى

يسألون : وكيف نبلغه حبنا ؟ وكيف نَزف إليه التهانى ؟

ونحملهُ فوق أعناقنا نريد نراه .. نقبله

نُهدهِدهُ بين أحضاننا ونعقد من زهرات الربيع

على رأسه تاج إعجابنا

ملف الفضاء يتضمن جانباً مضيئاً من جوانب العلاقات المصرية الروسية ، وهو النشاط الذى تقوم به لجنة مشتركة ممثلة للبلدين فى مراقبة وتقييم حال أجهزة مركب الفضاء الدولية (سيوز) قبل بدء فصل الكبسولة المقلة لرواد الفضاء عن المركبة .

بعد فصل الكبسولة المقلة لرواد الفضاء من مركبة الفضاء الدولية ، تستمر الكبسولة فى الاندفاع بتأثير القصور الذاتى حتى هبوطها فى إحدى قرى جمهورية كازاخستان بالقرب من المطار الفضائى المعروف بيكانور .

اللجنة المشتركة المصرية الروسية - وبشكل دورى مرتين كل عام - على ساحل البحر الأحمر بمدينة شرم الشيخ تقوم بتقييم الحالة الكهرومغناطيسية لأجهزة فصل الكبسولة المقلة لرواد الفضاء عن المركبة الدولية للفضاء أثناء مرورها بسماء شرم الشيخ ، والتأكد من جاهزيتها للفصل وإبلاغ مركز المراقبة والتحكم بموسكو بهذه الجاهزية ، من ثم التيقن من نجاح عملية الفصل قبل إتمامها ، ثم إعطاء الأوامر بالفصل .

الدكتور حسين الشافعى ، وهو أحد المشاركين فى هذا النشاط يحكى قصته كأحد صور

التعاون المشترك فى مجال الفضاء ، وهو تعاون علمى ، تشارك فيه مصر روسيا منذ سنوات .

المحطة التالية من محطات التعاون المصرى - الروسى المجيدة إختلطت فيها دماء الشعبين وامتزجت بالتراب المصرى فى معركتها لإعادة بناء القوات المسلحة ، وبناء حائط الصد وانتهاء بالنصر المجيد فى حرب 1973 .

ونستعين في هذه الصفحات بشهادة الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية خلال حرب أكتوبر - والتي سجلها في سجلها في كتابه الشهير حرب أكتوبر. علاوة على شهادة اللواء طريف عاصم الششتاوى قائد كتيبة صواريخ م / ط في حرب 67 وما بعدها وهي شهادة موثقة بمركز تاريخ مصر المعاصر بدار الكتب والوثائق القومية .

بدأت المساعدات السوفيتية العسكرية لمصر ، والتى نجحت فى دعم موقف السوفيت فى العالم العربى ، فقد بدأت فى التاسع من يونيو 1967 ، عقب وقف إطلاق النار عن طريق إرسال - الجسر السوفيتى - مكوناً من خمسمائة وخمسين رحلة جوية ، وخمسة عشر باخرة نقل كلها معدات حربية تمثلت فى ثلاثة وتسعين طائرة "ميج 17" ، وخمسة وعشرين طائرة "ميج 21" خلال الأسبوع الأول بعد المعركة ، وبذلك كانت جملة الدفعة الأولى من الدعم السوفيتى العسكرى مقدارها خمسين طناً من المعدات العسكرية .

كما وصل وفد عسكرى سوفيتى فى السادس عشر من يونيو 1967 بقيادة الجنرال "لاشينيكوف" lashenkov للمساعدة فى استقبال المعدات والأسلحة من الموانى "البرية والبحرية والجوية" وتوزيعها على الوحدات . كذلك وصل المارشال "زخاروف" Zagaroff رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية على رأس بعثة عسكرية سوفيتية رفيعة المستوى تتألف من واحد وتسعين ضابطاً فى أواخر 1967 ؛ لتتفقد أوضاع الجيش المصرى وحدة وحدة. هذا بالإضافة إلى التحاق "المستشارين والفنيين الروس بالسلاح الجوى" فقد كان هناك مستشار روسى واحد على الأقل لكل سرب فى السلاح الجوى الذى الحق به مائة طيار روسى .

لقد اعتمدت القوات الجوية المصرية بصورة أساسية فى ضربتها الجوية ظهر يوم "السادس من أكتوبر" على الطائرات السوفيتية "الميج" و "السخوى" ، وقد حصلت مصر على عدد منها قبل اليوم أى "بوقت كاف" ، وتحديدا فى مارس 1973 رغم أن الشائعات كانت تتردد عن سوء العلاقات المصرية - السوفيتية خاصة فى مجال التسليح. لكن الرئيس السورى " حافظ الأسد " قام برحلة سرية إلى - موسكو - بهدف تحسين هذه العلاقات دون أن ينعكس ذلك على ما ينشر أو يذاع ، وبعد نجاح رحلة "حافظ الأسد" السرية إلى موسكو توالى سفر عدد من كبار القادة العسكريين المصريين - ومنهم وزير الحربية نفسه - وأسفر ذلك عن عقد صفقتى سلاح وقطع غيار لم يعرف عنهما العالم شيئاً ، وكانت تفاصيل هذه الأسلحة سراً ، لكن الأهم أن مواعيد تسليمها كانت جميعها قبل أكتوبر 1973 بوقت مناسب ، وكان آخر الصفقات قبل الحرب صفقة أسلحة ثالثة أطلق عليها القادة اسم "صفقة مارس" والتى جاء موعد تسليمها ليسبق الحرب بفترة قصيرة .

من بين أنصع صفحات التعاون المصرى الروسى رحلة بناء السد العالى ، والتى يحكيها كتابنا ليذكر بمعركة بناء حقيقية خاضها شعب مصر متحدياً ضغوط دولية هائلة ليصنع بيد أبنائه ، وبالخبرة السوفيتية الصديقة - هرمه الرابع ، هذا الهرم الرابع الذى لم يكن مقبرة عظيمة البناء لملك ، وإنما مصدر كرامة وعزة ونماء لملايين الارواح الحية .

كانت ملحمة السد ليس فقط إنجازاً هندسياً وقف أمام الطبيعة الهادرة متحدياً ، وإنما كانت أبرز معالم طريق طويل شاق لبناء الدولة الحديثة المصرية ، ساعدت فيه .

لم يكن بناء السد منفصلاً عن قرار تأميم قناة السويس ، والذى أعقبه العدوان الثلاثى على مصر فى 29 أكتوبر 1956 ، والذى صمدت فيه مصر لهذا العدوان ، وأغلقت بعده قناة السويس .

كانت المظاهرات المنددة بهذا العدوان على مصر تجوب بلدان العالم ، لن موقف الاتحاد السوفيتى من هذا العدوان كان الأكثر صلابة ، وغزز بإتفاقية بناء السد العالى ليسطر فى سجل التاريخ صفحة خالدة من الكجد المشترك السوفيتى - المصرى . كان ذلك بعد أن وجه الاتحاد السوفيتى إنذاره الشهير بضرورة وقف الحرب على مصر فوراً والانسحاب من كافة الأراضى المصرية . وقد حوى الإنذار تعبيراً قوياً واضحاً : " إن لندن وباريس ليستا بعيدتين عن مدى الصواريخ النووية السوفيتية " . ووجه إنذاره الآخر لسرائيل واصفاً إياها بأنها "تعبث على نحو إجرامى غير مسئول بمصير العالم وتبذر بذور الكراهية ، وهو أمر يشكك فى وجود إسرائيل ذاتها كدولة " .

سددت مصر للسوفيت قيمة أعمال السد فى مرحلته الأولى بقرض قيمته أقل من 35 مليون جنيه شملت قيمة المعدات ونفقات الخبراء ، سددت على مدى 12 قسطاً بفائدة محدودة قدرها 2% . واستكملت أعمال السد بقرض ثان قدره 78 مليون جنيه بنفس الشروط السابقة .

قدم الاتحاد السوفيتى لمصر المعونة الفنية والمالية لبناء السد العالى ليصبح رمزاً للصداقة المصرية - السوفيتية شارك فيها ما يزيد عن 35 ألف عامل ومهندس كان من بينهم أكثر من ألف خبير ومهندس سوفيتى .

من بين الصفحات الهامة فى "صفحات من تاريخ العلاقات المصرية الروسية" يحتل علم المصريات مكانة فيها متميزة .

فى حديقة المتحف المصرى أزاحت جمهورية مصر العربية فى عام 2006 الستار عن تمثال نصفى لعالم المصريات الروسى الشهير "جولينيشيف" ، وألقى الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار الأستاذ زاهى حواس إعتراف فيها بفضل هذا العالم العظيم - وإن لم يكن مشهوراً على المستوى الشعبى - لكنه قام بالعديد من الاكتشافات التى ساهمت فى معرفة التاريخ المصرى القديم .

كان "جولينيشيف" أول من قام بتدريس علم الآثار فى جامعة القاهرة وكتب عشرات الدراسات عن المصريات وأرسى قواعد هذا العلم ، وقد وصلت مقتنيات جولينيشيف من الآثار المصرية لأكثر من ستة آلاف قطعة تعتبر أساس الآثار المصرية الموجودة الآن فى روسيا .

إلى جانب كتابنا " صفحات من تاريخ العلاقات" ، نهديكم عزيزنا القارئ، وبمناسبة الذكرى السبعين لإقامة العلاقات الدبلوماسية المصرية - الروسية، DVD يحوى عديداً من

المواد الأرشيفية ، والفيلمية لمحطات هامة فى تاريخ العلاقات ، ومن بين ما يحتويه الـ DVD المرفق ما يلى:

ـ أعداد مجلة أنباء روسيا ـ الطبعة العربية ، منذ صدورها فى نوفمبر 2006 وحتى العدد الصادر فى مايو 2013 (نسخة Pdf)

ـ النص الكامل لكتاب " الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر " (نسخة Pdf) ، وهو الكتاب الذى ألفه الفيلسوف الفرنسى فولتير ، وترجمه الشيخ أحمد عبيد أفندى عام 1850 م ـ 1266 هـ بأمر من الوالى محمد على باشا .

الكتاب تقديم الدكتور حسين الشافعى وقدم له الدكتور محمد صبرى الدالى – أصدرته دار الكتب والوثائق القومية عام 2013 .

ـ النص الكامل لكتاب من تراث الشيخ محمد عياد الطنطاوى أول مُعلم للعربية فى روسيا الامبراطورية خلال الفترة من 1840 – 1861 – يتضمن الكتاب النص الكامل لمخطوطة الشيخ محمد عياد الطنطاوى المسماه " تحفة الأذكياء فى تاريخ بلاد روسيا " وأجزاء من كتابه " أحسن النخب فى لسان العرب " .

الكتاب تقديم د. حسين الشافعى وأصدرته دار نشر أنباء روسيا عام 2013.

علاوة على الفيلم المصرى السوفيتي الوحيد "النيل والحياة" ـ إنتاج عام 1968 ـ الذي سجل قصة البشر أثناء بناء السد للمخرج الكبير يوسف شاهين ومثل فيه " صلاح ذو الفقار " ، "إيجور فلاديميروف " ، " عماد حمدي " ، " فلاديمير أيفاتشوف " .

علاوة على ما سبق ، يتضمن الـ DVD ملفات أفلام وثائقية تحكى كيف ساعد العسكريون السوفيت مصر فى المواجهة مع اسرائيل خلال حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر 1973 المجيدة وأسبوع تساقط الفانتوم ، والزيادة التاريخية ليورى جاجارين أول رائد فضاء سوفيتى لمصر ، بدايات التعاون المصرى السوفيتى . ، وأربعة أيام مجيدة من تاريخ السد ..

ما نقدمه بين يديكم ليس رصداً تاريخياً لعلاقات طويلة بين مصر وروسيا، وإنما هو مجرد لمحات سريعة لمحطات رئيسية فى مسيرة هذه العلاقات .

الأمر المؤكد أنه ، وعلى مدى هذه المسيرة ، كان الروس دائماً خير عون لمصر فى تأكيد دعائم إستقلالها وبناء قوتها وإعلاء كرامتها ، وهو ما لم ينسه الشعب المصرى ، وباقٍ فى ذاكرته خالداً ، وهذا ما يجعلنا نأمل أن يكون غد هذه العلاقات خيرٌ من يومها .

الكتاب بين أيديكم يحوى فصولاً وثائقية هامة ، منها سجل خاص بالسفراء السوفيت والروس الذين تولوا مهام السفراء لدى جمهورية مصر العربية بدءاً من 1943 ، وكذا رصداً للسفراء المصريين العاملين لدى الاتحاد السوفيتى – ومن ثم لدى روسيا – منذ ذلك الحين .

كذا يحوى الكتاب فصلاً وثائقياً عن العلاقات الدبلوماسية المصرية – الروسية يحوى صوراً لوثائق عن السد العالى ، ومنظمة عدم الامتياز عام 1964 ، وبرقيات متبادلة ما بين الحكومتين

وصوراً للإتفاقات القنصلية بين البلدين ، وصور خطابات متبادلة ما بين وزيرى خارجية البلدين ، وصور برنامج التعاون الاقتصادى والتجارى والفنى والعلمى طويل الأمد بين مصر والاتحاد السوفيتى الموقعة فى 1990 ، والإعلان المصرى – الروسى المشترك الصادر فى 1997 ، وإعلان مبادئ علاقات الصداقة والتعاون المصرى – الروسى فى 2001 ، وبروتوكول التعاون والحوار الاستراتيجى فى 2004 وغيرها الكثير من الوثائق الرسمية .

كم ضخم من الصور التاريخية بين دفتى الكتاب نتركها بين أيديكم ، منها صور تنشر للمرة الأولى .

ما بين أيديكم .. جهد متواضع ساهم فى إخراجه العديدين : فلاديمير بولياكوف، وجينادى جارياتشكين ، د. نورهان الشيخ ، د. صبرى الدالى ، ود. أحمد الخميسى ومن خلفهم مجموعة عمل كبيرة نتقدم لهم بالشكر الجزيل .

جهد حاولت فيه رصد أهم محطات للصداقة والتعاون بين الشعبين الروسى والمصرى فى صفحات تحتفى بالذكرى السبعون لبدء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى 1943 .

لعل هذه الصفحات تنعش الذاكرة ، وتجدد صداقة متينة بين الشعبين حالت بين تطويرها الأهواء ، والتحيزات .

لكننا نراهن على ذاكرة الشعب ... وستنتصر هذه الذاكرة مهما حاول المغرضون طمسها .

كيف بدأت العلاقات الدبلوماسية المصرية السوفيتية *

النحاس باشا يراسل القادة السوفيت عبر سفيرهم بلندن

النحاس: نقدر نضال الجيش السوفيتى والشعب للدفاع عن حريته وأرضه

كالينين: نرفض الامتيازات والمحاكم المختلطة ونتنازل عن حقوق القيصر









بداية العلاقات الدبلوماسية المصرية .. السوفيتية كانت فى أواخر عام 1943م. وبمناسبة الذكرى 70 لقيام هذه العلاقات ـ التى نحتفل بها هذا العام 2013م ـ، فقد أتاحت لنا "وزارة الخارجية الروسية" وبالتعاون مع "وكالة الأنباء الروسية نوفوستى" إمكانية الولوج فى اضابير ووثائق مرَّ عليها 70 عاماً تحمل أسرار المراسلات التى تمت بين الجانبين "المصرى - والسوفيتى" منذ ذلك الحين تُقَرب ما بين الجانبين، وتعد فى كواليس ودهاليز السياسة الظروف المناسبة لكى يحدث الإعلان الرسمى من كلا الجانبين عن إقامة العلاقات الدبلوماسية الطبيعية بين البلدين.

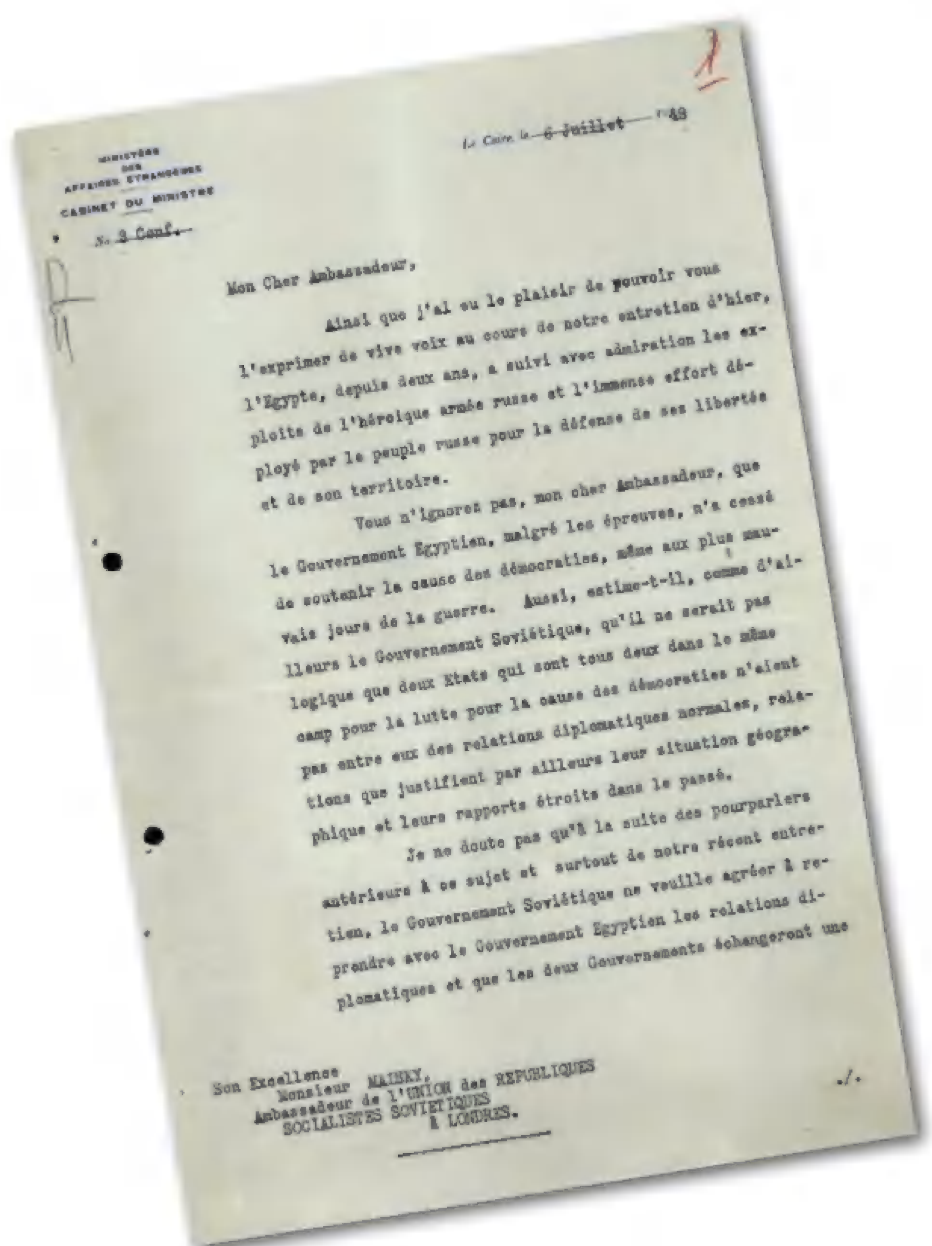
والبداية - على ما يبدو - كانت فى قرار للقيادة السوفيتية - والتى أخذت المبادرة - بإرسال أحد كبار ساستها إلى مصر لجس النبض، واستطلاع مدى رغبة الحكومة المصرية فى تجديد العلاقات الدبلوماسية مع الإتحاد السوفيتى. الظرف التاريخى - بكل المقاييس - لم يكن مواتياً. فمصر كانت ترزح تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزى - وهو فى أوجه ـ، والعالم يئن تحت نير حرب عالمية عظمى - وهى فى أوجها أيضاً - لكن ما كان يأتى من هنا وهناك كان يوشى بجيش سوفيتى يقوم ببطولات، ويتصدى بقوة لزحف هتلر الذي يطيح بالأخضر واليابس فى طريقه لفرض نازيته على العالم.

هنا القاهرة، وفى أوائل أيام يوليو الحار عام 1943، كان مندوب القيادة السوفيتية الذى تم

* جسين الشافعى - مجلة أنباء موسكو - الطبعة العربية - العدد 11، سنة 2008.
أعد هذا الملف بالتنسيق مع وزارة الخارجية الروسية، ووكالة أنباء نوفوستي

اختياره لمهمة التمهيد للإعلان عن قيام العلاقات الدبلوماسية بين مصر والإتحاد السوفيتي، هو "الرفيق مايبيسكي" - الذى كان عندئذٍ سفيراً للإتحاد السوفيتي ببريطانيا العظمى قد حضر في زيارةٍ قصيرةٍ ، تم فيها تدبير لقاء مطول له مع وزير الخارجية المصرى "مصطفى النحاس باشا" دام لعدة ساعات.

الوثائق الرسمية تخلو من أية تسجيلات لما دار فى هذا الحوار بين الرجلين. لكن يمكن التكهن بأن اللقاء كان أكثر من مفيد. ذلك هو ما بدا من أول رسالة كتبها النحاس باشا إثر هذا اللقاء - فى السادس من يوليو 1943م، بدأها بالإشارة إلى سعادته (النحاس باشا) بالحوار الذى دار بينهما (النحاس - مايبيسكى) ليلة أمس، ويشيد فيها ببطولات الجيش السوفيتي والدعم اللانهائى الذى يقدمه الشعب الروسى للدفاع عن حريته وأرضه (الرسالة خلت رغماً عن ذلك عن أية إشارة لألمانيا الهتلرية).



MINISTÈRE
DES
AFFAIRES ÉTRANGÈRES
CABINET DU MINISTRE

No. 3 Conf.

Le Caire, le 6 Juillet 1943

Mon Cher Ambassadeur,

Ainsi que j'ai eu le plaisir de pouvoir vous
l'exprimer de vive voix au cours de notre entretien d'hier,
l'Egypte, depuis deux ans, a suivi avec admiration les ex-
ploits de l'héroique armée russe et l'immense effort dé-
ployé par le peuple russe pour la défense de ses libertés
et de son territoire.

Vous n'ignorez pas, mon cher Ambassadeur, que
le Gouvernement Egyptien, malgré les épreuves, n'a cessé
de soutenir la cause des démocraties, même aux plus mau-
vais jours de la guerre. Aussi, estime-t-il, comme d'ai-
lleurs le Gouvernement Soviétique, qu'il ne serait pas
logique que deux Etats qui sont tous deux dans le même
camp pour la lutte pour la cause des démocraties n'aient
pas entre eux des relations diplomatiques normales, rela-
tions que justifient par ailleurs leur situation géogra-
phique et leurs rapports étroits dans le passé.

Je ne doute pas qu'à la suite des pourparlers
antérieurs à ce sujet et surtout de notre récent entre-
tien, le Gouvernement Soviétique ne veuille agréer à re-
prendre avec le Gouvernement Egyptien les relations di-
plomatiques et que les deux Gouvernements échangeront une

./.

Son Excellence
Monsieur MAISKY,
Ambassadeur de l'UNION des REPUBLIQUES
SOCIALISTES SOVIETIQUES
à LONDRES.

الرسالة بالفرنسية - وترجمتها بالعربية - المرسلة من "مصطفى النحاس باشا" وزير الخارجية المصرى التى نقلها عبر السفير "مايسكى" سفير الإتحاد السوفيتى بلندن للقادة السوفيت للترحيب ببدء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

وزارة الخارجية
مكتب الوزير
رقم (٣) سرى
القاهرة ٦ يوليو ١٩٤٣

صاحب السعادة السفير مايسكى
سفير اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية
لندن
السفير الغالى

كم كنت سعيداً بأن أنقل لكم شفاهة أثناء حوارنا بالأمس ، أن مصر – وعلى مدى عامين – راقبت عن كثب بطولات الجيش الروسى والدعم اللانهائى الذى يقدمه الشعب الروسى للدفاع عن حريته وأرضه.

لا أشك فى علمكم – عزيزى السفير – إن الحكومة المصرية – بغض النظر عن ظروفها – لم تتوقف على دعم كل ما من شأنه تدعيم الديمقراطية حتى فى أحلك أيام الحرب . لهذا فإننا نرى – ونعتقد أن الحكومة السوفيتية تتفق معنا – أنه ليس من المعقول ألا يكون لحكومتينا – وهم يقفون فى معسكر واحدٍ من أجل الديمقراطية – علاقات دبلوماسية عادية ، ونرى ضرورة أن تمثل هذه العلاقات أيضاً إقراراً لأوضاعها الجغرافية وإمتداداً لعلاقات قديمة بينهما .

إننى لا أشك أن الحكومة السوفيتية سترحب بالدعوة إلى تجديد العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة المصرية ، وأتطلعُ إلى أن تقوم حكومتينا بتبادل البعثات الدبلوماسية فى أسرع وقتٍ ممكن .

بمناسبة تجديد العلاقات الدبلوماسية فإن الحكومة المصرية ترى ضرورة – بشكل أو بآخر – أن تذكر بأن إتفاقية «مونترى» وكذا رفع الاحتلال اعترافاً بكيان دولى لمصر ، وهذا يضمن لنا عدم الإعتداد بأية إتفاقيات تم عقدها مع حكومة القيصر تمنحه أية إمتيازات خاصة فى المحاكم المختلطة أو لجنة الإشراف أو خزانة الديون . إن طبيعة الأمور تقتضى بأن إقرار هذه القواعد وقبولها من حكومات العالم يُلزم بقبولها أيضاً من الحكومة السوفيتية ، وهى التى أعلنت منذ إنشائها مبادئ عدم الإعتداد بالإحتلال أينما كان .

وفى النهاية .. فإن تجديد العلاقات الدبلوماسية بين حكومتينا – بعد فترة طويلة من غيبتها – سيؤدى دونما شك – إلى ظهور مسائل أخرى ، ولعلكم تتفقون معى فى الرأى أننا – عندئذ – سيكون لدينا قنوات دبلوماسية طبيعية للمناقشة والتباحث فيها بالطرق الدبلوماسية .

سأكون ممتنا لكم – عزيزى السفير – بمكرمتكم بنقل محتوى كتابنا هذا لحكومتكم ، وأرجو كم أن تثقوا فى عظيم احتراماتى .

وزير الخارجية
نحاس باشا

على الخطاب قام الجانب السوفيتى بكتابة ما يلى :
يتم توزيعه على الرفاق : «ستالين – مولوتوف – فيشينسكى – ديكانوزوف – لازوفسكى – مايسكى – الإدارة القانونية»

"النحاس باشا" فى رسالته المشار إليها - والتى تعد بحق وثيقة هامة وأساسية فى بناء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين - لم يغفل - وهو السياسى المحنك والزعيم الشعبى الكبير - أن يشير فى رسالته هذه إلى رفض مصر لاستمرار منح أية امتيازات لحكومة قيصر روسيا ومطالبته للحكومة السوفيتية بإعلان رفضها أيضا لهذه الامتيازات ، وأشارت الرسالة إلى ترحيب الحكومة المصرية بإقامة علاقات طبيعية دبلوماسية بين البلدين . هذه الرسالة الشهيرة والتى وقعها النحاس باشا فى 6 يوليو 1943م حررت بالفرنسية وسلمت باليد للمندوب الروسى "ماييسكى" الذى حملها ، وطار بها عائداً لبلاده ليقدمها للقادة السوفيت ، مرفقاً به مقترحة للرد على "النحاس باشا" ، وقدم الملف بأكمله للرفيق "يوسف ستالين" طالباً التصديق على مقترحه للرد.

مقترح الرد - وهو الذى أرسل من السفير "ماييسكى" نفسه - وقد حصل على تفويض من القيادة السوفيتية - حوى مؤشرات عديدة أهمها : إعلان موقف السوفيت من الحرب الدائرة رحاها ضد النازية الألمانية وإصرارهم على توطيد الجبهة لوحدة الأمم ضد ألمانيا الهتلرية وحلفائها ، وأن ذلك الموقف يلتقى ومصالح البلدين.

И. Сталину. Прошу утвердить. В. Молотов 21/VII

Проект.

ОТВЕТ т.МАЙСКОГО НАХАС-ПАШЕ.

Уважаемый Господин Министр,

Я довел до сведения Советского Правительства содержание Вашего письма от 6 июля текущего года и, по поручению Советского Правительства, имею честь сообщить Вам следующее:

Советское Правительство искренне ценит чувства, которые египетский народ питает к великой борьбе советской армии и советского народа против гитлеровской Германии и ее сообщников, - к борьбе, имеющей целью не только защиту своего отечества от нашествия жестокого врага, но также освобождение всех других наций от угрозы гитлеровского господства и порабощения.

Советское Правительство считает, что установление нормальных дипломатических отношений между СССР и Египтом явилось бы важным вкладом в дело укрепления фронта Объединенных наций против гитлеровской Германии и ее сообщников, а также соответствовало бы интересам обеих стран. В виду этого Советское Правительство охотно принимает Ваше предложение об установлении нормальных дипломатических отношений между СССР и Египтом и готово в кратчайший срок произвести обмен посланниками.

Что касается вопроса о признании нового международного статуса Египта, вытекающего из Конвенции в Монтре 8 мая 1937 г., а равно судьбы старых капитуляционных привилегий, особенно относящихся к смешанным судам, Санитарному Совету и к Кассе Долга, то Советское Правительство, как это указано и в Вашей ноте, в первые же дни своего существования по собственной воле, исходя из принципа равноправия всех наций, раз навсегда отказалось от всех неравноправных договоров, капитуляций, особых привилегий и т.д. царского правительства.

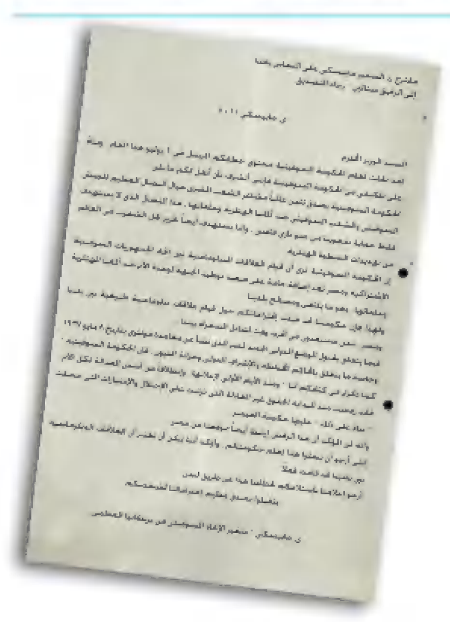
Само собой разумеется, что этот отказ относился и относится также и к Египту.

Доводя вышеизложенное до сведения Вашего Правительства, я констатирую, что таким образом дипломатические отношения между нашими обеими странами могут считаться установленными. Подтверждение получения настоящего письма прошу передать мне через Лондон.

Примите уверения в моем глубоком к Вам уважении.

И.МАЙСКИЙ, Посол СССР в Великобритании.

2/196-И.



مقترح رد السفير السوفيتي ببريطانيا العظمى "مايسكي" على رسالة "النحاس باشا" مؤشر عليه في أعلى الرد للعرض على الرفيق "ستالين" للتصديق على محتواها .

مقترح رد السفير مايسكى على النحاس باشا
إلى الرفيق ستالين – رجاء التصديق

ى. مايسكى ٢١ / ٥

السيد الوزير المحترم :

لقد نقلت لعلم الحكومة السوفيتية محتوى خطابكم المُرسَل فى ٦ يوليو هذا العام ، وبناءاً على تكليفى من الحكومة السوفيتية فإننى أتشرف بأن أنقل لكم ما يلى :

الحكومة السوفيتية - بصدق - تثمن غالياً مشاعر الشعب المصرى حيال النضال العظيم للجيش السوفيتى ، والشعب السوفيتى ضد ألمانيا الهتلرية وحلفائها . هذا النضال الذى لا يستهدف فقط حماية شعوبنا من عدو نازى قاسى ، وإنما يستهدف أيضاً تحرير كل الشعوب فى العالم من تهديدات السطوة الهتلرية .

إن الحكومة السوفيتية ترى أن قيام العلاقات الدبلوماسية بين إتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية ومصر تعد إضافة هامة على صعيد توطيد الجبهة لوحدة الأمم ضد ألمانيا الهتلرية وحلفائها ، وهو ما يلتقى ومصالح بلدينا .

ولهذا فإن حكومتنا قد قبلت إقتراحاتكم حول قيام علاقات دبلوماسية طبيعية بين بلدنا ومصر ، نحن مستعدون فى أقرب وقت لتبادل السفراء بيننا .

وفيما يتعلق بقبول الوضع الدولى الجديد لمصر الذى نشأ عن معاهدة مونترى بتاريخ ٨ مايو ١٩٣٧م وخاصة ما يتعلق بالمحاكم المختلطة والإشراف الدولى وخزانة الديون ، فإن الحكومة السوفيتية – كما ذكرتم فى كتابكم لنا – ومنذ الأيام الأولى لإعلانها ، وإنطلاقاً من أسس العدالة لكل الأمم ، فقد رفضت منذ البداية الحقوق غير العادلة التى ترتبت على الإحتلال والإمتيازات التى حصلت – بناءاً على ذلك – عليها حكومة القيصر .

وأنه لمن المؤكد أن هذا الرفض ارتبط أيضاً بموقفنا من مصر .

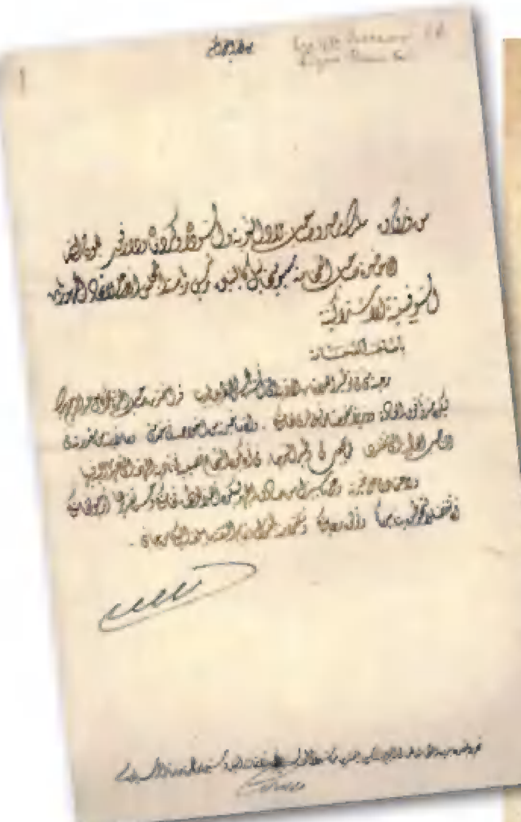
إننى أرجو أن تنقلوا هذا لعلم حكومتكم ، وأؤكد أننا يمكن أن نعتبر أن العلاقات الدبلوماسية بين بلدينا قد قامت فعلاً .

أرجو إعلامنا باستلامكم لخطابنا هذا عن طريق لندن

وتقبلوا بصدق عظيم احتراماتنا لشخصكم

ى. مايسكى – سفير الإتحاد السوفيتى فى بريطانيا العظمى

وهكـذا .. أصبح الجو مهيئاً لتبادل الوثائق الرسمية التى تسمى سفيرى البلدين، فكان الخطابان : خطاب "الملك فاروق - ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور" (بعون الله) الذى بعثه إلى "ميخائيل كالينين رئيس مجلس السوفيت الأعلى"، ورد الأخير على جلالته، بمثابة الإعلان الرسمى لتجديد العلاقات بين البلدين.



رسالة جلالة "الملك فاروق" ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور إلى الرفيق "كالينين" رئيس مجلس السوفيت الأعلى للإتحاد السوفيتى بتعيين صاحب العزة "محمد كامل عبد الرحيم بك" سفيراً للملكة بالإتحاد السوفيتى

بسم الله الرحمن الرحيم

من فاروق

ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور بعون الله.

إلى حضرة صاحب الفخامة مسيو ميخائيل كالينين رئيس رئاسة المجلس الأعلى لإتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية.

يا صاحب الفخامة

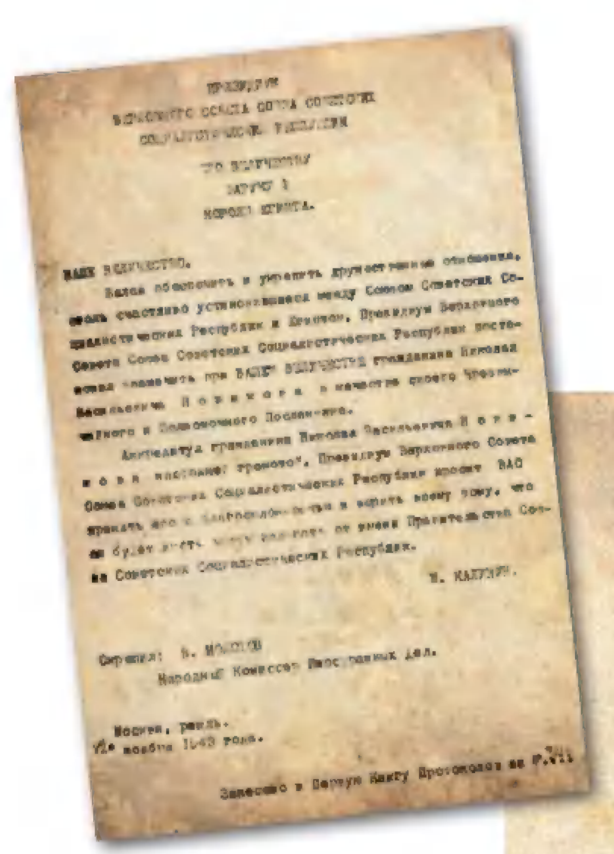
رغبة منا فى توطيد العلاقات الودية التى أنشئت لحسن الحظ بين بلدينا .. قد أخترت صاحب العزة "محمد كامل عبد الرحيم بك" مندوبا فوق العادة ووزيرا مفوضا من قبلى لدى فخامتكم.

وأن ما خبرته من إخلاص فى خدمتى .. وما رأيته من مقدرته فى المناصب العليا التى تقلدها لما يجعل لى وطيد الرجاء فى أن يكون النجاح نصيبه فى تأدية المهمة التى عهدنا إليه فيها.

ولإعتمادى على خبرته، وعلى ما سيبذل من صادق الجهد ليكون أهلاً لعطفة فخامتكم .. وحسن تقديرها، أرجو فخامتكم أن تتفضلوا فتحوطوه بتأييدكم وتولوه رعايتكم وتتلقوا منه بالقبول وتمام الثقة ما يبلغه إليكم من جانبى.

التوقيع

تحريراً فى قصر عابدين الملكى بالقاهرة فى اليوم التاسع والعشرين من شهر ذى الحجة لسنة ألف وثلاثمائة وأثنين وستين من هجرة خاتم المرسلين (الموافق 27 ديسمبر 1943م).



[illegible]

Народный Комиссар Иностранных дел.

Москва, Кремль.
[illegible] 1943 года.

رئاسة مجلس السوفيت الأعلى
لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية

إلى صاحب الجلالة

فاروق الأول

ملك مصر

رغبة منا فى توثيق وتعضيد علاقات الصداقة، تغمرنا السعادة بإقامة العلاقات بين "إتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية ومصر". إن مجلس السوفيت الأعلى قرر تعيين "نيكالاى فاسيليفيتش نوفيكوف" كسفير فوق العادة ومفوض ببلاط جلالتكم.

إن مجلس السوفيت الأعلى لإتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية يرجو جلالتكم قبول أوراق أعتماد السفير "نوفيكوف"، والثقة فى كل ما ينقله لجلالتكم عن حكومة إتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية.

م. كالينين

ف. مولوتوف مفوض الشعب للشئون الخارجية
موسكو، الكرملين
نوفمبر 1943م



المركز الثقافى الروسى
جسراً للتواصل بين الشعبين

بقلم
ألكسندر بالينكو
مستشار سفارة روسيا الإتحادية
مدير عام المراكز الثقافية الروسية
فى جمهورية مصر العربية

تحتفل كل من مصر وروسيا هذا العام 2013 م بمرور 70 عاماً على إقامة العلاقات الدبلوماسيه بين الدولتين ، وإذا كانت العلاقات الرسمية بين الدولتين قد مرت بمنحنيات مختلفة طوال تلك الفترة بل وقبلها بكثير ، إلا إنه يمكن القول أنها علاقات حميمية وشديدة التميز ، وتحتل مكانة خاصة ، أبعد وأعمق من العلاقات الرسمية الطيبة التى كانت أغلب الأزمنة بين الحكومات، لكنها امتدت إلى القلوب لدى الشعبين ، وأصبح من الطبيعى أن تسمع فى مصر عن هذا الحب الجارف للشعب الروسى صاحب المواقف البطولية والمشرفة فى دعم مسيرة الشعب المصرى فى مسيرته القومية ، فى كافة المجالات وتسمع كذلك فى روسيا عن هذا الحب تجاه مصر وشعبها وثقافتها وتاريخها وآثارها الفريدة وشمسها الدافئة وطيبة أهلها .

وخلال هذه المسيرة الطويلة والتاريخية بين الشعبين لعب المركز الثقافى الروسى (السوفيتى سابقا) دوراً حاسماً فى مد جسور التواصل بين الشعبين، عندما تم تطبيق الدبلوماسية الشعبية بمعناها المباشر داخل أروقه- المركز الثقافى الروسى- ، الذى تحول إلى خلية نحل ، فهنا تقام الأنشطة المختلفة ، وهنا يلتقى الطرفان وهنا التواصل الإنسانى والشعبى الحقيقى . فقد كان طبيعياً بعد المساندة القوية من الاتحاد السوفيتى لمصر بعد ثورتها عام 1952م أن يتوافد المصريون بكثرة على المركز الثقافى السوفيتى للتعرف على الصديق الجديد وكان (المركز الثقافى السوفيتى) أهلاً لهذه الثقة . فقد فتح أبوابه بكامل الحب للجمهور المصرى من المثقفين والمبدعين والشباب، ليقدم لهم الثقافة الروسية بكل ما تحمل من إبداع إنسانى فى الموسيقى والأدب والسينما والمسرح والفنون الشعبية والفن التشكيلى ، وازداد التلاحم المصرى الروسى بعشق المصريين للثقافة الروسية والأدباء السوفيت ، وانتشرت الأعمال المترجمة بالعربية ، وأصبحت أسماء-" تولستوى وتشيكوف وبوشكين ودوستويفسكى"- أسماء محببة للمثقفين المصريين،

وللشباب الذى اكتشف من خلال التواصل هذا التشابه الكبير فى الوجدان والشخصية بين المصريين والروس ، فازدادت المشاعر دفئاً بين الناس هنا وهناك .

واستمر دور (المركز الثقافى الروسى) فى دعم العلاقات الثقافية بين الشعبين ، الذى بدأ عام 1956م بالمركز - بالقاهرة - ثم 1957م بالمركز الثقافى السوفيتى - بالإسكندرية - واتسعت دائرة التعاون مع الجهات المعنية فى مصر . فتم تنظيم أسابيع للثقافة الروسية بمحافظات مصر المختلفة بالتعاون مع هيئة قصور الثقافة فى - أسوان و الأقصر و الشرقية و بنى سويف و الإسماعيلية و الإسكندرية و الفيوم ودمنهور و مرسى مطروح والقاهرة - ، وتم التعاون مع صندوق التنمية الثقافية ووزارة الثقافة ودار الأوبرا المصرية والمجلس الأعلى للثقافة والمركز القومى للترجمة وأكاديمية الفنون وكلية الألسن ومكتبة الإسكندرية واللجنة المصرية للتضامن و منظمة التضامن الأفروآسيوى ، وكان من الطبيعى تكثيف التعاون مع الجمعية المصرية لخريجى الجامعات الروسية والسوفيتية فى تنظيم العديد من الأنشطة الثقافية حول الأدب الروسى ، وكان من ثمار هذا التعاون أن تمت إزاحة الستار عن أول تمثال لأديب روسى فى مصر وهو الكاتب الكبير (انطون تشيكوف) وهو إهداء من جمعية الخريجين للمركز الروسى ، ومن صنع الفنان : أسامة السروى عضو الجمعية ، وقد قامت الجمعية بإنجاز آخر بالتعاون مع المركز الثقافى الروسى ودار نشر " أنباء روسيا " بترجمة أدب الأطفال الروسى للكاتبة - ناتاليا كورتوج - وكان ذلك لأول مره منذ 20سنة وقام أيضاً بالترجمة عضو الجمعية: د.سامية توفيق، وقدم المركز الثقافى الروسى كل الدعم لأنشطة المجلس التنسيقى للمغتربين الروس حيث تقيم جالية روسية كبيرة فى مصر ، والتى تحتفل بالأعياد الروسية القومية وتسعى لربط المواطنين الروس واطفالهم من المقيمين فى مصر بوطنهم الأم روسيا وبالثقافة الروسية وأصبح المركز الثقافى الروسى نافذة للجمهور المصرى على الثقافة والفنون الروسية ... فهنا يمكنكم مشاهدة فرق الفنون الشعبية والغناء الروسى والمعارض التشكيلية والباليه والسينما . وتقدم المكتبة خدماتها للرواد للإطلاع على كلاسيكيات الأدب الروسى والسوفيتى والمترجم باللغة العربية والإنجليزية كما يقدم المركز الثقافى الروسى أنشطة هامة فى تعليم اللغة الروسية للشباب المصرى المهتم باللغة الروسية ويتميز المركز الروسى فى علاقته بالدارسين بالذهاب الى ماهو اوسع من مجرد دراسة لغة أجنبية إلى معرفة الثقافة الروسية والفنون ، فهنا يمكنكم مشاهدة الشباب المصرى وهم يلقون الشعر باللغة الروسية ويغنون بها كذلك ويشاركون فى جميع الأنشطة الثقافية من معارض وعروض أفلام وحضور الحفلات الموسيقية والفنية .

وكما كان للمركز الثقافى السوفيتى دورٌ رائد فى الستينات فى الحياة الثقافية فى ربوع مصر ، حيث انتشرت أنشطة المركز فى العديد من المحافظات المصرية ، وجاء إلى المركز الكثير من الشباب المصرى الباحث عن المعرفة والذين وجدوا فى أنشطة المركز الثقافى السوفيتى الكثير عما يبحثون ، وكثيراً منهم أصبحوا أسماءا كبيرة فى دنيا الأدب والفن ، أمثال : يوسف إدريس، و صنع الله ابراهيم ، و جمال الغيطانى ، و بهاء طاهر ، و يوسف القعيد ، و عاطف الطيب ، و رضوان الكاشف ، و خالد النبوى ، و رمزى يسرى ، و عبد المنعم كامل وجابر البلتاجى وغيرهم، وكان للمركز الثقافى الروسى ايضا دورٌ رائد فى البدء بالأنشطة الثقافية وقت أن مرّت القاهرة بمشكلات حظر التجول بعد ثورة 25 يناير ... وكان من أوائل المراكز الثقافية التى فتحت

أبوابها للنشـاط بعد أن سمحت الظروف بذلك ، وسـاهم بذلك المركز الروسـى فـى بعث الطمأنينة فى نفوس الروس من الراغبين فى الحضور إلى مصر... سـواء للسـياحة أو للمشـاركة فى أنشـطة المركـز ، ونقـل كل هذا من خلال موقعه الإليكترونى وقناة "روسـيا اليـوم" ليؤكد أن الحياة تسير طبيعية فى القاهرة رغم كل شئ.

وواصل المركز الروسى دعمة للاستقرار فى مصر من خلال تنظيمة أسبوعاً للثقافة الروسية فى أحد أشهر شوارع مصر القديمة : شارع ـ المعز لدين الله ـ وذلك بالتعاون مع الجمعية المصرية لخريجـى الجامعات الروسـية والسـوفيتية، والمجلس التنسـيقى للمغتربين الروس وبيت الشـاعر ومديره الاعلامى المصرى (جمال الشاعر) ... وحضرت فرق الفنون الشعبية الروسية من الغردقة و الاسـكندرية والقاهرة لتشارك فى الاسـبوع الثقافى الروسى وكان المسرح هو شارع المعز وكان الجمهور هم المارة بالشارع ، وقد نقلته قناة "روسيا اليوم" للجمهور العربى والروسى .

إن دور "المركز الثقافى الروسـى" يتعاظم ، فهناك حوالى ألفين طالب يدرسـون اللغة الروسية، وهنـاك مئـات يدرسـون الكمبيوتـر واللغات الأخـرى والبالية والموسـيقى ، وتم الإعـداد لبرنامج هائل للاحتفال بمرور 70 عاماً على العلاقات الدبلوماسـية بين مصر وروسـيا وتحت إشراف سفارة روسـيا الاتحادية بالقاهرة التى تقدم كل الدعم لنشاط المركز الثقافى الروسى سواء بالقاهرة او الاسـكندرية لمواصلة رسالته فى مد جسور التواصل والتعاون بين الشعبين المصرى والروسى .



المركز الروسى للثقافة والعلوم بالقاهرة



الذكرى السبعين
لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وروسيا

بقلم : فلاديمير بيلياكوف *

ترجمة : ا. د. أسامة السروى**

أُقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى ومصر منذ سبعين عاماً فى السادس والعشرين من أغسطس عام 1943م.

فبعد قيام ثورة أكتوبر عام 1917م لم تعترف الحكومة المصرية بالسلطة السوفيتية، واستمرت القنصلية والممثليات الدبلوماسية لروسيا ما قبل الثورة فى عملها على أراضى النيل بشكل رسمى. . وفى عام 1922م كانت هذه البعثات تتألف من وكالة دبلوماسية وقنصلية عامة يرأسها السفير المفوض فوق العادة "الكسى سميرنوف"، وقنصلية فى الإسكندرية يرأسها القنصل "الكسندر بيتروف" ونائب القنصل فى القاهرة "نيكولاى فينوجرادوف" [1].

وحيث أن الدبلوماسيين الروس أنفسهم لم يكونوا يعترفون بالسلطة السوفيتية، فقد صدر مرسوم المفوضية الشعبيية للشئون الخارجية فى 9 ديسمبر 1917م بفصلهم من وظائفهم [2].

وفى بداية الحرب العالمية الأولى (18 ديسمبر 1914) أعلنت "بريطانيا العظمى" التى كانت تحتل مصر فعلياً منذ عام 1882م، أن مصر تعتبر محمية بريطانية، وبذلك كان على القاهرة أن تتبع لندن فى سياستها الخارجية بما فى ذلك ما يتعلق بالسلطة الجديدة فى روسيا، إلا أن هذا الوضع كان قد بدأ يتغير بعد أن منحت بريطانيا العظمى مصر إستقلالها، شكلياً فى 18 فبراير 1922م.

واتخذت الخطوات الأولى فى هذا الاتجاه فى السادس من أكتوبر عام 1923م عندما قررت الحكومة المصرية عدم الاعتراف بالبعثات الدبلوماسية والقنصلية الروسية التى تنتمى للعهد القديم فى روسيا، والغاء نظام الامتياز بالنسبة لرعاياها السابقين (أى الذين يعيشون خارج الحدود) [3].

وفى إطار شرحه لخلفية هذا القرار، قال "المندوب السامى البريطانى" فى مصر والذى كان لا يزال هو الحاكم الفعلى للبلاد، "إننا مضطرون لأن نأخذ فى الإعتبار حقيقة وجود البلاشفة فى سدة الحكم لمدة ست سنوات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن العناصر المعادية للبلاشفة لم تظهر القوة الكاملة التى ينبغى معها النظر إليها بعين الإعتبار، وبذلك يتوجب علينا أن نعتبرها فى حكم الماضى الذى انقضى" [4].

* مستشرق ومستعرب روسي معروف - دكتوراه العلوم فى التاريخ واستاذ بمعهد الإستشراق بموسكو - مؤلف لعديد من الكتب والدراسات حول المنطقة العربية.
** المستشار الثقافى للسفارة المصرية ومدير مكتب البعثة التعليمية بموسكو واستاذ النحت بجامعة حلوان.

(1) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية. القسم 317، الوصف 820/3، ملف 369، صفحة 23، عاش ثلاثتهم حتى نهاية حياتهم فى مصر كمهاجرين.
(2) وثائق السياسة الخارجية للإتحاد السوفيتى. الجزء الأول موسكو 1959 ص 43 – ص 44.
(3) دار الكتب والوثائق القومية. (الأرشيف القومى المصرى) الملف رقم 00750050423 ص 2.
(4) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية. القسم 317، الوصف 820/3، ملف 200، ص 5.

وفى غضون أربعة أشهر (فى بداية فبراير 1924م) أقامت بريطانيا العظمى العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى .

دور موسكو

إذا كان عدم الاعتراف بممثلى الدبلوماسية القيصرية إيذاناً بالإعتراف بروسيا السوفيتية ، فإن الحكومة المصرية كانت مهتمة فى المقام الأول بإلغاء نظام الإمتيازات بالنسبة للمهاجرين الروس المقيميين فى البلاد ، وليس بإقامة العلاقات الدبلوماسية مع الإتحاد السوفيتى .

وبين عامى 1922م - 1923م نشطت فى مصر بشكل مكثف الحركة الإجتماعية (الوطنية) التى قادها أعضاء الحزب الإشتراكى الديمقراطى المصرى الذى تأسس عام 1921م ، وتحولت فى غضون عام واحد إلى حزب شيوعى ، ثم انضم إلى الأممية الشيوعية . وصار إتحاد العمال المصرى عضواً فى المنظمة الدولية "بروفينترن" بقيادة اتحاد الشيوعيين المصريين ، وأمتد نطاق حركة الإضراب فى ظل القيادة الشيوعية إلى الدوائر الحكومية ، وفى عام 1924م هُزم الحزب الشيوعى . وساد الإعتقاد بداخل القصر الملكى بما يؤكد بأنه فى حالة إقامة علاقات دبلوماسية مع الإتحاد السوفيتى فإن يد موسكو سوف تمتد إلى القاهرة .

إلا أن الاتحاد السوفيتى من ناحيته كان على إستعداد لإقامة علاقات ثنائية طبيعية مع مصر .

فقد كتب "رئيس الوفد السوفيتى فى مؤتمر لوزان" - الذى عقد بغرض إعداد معاهدة السلام مع تركيا ، وانشاء نظام لمضايق البحر الأسود وهو مفوض الشئون الخارجية (أى وزير الخارجية) "جورجى تشيرتشين" ، "نقول" : كتب لمساعده المفوض للشئون الخارجية لروسيا الإتحادية فى 30 يناير 1923م ، يقول: حيث أننى بصدد إنهاء زيارتى الى "لوزان" ، شعرت أنه من الضرورى أن أوضح الأمر بشكل نهائى فيما يخص علاقاتنا مع "مصر والسعودية" ، حيث كان عندى اليوم وفد كامل من (الحزب الوطنى المصرى) [5] ، وسوف يظل أعضاء هذا الوفد على إتصال مع "ف. فاروفسكى" (سفير الاتحاد السوفيتى فى إيطاليا) . ووفقاً لما أعلن على لسانهم فإن إنجلترا ليس لديها أسس قانونية لتمنع مصر من الدخول فى مفاوضات مع الاتحاد السوفيتى . إلا أن الحكومة المصرية بطبيعة الحال وفى واقع الأمر .. فى يد الإنجليز ، وبذلك فإن إنجلترا سوف تلجأ إلى المشاورات لمنع الدخول فى المفاوضات .

" ويوجد فى مصر الآن سفراء من جميع البلدان ، وأرى أن نسند هذا الأمر "لفاروفسكى" على أن يوجه نداءاً لوزير الخارجية المصرية بهذا الخصوص من خلال أحد الممثليات الصديقة فى القاهرة ، وأن يطلب الوفد التجاري فى نفس الوقت أنواع مختلفة - من القطن الذى تشتريه روسيا فقط من مصر، وكذلك استيراد كميات من الأرز أيضاً ، ويتم تصدير الأخشاب ومنتجاتها من روسيا إلى مصر وكذلك الدقيق والجلد [6] ".

وقد أثار "جورجى تشيرتشين" فى مراسلاته مع "فاتصلاف فاروفسكى" مرتين على الأقل فى

(5) الحزب الوطنى : تأسس فى ديسمبر 1907 بقيادة زعيم الحركة الوطنية مصطفى كامل وفى عام 1921 إندمج جزء من أعضائه فى الحزب الاشتراكى المصرى.

(6) وثائق خاصة بتاريخ إنشاء العلاقات الدبلوماسية بين الإتحاد السوفيتى ومصر ، الحياة الدولية 1964 رقم 6 ص 158.

يومى 15، 25 أبريل عام 1923م ما يلى:- "كما تذكرون، فإنه كان من الواضح أن الاقتراح الداعى لإقامة العلاقات الدبلوماسية مع مصر يمكن أن يثار بالتوجه مباشرة إلى وزير الخارجية المصرى – ولقد طلبنا من سيادتكم أن تقوموا بذلك من خلال موقعكم فى روما ، حيث كان من الأسهل تنظيم هذا الأمر "[7] إلا أن "فاتصلاف فاروفسكى" كان موجوداً فى "لوزان" فى ذلك الوقت حيث إستؤنفت أعمال المؤتمر وكانت عودته من الصعوبة بمكان، ثم لقي مصرعه على أيدى إحدى فرق البيض (يقصد المناهضين للسلطة السوفيتية) – المترجم.

وقد بذل السفير "نيكولاى ايوردانسكى" سفير الإتحاد السوفيتى الجديد فى إيطاليا محاولته فى متابعة ما بدأه "جورجى تشيرتشين".

وفى يناير 1924م وجه سيادته رسالة إلى وزير الخارجية المصرى "واصف غالى بك" ضمت عرضاً لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. وطبقاً لمعلومات "نيكولاى ايوردانسكى" فإن رسالته قد وصلت إلى حيث وجهت [8]. إلا أن جواباً لم يصله بشأنها. حيث لم يكن لدى السلطات المصرية الرغبة فى التعاون مع السوفيت، فى الوقت الذى ألقت فيه القبض على الشيوعيين المصريين، وزجت ببعض المهاجرين الروس وراء القضبان حيث كانت مصر فى ذلك الوقت موطناً لمجموعتين كبيرتين تنتميان للإمبراطورية الروسية. وكانت المجموعة الأكبر يقترب عددها من- ألفين شخص- تم اجلاؤهم من "نوفوسيبيرسك" بمعرفة القوات البريطانية فى عام 1920م، أما المجموعة الأخرى (الأصغر) والتى لا يمكن تحديد عدد أفرادها فيدخل فيها أولئك الذين فروا من روسيا بعد هزيمة الثورة الروسية الأولى 1905م – 1907م هرباً من اضطهاد السلطات القيصرية. ولم يتمكنوا من العودة إلى أوطانهم بسبب الحرب الأهلية.

وفى عام 1919م تشكلت فى العاصمة المصرية الشمالية (يقصد الإسكندرية) -المترجم- لجنة تضم المنفيين والمهاجرين الروس [9]، وشارك نفراً منهم بفعالية فى الحركة الثورية المصرية [10]، ومن المحتمل أن يكونوا هم الذين شكلوا حلقة الوصل بين الشيوعيين المصريين والكومنترن (الأممية الشيوعية)، الأمر الذى أدى إلى ترحيل 34 من المهاجرين الروس بالقوة على احدى بواخر الأسطول التجارى السوفيتى [11].

أثار طرد فرد من المهاجرين الروس الذين لا يعتبرون ضمن مواطنى الاتحاد السوفيتى ردود فعل حادة فى موسكو، وانعكس ذلك سلباً على تطور حركة التجارة مع مصر من خلال الأسطول التجارى السوفيتى، وظهر ذلك فى التقرير حول الوضع الدولى، والسياسة الخارجية للإتحاد السوفيتى فى عام 1925م، حيث جاء فيه: "كان على الأسطول أن يرفض إرسال سفنه إلى الموانئ المصرية [12]".

ووجه المفوض الشعبى للشئون الخارجية "جورجى تشيرتشين" برقية غاضبة لنظيره المصرى

(7) نفس المرجع.
(8) نفس المرجع ، ص 159.
(9) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية . القسم 317 ، الوصف 820/1 ، ملف 508 ، ص 6.
(10) بالتفصيل عن ذلك انظر : السيد رفعت تاريخ الحركة الإشتراكية فى مصر 1900 – 1925 الإصدار الخامس القاهرة 1981 ، ص 185 – ص 187.
(11) بالتفصيل عن ذلك انظر بيلياكوف (فلاديمير): مصر الروسية . موسكو 2008 ، ص 118 – ص 122.
(12) وثائق السياسة الخارجية للإتحاد السوفيتى . الجزء التاسع 1964، ص 637.

"ذو الفقار باشا" معرباً فيها عن إحتجاج قاطع على ذلك. وأعرب فيها كذلك عن الأمل الراسخ بألا تتكرر مثل هذه الحوادث فى المستقبل [13]، إلا أنها تكررت فى السنوات 1928م - 1929م حيث أرسل الاتحاد السوفيتى عدد 13 أخرين من المهاجرين الروس المشهورين بأرائهم المؤيدة للسوفييت [14] إلا أنه تم طردهم فى وقت لاحق.

ووفقاً لما ورد بالتقرير الخارجي بمفوضية العلاقات الخارجية فى بداية عام 1931م. [15] فإنه " على الرغم من الإحتجاجات القوية من قبل قباطنة السفن لدينا ، فإن السلطات البريطانية تواصل الضغط فى بعض الموانئ الفلسطينية والمصرية على بعض الشخصيات التى ليس لديها تأشيرات لدخول الإتحاد السوفيتى [16] ، ومع ذلك فإن نفرا من المسئوليين المصريين كان يعمل على إقامة العلاقات البدلوماسية مع الإتحاد السوفيتى مثل "سيداروس بك" القائم بالأعمال المصرية فى بريطانيا العظمى ، الذى أعرب عن اعتقاده بأنه طالما أن الأمور لديهم (يقصد أعضاء البرلمان المصرى) تسير لصالح الحكم الذاتى ، فإن الفرص ستكون سانحة أكثر لإقامة العلاقات. والتقى الدبلوماسى المصرى مرتين مع نظيره السوفيتى فى بدايات عام 1926م وفى محادثاته معه أشار إلى أهمية شراء الاتحاد السوفيتى للقطن المصرى بالنسبة لمصر [17]. إلا أن مبادرة "سيداروس بك" هذه لم تجد أصدائها فى القاهرة فى ذلك الوقت ، ولا يزال الاتحاد السوفيتى ينتهز الفرص من أجل توطيد وإقامة علاقات طبيعية مع مصر". وكتب وزير الخارجية "ليف كارخان" فى لقائه بنظيره التركى "يعقوب سوريتس" فى 2 يناير 1928م "وعلى الرغم من كل الصعوبات فإنه يجب علينا الآن العمل على إقامة العلاقات الدبلوماسية مع مصر" [18].

بدون وساطة.

قامت أزمة تصدير القطن فى عام 1926م - وهو المحصول الرئيسى الذى يعتمد عليه اقتصاد البلاد، حيث تراجعت أسعاره بسبب التوسع الكبير فى زراعته بالسودان ، ورغبة فى مساعدة الفلاحين الذين تعرضوا للتهديد بالفقر، فقد قامت الحكومة بشراء كل المحصول لمدة عامين على أمل بيعه عندما ترتفع الأسعار. إلا أنه لم يحدث أن إرتفعت الأسعار ، وهنا تذكر المصريون أن روسيا هى واحد من أكبر المشترين للقطن المصرى. وفى نهاية عام 1927م جرت فى أنقرة مباحثات بين ممثلى سفارات الاتحاد السوفيتى ومصر حول استئناف التجارة بين البلدين.

وفى 31 ديسمبر من نفس العام قدم وزير التجارة المصرى إلى مجلس الوزراء فى مصر تقريراً حول سير المحادثات بهذا الشأن قائلاً : " أنه لمن صالحنا التخلص من الوسطاء" [19] وكانت قد نمت قبل ذلك بعض الصفقات فى - بورصة مانشيستر وليفربول- . وبعد شئ من التأخير وافقت الحكومة على استئناف التجارة مع الاتحاد السوفيتى.

وهكذا ظهرت فى مصر أول بعثة - ممثلية سوفيتية بالإسكندرية فى عام 1928م .. إلا أنه ووفقاً

(13) نفس المرجع ، الجزء الثامن موسكو 1963 ، ص 477 – ص 487.
(14) بكر عبد الوهاب ، نظرة على النشاط الشيوعى فى مصر 1921 – 1950 ، القاهرة 1983 ، ص 35.
(15) الإدارة السياسية الحكومية المتحدة ، فرع الأمن الحكومى.
(16) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الفيدرالية ، القسم 5 ، الوصف 11 ، ملف 76 ، الجزء 55 ، ص 1.
(17) وثائق خاصة بتاريخ إنشاء العلاقات الدبلوماسية بين الإتحاد السوفيتى ومصر ، ص 159 – ص 160.
(18) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الفيدرالية ، القسم 4 ، الوصف 17 ، الملف 108 ، الجزء الثانى ، ص 2.
(19) دار الكتب والوثائق القومية ، الملف 0750050424 ، ص 1.

لما أدلى به "أناتولى ماركوف" المهاجر الروسى والذى كان يعمل بالجهاز البوليسى بالإسكندرية ، فإن العاملين بالبعثة " لم يمارسوا فقط عمليات شراء القطن ، وإنما مارسوا أيضاً تعزيز الدعاية لصالح اعتراف مصر باتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية فى الأوساط السياسية المحلية .. الأمر الذى أدى إلى إلقاء القبض على أعضاء البعثة السوفيتية فى عام 1929م وطردهم من البلاد [20] ".

بالرغم من هذا الحادث المؤسف ، تطورت التجارة بين البلدين ، حيث إزدادت أهمية تنمية التجارة بين مصر والإتحاد السوفيتى خلال اندلاع الأزمة الاقتصادية العالمية فى 1929م.

ووفقاً لما جاء على لسان وزير التجارة المصرى "عبد السلام فهمى" فإنه فى منتصف الثلاثينات كان الاتحاد السوفيتى يشغل مرتبة رابع أكبر دولة مستوردة للقطن المصرى [21] ، وفى المقابل زودت بلادنا مصر بمنتجات النفط والمنسوجات ، وفى عام 1933م أنشئت فى مصر شركة خصيصاً لاستيراد وتوزيع النفط السوفيتى [22].

إن التطور المطرد للتجارة مع الاتحاد السوفيتى قد أدى إلى دفع مصر لإقامة علاقات طبيعية بين الدولتين ، وهكذا أعلن رئيس الوزراء "يحيى باشا" فى البرلمان المصرى عام 1933م ، أنه ينظر لإقامة علاقات دبلوماسية مع الإتحاد السوفيتى ، لا سيما بعد الحد من مخاطر الدعاية الشيوعية[23].
"ومع ذلك فإن الخوف من الخطر الأحمر" ظل قائماً بشكل ملحوظ فى دوائر الحكم فى مصر، ويتضح ذلك من خلال الحقيقة التالية ، حيث قامت الحكومة المصرية بحظر ومصادرة كتاب "هنرى باربيوس" عن "ستالين" وكذلك كتاب "جان جاكوب" عن "لينين" ، بغرض تحقيق الأمن الداخلى على المستوى الاجتماعى [24].

وقد أدى نشوب "الحرب العالمية الثانية" ، وغزو القوات الإيطالية لمصر من الأراضى الليبية فى سبتمبر 1940م إلى تعقيدات خطيرة للوضع السياسى فى البلاد . فتحولت المشاعر إلى معادية لإنجلترا لدى بعض النخبة السياسية الموالية للفاشية ، إعمالاً بمبدأ (عدو عدوى - صديقى) ، بينما أعلنت القيادة البريطانية التى صارت مصر بالنسبة لها قاعدة رئيسية فى الشرق الأوسط أنها لا تنوى أن تلعب دور الطابور الخامس .

وفى 4 فبراير 1942م قامت القوات البريطانية بمحاصرة القصر الملكى (قصر عابدين) فى القاهرة وتم توجيه إنذار "للملك فاروق" : إما أن يعهد إلى قادة البورجوازية الوطنية (حزب الوفد) بقيادة "النحاس باشا" ، بتشكيل حكومة جديدة ، وإما أن يتنازل عن العرش ، وأختار "الملك فاروق" الخيار الأول . وقامت الحكومة الجديدة بإجراءات إعتقال العناصر الموالية للفاشية والمعادية لبريطانيا ، وأخذت الأوضاع تتجه تدريجياً نحو أن تكون طبيعية. وبصرف النظر عن أن (الاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى) صارتا حلفاءاً فى الإئتلاف المعادى للهتلرية .. فإن مصر لم تكن فى عجلة من أمرها بشأن إقامة علاقات دبلوماسية مع السوفيت ، حيث لم تكن نتائج الحرب قد إتضحت بعد ، وبحلول أوائل عام 1943م أصبح من الواضح أن قوى المحور تتقهقر وأن

(20) أناطولى ماركوف شاركى : لخدمة الملك المصرى – دار نشر روسكايا ------ ، باريس ، رقم 18763-5-1955.
(21) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الفيدرالية ، القسم 87 ، الوصف 1 ، الملف 2 ، الجزء 21 ، ص 40.
(22) نفس المرجع ، ص 6 ، ص11.
(23) نفس المرجع ، ص 14.
(24) نفس المرجع ، ص 35.

هزيمتها صارت مسألة وقت. واستطاعت قوات الحلفاء طرد القوات الفاشية من مصر وبعد ذلك منيت القوات الفاشية بهزيمة ساحقة فى ستالينجراد.

صدى ستالينجراد فى القاهرة

يكتب المبعوث السوفيتي إلى لندن "إيفان مايسكى" فى مذكراته أنه بعد معارك - ستالينجراد - قام السفير المصرى فى لندن "نشأت باشا" بدعوتى لتناول الإفطار معه فى السفارة، وكان قبل ذلك لا يعير الإنتباه لوجودى، فقد تغير سلوكه تجاهى بشكل مفاجئ.

وخلال تناول الإفطار، جرى حديثه حول إمكانية قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وأعرب عن إرتياحه لذلك.. وقد أجبته بأننى أتفق مع معاليه، وهنا طلب من الحكومة المصرية التى كان يتزعمها فى ذلك الوقت "النحاس باشا رئيس حزب الوفد الوطنى البورجوازى" أن تقوم بتقديم هذا الإقتراح بالصورة المناسبة على المستوى الرسمى إلى الحكومة السوفيتية [25].

ومر وقت ولم تصل أى رسالة من طرف الحكومة المصرية، وكان التعطيل من قبل الديوان الملكى.. إلا أنه كانت هناك حركة للأمام بخصوص هذا الأمر، ففى 19 مايو أبدت الحكومة المصرية استحساناً بشأن إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الإتحاد السوفيتى، وفى 30 يونيو تم إعتماد القرار الخاص بهذا الصدد [26].

ولم يتمكن "إيفان مايسكى" من الحصول على معلومات عن ذلك وهنا تم استدعاؤه على وجه السرعة إلى موسكو. وكان طريقه من لندن إلى موسكو يمر عبر - الدار البيضاء فالقاهرة فطهران -.

وخلال توقفه فى القاهرة فى الخامس من يوليو أجرى الدبلوماسى السوفيتى زيارة "للنحاس باشا" واتفقا على ما يلى: " أن يتوجه رأس الحكومة المصرية إلى كسفير للإتحاد السوفيتى فى بريطانيا العظمى برسالة يعرب فيها عن رغبة مصر فى إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى وسأغتنم هذه الرسالة معى، ولدى وصولى إلى موسكو سأقوم بتقديمها فورا لتكون محل إهتمام الحكومة السوفيتية، وستقوم الحكومة السوفيتية بدورها بالرد على رسالة "النحاس باشا" بالموافقة. وبذلك ستكون العلاقات الدبلوماسية بين البلدين قد أقيمت.

وسيتم تبادل اللجان اللازمة لذلك فى كل من (موسكو والقاهرة). وفى اليوم التالى تلقى "إيفان مايسكى" فعلاً رسالة رسمية من "النحاس باشا" ولاقت هذه الرسالة رضى كاملاً فى موسكو [27].

وفى 26 يوليو كتب "إيفان مايسكى" الرد "للنحاس باشا" وذكر فيه: " إن الاتحاد السوفيتى يقبل عن طيب خاطر اقتراحكم بإقامة علاقات دبلوماسية بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وبين مصر، وأنه جاهز لتبادل السفراء فى أقرب وقت ممكن " [28].

(25) إيفان مايسكى، قرار، ص 680.
(26) جارياتشكين ج. ف. " ستالينجراد أعطى الموافقة " بمناسبة 65 عاماً على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الإتحاد السوفيتى ومصر، الأرشيف الشرقى رقم 18، 2008، ص 69.
(27) إيفان مايسكى، قرار، ص 680.
(28) نفس المرجع، ص 35.

وتم إرسال تلك الوثيقة إلى القاهرة عبر لندن حيث استلمها "نشأت باشا" واحتجزها لبعض الوقت ثم إستلمها "النحاس باشا" فى 23 أغسطس.

وفى الوقت نفسه تم تعيين "إيفان مايسكى" نائباً لوزير الخارجية، وسافر بدوره من موسكو إلى لندن لإستكمال إجراءات إعتماده كسفير. وفى 25 أغسطس وصل "مايسكى" إلى القاهرة على أمل اللقاء هناك برئيس الحكومة المصرية .. إلا أنه تبين أن الحكومة المصرية قد إنتقلت إلى الإسكندرية لقضاء عطلة الصيف، وفى اليوم التالى توجه "إيفان مايسكى" إلى الإسكندرية حيث ألتقى "بالنحاس باشا" وتلقى رداً إيجابياً على رسالته وإتفق معه على إصدار بيان مشترك.

ونورد هنا مقتطفاً من مذكرات ذلك الدبلوماسى السوفيتى: "لقد أعربت عن ارتياحى بالنهاية السعيدة التى آلت إليها محادثاتنا. وسألت فى أى تاريخ سنعلن عن قيام العلاقات الدبلوماسية بين بلدينا؟ وأطرق "النحاس باشا" للحظة ثم هتف بحماس: سوف نعتبر العلاقات قائمة من تاريخ اليوم 26 أغسطس 1943م، حيث يشهد اليوم إنتهاء المفاوضات بهذا الشأن .. وبالإضافة إلى ذلك فإن اليوم يشهد أيضاً إحتفالا كبيرا، حيث يحتفل المسلمون جميعهم بمقدم "رمضان الكريم" .. وركض "النحاس باشا" إلى النافذة المفتوحة ثم إلتفت إلى وتابع:

- أنظر .. المدينة كلها مزينة بالأعلام و الناس يتجولون فى شوارعها فى مرح وسعادة .. أنه يوم تاريخى ورائع للإعلان عن بداية العلاقات بين بلدينا.

- حسناً .. حسناً .. ليكن ـ 26 أغسطس من العام 1943 ـ عيداً لتاريخ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى ومصر .. وأمل أن يتذكر خلفاؤنا فيما بعد ذلك التاريخ بارتياح.

فهتف "النحاس باشا": نعم .. نعم .. أنا لا أشك فى ذلك 29. وكان مقر إقامة رئيس الوزراء المصرى حسب ما أورده الدبلوماسى الروسى يقع فى فندق رائع وفخم على شاطئ البحر مباشرة [30].

إتفق "إيفان مايسكى والنحاس باشا" حول إصدار بيان مشترك فى القاهرة وموسكو فى نفس الوقت يوم 7 سبتمبر 1943م، إلا أنه تأخر صدوره فى موسكو لمدة يومين بسبب ظروف الإتصالات الصعبة إبان زمن الحرب العالمية.

فى التاسع من سبتمبر نشرت جريدة " إزفستيا " الرسالة التالية: " فى الأونة الأخيرة قام نائب وزير الخارجية "إيفان مايسكى" ووزير الخارجية المصرى "مصطفى النحاس" باسم حكومتيهما بتبادل الرسائل وفى المحصلة فقد تم الإعلان عن قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين اعتباراً من 26 أغسطس عام 1943، كما تمت الموافقة على تبادل السفراء [31].

ووفقاً للمعاهدة المصرية البريطانية عام 1936 فإن إنجلترا وحدها تمتلك الحق فى افتتاح سفارة لها فى مصر، وإن الدول الأخرى تمثل من خلال بعثات دبلوماسية لكنها برئاسة سفراء.

وفى 14 أكتوبر عين الاتحاد السوفيتى الدبلوماسى المخضرم "نيكولاى نوفيكوف" سفيراً

(29) نفس المرجع، ص 35.
(30) نفس المرجع، ص 35.
(31) جريدة " إزفستنيا " موسكو 9/9/1943.

مفوضاً فوق العادة فى مصر .. وعلى هذا النحو تم إيضاً إعتماد ممثلين دبلوماسيين ـ ليوغوسلافيا واليونان ـ [32] باعتبارهما تملكان جاليات من المهاجرين بمصر .

وكان "عبد الرحمن سلطانوف" المستعرب ذو الخبرة العظيمة من أوائل الدبلوماسيين السوفييت الذين تم تعيينهم فى القاهرة ، حيث شغل منصب سكرتير ثان ، وكان من قبل يعمل ـ باليمن ـ . وعندما أستقبله ممثل الخارجية المصرية بالمطار رحب به بالفرنسية وربما لم يرق ذلك لسلطانوف فصمت ولم يرد التحية .. وكتب المهاجر الروسى "أناتولى ماركوف" : " قام ممثل الخارجية المصرية بتكرار التحية باللغة الإنجليزية ، إلا أن الضيف واصل صمته فكرر ممثل الخارجية كلمات ترحيبية إلى اللغة الإيطالية ، إلا أنه ووجه بنفس رد الفعل . وبعد صمت محرج وثقيل خرج سلطانوف بسؤال باللغة العربية لا يخلو من السخرية : أخبرنى .. ألا تتحدثون العربية هنا ؟!

وصار هذا الموقف معروفاً فى كل مكان حيث جذب تعاطف المصريين لكل أعضاء البعثة السوفيتية ، حيث اعتادوا على أن أحداً من الدبلوماسيين الأجانب المعتمدين فى القاهرة لم يكلف نفسه عناء تعلم لغتهم " [33].

وكان "نيكولاى نوفيكوف" يرافقه مستشار البعثة "دانيل سولود" قد وصلا إلى القاهرة قادمين من طهران على متن طائرة عسكرية بريطانية فى 23 نوفمبر وأستقرا فى البداية فى فندق ـ شبرد بوسط القاهرة ـ وسرعان ما إستأجرا فيلا من طابقين على الضفة اليسرى لنهر النيل قبالة الطرف الجنوبى لجزيرة الزمالك . وكما كتب فى مذكراته "نيكولاى نوفيكوف" أنه " وفى نهاية نوفمبر كان العلم السوفيتى يرفرف فوق ساريته وسط هذه الفيلا" . (التى أصبحت سفارة الإتحاد السوفييتى ، وهى الآن مقر ـ البعثة الدبلوماسية الروسية بالقاهرة ـ) المترجم .

فى الخامس والعشرين من نوفمبر قام "نيكولاى نوفيكوف" بزيارة "النحاس باشا" بصفته وزيرا للخارجية ، وسلمه نسخة من أوراق الإعتماد ، ولم يتم تسليم أوراق الاعتماد إلى "الملك فاروق" لإعتماده إلا فى الخامس والعشرين من ديسمبر وذلك بسبب ظروف مرض الملك نفسه .

وجرت فعاليات الاحتفال باعتماد السفير السوفيتى بين أروقة ـ قصر عابدين ـ بشكل رائع حيث خصصت عربة فخمة تجرها أربعة خيول يتقدمها جوادان يعتليهما فارسان من سلاح فرسان الحرس الملكى ، واصطف حرس الشرف عند المدخل حتى بوابات القصر وعزفت فرقة الأوركسترا النشيد الوطنى المصرى أولاً ثم النشيد الوطنى السوفيتى ، وألتقى "الملك فاروق" بالسفير "نيكولاى نوفيكوف" بينما كان يرتدى جلالته الزى العسكرى الإحتفالى .

وسلم السفير أوراق إعتماده لرأس الدولة المصرية (الملك فاروق) وتبادلا كلمات وجيزة .

وهكذا تم الاعتراف رسمياً "بنكولاى نوفيكوف" رئيساً للبعثة الدبلوماسية للإتحاد السوفيتى فى مصر .

(32) نوفيكوف ن. ف. طريق ومفترق طرق الدبلوماسيين ، موسكو 1976 ، ص 30 ، ص 9 – ص 10.

(33) أناطولى ماركوف شاركى : البلاشفة فى مصر والمصريون فى موسكو ، دار نشر روسكايا ميصل ، فرنسا ، رقم 547 ، 22/4/1923.

الخطوات الأولى

بصرف النظر عن هزيمة الفاشيست فى "ستالينجراد" ثم فى "كورسك" إلا أن النصر كان لا يزال بعيداً ، وبذلك كانت المسألة الأساسية أمام الدبلوماسيين السوفييت هى تعزيز الدعاية لنجاحات وانتصارات الجيش الأحمر ، وبطولات الشعوب السوفيتية و الإبلاغ عن جرائم النازيين فى المناطق المحتلة .

فى أوائل عام 1944م أنشئ فى مصر الصندوق الاجتماعى لمساعدة سكان الاتحاد السوفيتى المدنيين ، وذلك بمبادرة من امرأة روسية هى "إيرينا أوفيشينكوفا" إبنة أحد المهاجرين الذين وصلوا إلى مصر عقب قيام الثورة فى روسيا القيصرية وكان تاجراً كبيراً .. ولعب نجاح هذا المسعى دوراً كبيراً فى إبراز الوضعية الإجتماعية لهذه السيدة ، حيث كانت متزوجة من أمير يونانى يدعى "بيوتر" وهو ابن عم "الملك جورج الثانى" ، وتم تعيين رئيس الوزراء السابق "شريف صبرى" لرئاسة هذا الصندوق كما ضم مجلس إدارته محافظ القاهرة ووزير المالية والمقربين للملك ، وكان المتحدث الرسمى باسمه هو الكاتب الشهير الدكتور "طه حسين" .

كتب "نيكولاى نوفيكوف" فى مذكراته : " أن مثل تلك الجمعيات الخيرية لم يكن يتوقع منها المساعدات المادية الكبيرة ، إلا أنه لا ينبغى التقليل من شأن أهميتها السياسية ، حيث استطاعت أن تكون حلقات هامة كان من شأنها تعزيز التعاطف الشعبى المصرى مع الإتحاد السوفيتى " .

بدأت حملة لجمع التبرعات فى 15 مايو 1944م بعرض الفيلم الوثائقى "ستالينجراد" فى سينما "أوبرا بالقاهرة" . وحضر هذا العرض النخبة السياسية وعلى رأسها "الملك فاروق" . وتمكن الصندوق من شراء - 4391 زوج من الأحذية - من أموال التبرع وإرسالها لأيتام فى "ستالينجراد". ومن جانبها قامت الحكومة المصرية بتسليم شيك بمبلغ 1000 (ألف جنيه مصرى) لشراء ما يلزم لصالح أطفال "ستالينجراد" .. ومع الإقتراب من نهاية الحرب تنامت فى مصر حركة للمطالبة بالإستقلال الحقيقى للبلاد .. وإنعكاساً لهذه المشاعر أدلى رئيس الوزراء "النحاس باشا" فى 26 أغسطس 1944م بخطاب طويل طالب فيه بإلغاء معاهدة 1936م غير العادلة وانسحاب القوات البريطانية عن وادى النيل . ونجم عن ذلك الخطاب إستياء بالغ من قبل السلطات البريطانية فطلبت من الملك إقالة "النحاس باشا" وحل مجلس الوزراء ، ولبى الملك طلب الإنجليز ، ففى 8 أكتوبر 1944م قام بتعيين "أحمد ماهر" رئيساً للوزراء وطلب منه تشكيل حكومة جديدة .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت العلاقات الدبلوماسية المصرية السوفيتية فى التدهور .. ، وانعكس ذلك ليس فقط على موقف الحكومة الجديدة ، وإنما أيضاً على حلفاء الإتحاد السوفيتى ، والتحالف المناهض لهتلر .

وكتبت مجلة "كوليرز" الأمريكية فى 17 فبراير 1945م إن الخوف والشك فى روسيا صارا على درجة عظيمة ، وفى بعض الأحيان كان السؤال يطرح نفسه مع من نحارب ؟ هل مع ألمانيا ؟ أم مع الاتحاد السوفيتى؟ .

كان لنضج المتغيرات فى المناخ الدولى تأثير على الحالة المزاجية للدوائر الحاكمة فى مصر والتى ترتبط بشكل وثيق مع الغرب. وفى أغسطس 1945 لم يتم نشر مقال واحد إيجابى عن الاتحاد السوفيتى فى الصحف العربية (الوطنية).. و ذكر ذلك فى استعراض الصحافة الذى قدمته البعثة الدبلوماسية السوفيتية فى القاهرة .

بعد أقل من عام فى: 5 مارس 1946م قدم "ونستون تشيرشل" رئيس الوزراء البريطانى خطابه - سئ السمعه- فى مدينة - فولتون الأمريكية-، والذى يعتبر بمثابة إشارة بدء الحرب الباردة بين الغرب والاتحاد السوفيتى، وبطبيعة الحال انحاز النظام الملكى المصرى إلى جانب الغرب .

وكان "إيفان مايسكى" و "النحاس باشا" على حق حيث لم يتذكر خلفاؤهما تاريخ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفيتى بشئ من السرور، لا سيما وأن التعاون بين بلدينا لم يتخذ مناحيه المتعددة إلا خلال فترة الستينات. تلك الفترة التى تستحق أن نفرد لها بحثا مفصلا.

26 **أغسطس** 1943

الذكرى 70 لإستعادة العلاقات الدبلوماسية بين روسيا ومصر

جينادي جاريانشكين*

قبل 70 عاماً مضت وفي 26 أغسطس عام 1943م أقيمت العلاقات الدبوماسية بين الاتحاد السوفيتي ومصر. ونشرت صحيفة "ازفستيا" بعددها الصادر في 9 سبتمبر عام 1943م تقول: "تم في الفترة الأخيرة تبادل المذكرات بين- إيفان مايسكي- نائب مفوض الشعب للشئون الخارجية و- مصطفى النحاس- رئيس الوزراء وزير خارجية مصر بأسم حكومتيهما والتي أسفرت عن إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين إعتبارا من 26 أغسطس عام 1943م. وينص الإتفاق بينهما على تبادل المبعوثين وإقامة العلاقات الدبلوماسية".

وفي 14 أكتوبر عين- نيكولاي نوفيكوف- كأول سفير فوق العادة ومطلق الصلاحيات للإتحاد السوفيتي بمصر، علماً بأنه حصل في عام 1930م على إختصاص مستشرق – خبير إقتصادى من معهد الإستشراق في لينينجراد. وفي عام 1938م بدأ العمل في مفوضية الشعب للشئون الخارجية وفى أواسط عام 1939م تولى إدارة قسم الشرق الأوسط فى المفوضية المذكورة.

يعد- الكسندر سلطانوف- القنصل في الممثلية السوفيتية القادمة فى بلاد الأهرام كان أول من "طرق الدرب الى القاهرة عبر طهران". وقال فى حديث مع كاتب هذه المقالة في ديسمبر عام 1991م إن مجئ- نيكولاي نوفيكوف- إلى الشرق الأوسط قد تأخر بسبب تعقيدات فترة الحرب. أما القنصل نفسه فقد إستغرقت رحلته حتى وصل القاهرة شهراً ونصف من أجل التحضير لمجئ السفير وإستجلاء الوضع.

وصل "نوفيكوف" الى العاصمة المصرية جواً في 23 نوفمبر عام 1943م. وبعد يومين سلم أوراق أعتماده الى "النحاس باشا" الذى قال: "يسعدني الترحيب بكم بصفتكم أول مبعوث رسمي للإتحاد السوفيتي في مصر. وأنا أشعر بالإرتياح البالغ لأقدام الحكومة التى أترأسها على طرح مبادرة إقامة العلاقات الدبلوماسية مع بلادكم الجبارة. وأعتبر ذلك نجاحا دبلوماسيا ليس بالنسبة الى مصر فقط بل وبداية مرحلة جديدة في وجودها الوطني".

وأجاب "نوفيكوف" عن هذه التحية التي تجاوزت أطر البروتوكول الرسمي بقوله: "انه لشرف كبير بالنسبة لي أن أمثل الاتحاد السوفيتي في بلاد مثل مصر ذات الحضارة العظيمة التي

* أستاذ التاريخ العربى الحديث والمعاصر - جامعة موسكو.

تمتد الى أعماق التاريخ ، والبلاد العريقة وفي الوقت نفسه الفتية المتطلعة الى المستقبل بكل كيانها. لقد ثمنت الحكومة السوفيتية كل التثمين الارادة الطيبة لمصر، ولن تبخل من جانبها بالجهود من أجل تطوير علاقات الصداقة بين بلدينا".

وفي أواخر عام 1944م عاد الى الوطن الدبلوماسي المحنك- نيكولاي نوفيكوف- الذي " عمل دوما على صيانة علاقات الصداقة بين الاتحاد السوفيتي ومصر" بأقامة صلات طيبة مع الشخصيات السياسية والاجتماعية المصرية خلال فترة زمنية قصيرة . وفي يناير عام 1945م وصل بدلا منه " الكسي شيبورين" .

في الواقع سبقت هذه النهاية السريعة والسعيدة كما يبدو فترة بذلت فيها جهود جسيمة قام بها الإتحاد السوفيتي وممثلو الأوساط الاجتماعية ورجال الاعمال البعيدو النظر في مصر .

لقد نشأت العلاقات الدبلوماسية بين مصر و روسيا منذ عام 1784م ، وبعد ثورة أكتوبر واصلت مصر الإعتراف بالمسئولين السابقين في السفارة الروسية والقنصلية العامة حتى 6 اكتوبر عام 1923م حين قرر مجلس الوزراء إيقاف نشاطهما. ولم يكن ذلك إعترافاً بالسلطة السوفيتية، بل بالعكس لم تتم اقامة أية علاقات معها.

كان "غيورغي تشيتشيرين" مفوض الشعب للشئون الخارجية قد طرح منذ يناير عام 1923م مسألة تبادل البعثات الدبلوماسية أمام الوفد المصري في مؤتمر "لوزان" حول الشرق الاوسط ، لكن أعضاء الوفد أعلنوا أنهم يريدون هذه المبادرة في جوهر الأمر ، إضافة إلى أن النظام الإستعماري البريطاني لا يجد مسوغات قانونية لعرقلة إقامة العلاقات الدبلوماسية مع مصر بعد ان حصلت الأخيرة على إستقلالها الشكلي في عام 1922م . وكتب مفوض الشعب إلى "فاتسلاف فوروفسكي" سفير الاتحاد السوفيتي في ايطاليا في 25 ابريل عام 1923م يقول : "انكم ستلتقون المصريين بلا ريب في لوزان ، فأرجو استغلال هذه الفرصة للشروع في نهاية المطاف بهذه المسألة وتسليم الحكومة المصرية الدعوة لأقامة العلاقات الدبلوماسية". وتم تركيز الانتباه في المحادثات مع الوفد المصري وكذلك في رسالة "تشيتشيرين" الى "فوروفسكي" على المنفعة المتبادلة لتطوير العلاقات التجارية.

بعد إغتيال "فوروفسكي" في مايو عام 1923م تولى هذه القضية "نيكولاي يوردانسكي السفير السوفيتي في إيطاليا". فوجه رسالة إلى- يوسف غالي بك وزير الخارجية المصري- إقترح فيها " إقامة علاقات سياسية وتجارية بين البلدين وبالأخص أخذاً بنظر الإعتبار العلاقات الاقتصادية المتينة التي جمعت بين روسيا ومصر على مدى أعوام طويلة".

وبالرغم من أن الإنتخابات البرلمانية أسفرت عن تشكيل حكومة في القاهرة من قبل حزب الوفد الوطني النزعة فأنها لم تتقدم على ان تطرح رسميا مسألة إقامة العلاقات مع الإتحاد السوفيتي، وحدث الشئ ذاته فيما بعد لدى مجئ الوفد الى السلطة. إذ كانت الإمبرالية البريطانية تسيطر على السياسات المصرية ضمن أمور غيرها .

مع ذلك جرت لقاءات بين الدبلوماسيين- السوفيت والمصريين في أنقرة ولندن وباريس- طوال العشرينيات والثلاثينيات. ولم يكن الجانب المصري يعارض في إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين ، لكنه كان يطرح بصورة متشددة مسألة وجوب أن يعترف الإتحاد السوفيتي بعدم شرعية نظام الإمتيازات الأجنبية الذي منح البلدان الاوربية حق التمتع بالامتيازات في البلدان

الاخرى وأن يتخلى عن خوض الدعاية الثورية في أراضي مصر وعن مبدأ تصدير الثورة.

تخلى الإتحاد السوفيتي عن نظام الإمتيازات بمصر في أكتوبر عام 1923م، وقد إلتزم بهذا دائماً، إذا ما تذكرنا أن الحكومة السوفيتية كشفت فور قيام ثورة اكتوبر المعاهدات السرية لحلف(انتانتا) حول تقسيم العالم العربي. اما بصدد الدعاية الشيوعية فإن الأمر في هذا المجال كان أكثر صعوبة، فقد كان يرفع حيال هذه البلاد شعار الثورة العالمية أيضا، وكان الحزب الشيوعي والإتحاد العام للكادحين في مصر الذي يسيطر عليه يرسلان أعضاءهما الى موسكو حيث كانوا يتعلمون في الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق المسماة بأسم "يوسف ستالين". وبعد التخرج من الجامعة كانت كوادرهما تعود إلى مصر، حيث تنخرط في النشاط الثوري بنشاط. وكان يجري إعتقالهم ومحاكمتهم وزجهم في السجون. خلاصة القول ان السلطات المصرية كانت تعلم ما يتلقاه الشباب المصري من علوم في موسكو. وبلغ الأمر حد إن المفتين في البلاد كانوا يصدرون الفتاوي بإدانة الشيوعية والبلشفية. وكان مما اثار المخاوف لدى السلطات الاستعمارية والمصرية أن السكان المحليين كانوا حسب قول "الأهرام": يسعون إلى معرفة التغيرات الجارية في روسيا السوفيتية. و نشأ وضع بتسم بالمفارقة: فمن جانب كانت القيادة السوفيتية ترغب في إقامة علاقات دبلوماسية مع مصر، ومن جانب آخر كان العمل- على قدم وساق- على إعداد الكوادر الثورية في الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق سبباً يولد النفور من روسيا السوفيتية.

لا ريب في ان التركيز على تطوير العلاقات التجارية مع هذا البلد الافريقي كان يعطي ثماره، فقد أدرج البرلمان المصري في جدول أعماله اكثر من مرة مسألة التجارة مع الإتحاد السوفيتي، وإستغلال السوق السوفيتية لمصلحة مصر. وذكر الكثير من النواب فيه أن روسيا كانت قبل الحرب تستورد نسبة 10 بالمائة من القطن المصري في بورصة الاسكندرية مباشرة ، وكانت تنافس الاوربيين بنجاح مما جلب منافع لمصر لا شك فيها.

بدأت الصفقات التجارية في مجال القطن (عبر بورصتي مانشستر وليفربول) والاخشاب والمنتجات النفطية وغيرها تعقد في فترة اعوام 1923م – 1931م ثم حلت فترة ركود وتوقفت إرساليات القطن. وكانت حصة مصر في عام 1925 الملائم جداً بالنسبة الى التجارة الخارجية للاتحاد السوفيتي تعادل 2.6 بالمائة. وهذا يقل كثيراً عن مستوى ما قبل الحرب. بيد أن هذه الإنجازات المتواضعة واجهت محنا قاسية: فتارة كان الجانب المصري يفرض رسوما مضاعفة (بتأثير السلطات الاستعمارية البريطانية ورجال الأعمال البريطانيين) وتارة اخرى كان يجري تفريغ السفن السوفيتية(:"لإعتبارات الامن") خارج حدود مياه ميناء الاسكندريبة، أو يحظر نشاط الشركات التجارية السوفيتية في الاسكندرية بسبب حدث سياسي ما. وقد ألحقت هذه الاجراءات خسائر جسيمة بمصر بالدرجة الاولى.

بعد انضمام مصر الى عصبة الأمم في عام 1936م، وكان الاتحاد السوفيتي عضوا فيها منذ عام 1934م، أصبحت العلاقات بين البلدين تخضع لأحكام ميثاق الرابطة الذي يعترف به الجانبان قانونياً. وبدأ منذ عام 1939 التحضير بشكل جدي لإستئناف العلاقات الدبلوماسية. وفي ذلك العام جرت مفاوضات بين ممثلي البلدين إختتمت بإتخاذ قرار مبدئي حول استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في 21 أغسطس. إلا إنه وبعد أقل من عشرة أيام نشبت الحرب العالمية الثانية...

لم تشارك مصر في الحرب بصورة مباشرة لكن العمليات القتالية جرت في أراضيها ، إذ أن المانيا وحليفاتها كانت تضع الآمال الكبار على الحملة العسكرية في افريقيا الرامية الى بلوغ مناطق حقول النفط في الشرقين الادنى والاوسط .

بدأت الحملة بغزو الايطاليين لمصر في سبتمبر عام 1940م ، وبعد ذلك وعقب طرد القوات الايطالية من مصر جرى إنزال الفيلق الافريقي بقيادة المارشال "روميل" الى ليبيا بمساعدة الايطاليين في فبراير عام 1941م . وفي صيف عام 1942م زحفت الوحدات المدرعة لروميل التي كانت تحتاج الى القيام بوثبة قصيرة فقط من اجل أن تصبح الإسكندرية تحت اقدام المنتصر، لكن هذا الزحف لم يتم. فقد اجهض هجوم الالمان في يوليو ، وفي نوفمبر تراجع الالمان نحو الغرب تحت ضربات القوات الانجليزية ، وتواصل تراجعهم أكثر فأكثر ، حتى إجلاء فلولهم بحراً إلى ايطاليا.

لقد كان السبب الرئيسي لهزيمة "روميل" في العلمين هو نقص القوى والوسائل . ويفسر ذلك في إن المدافعين عن "ستالينجراد" فرضوا طوق الحصار في هذه المدينة الصامدة الواقعة على ـ نهر الفولجا ـ على قوات ضخمة ـ للرايخ الألماني ـ وصدوا هجمات القوات الهتلرية الواحد تلو الآخر، وبعد ذلك طوقوا ودمروا أو أسروا افراد 22 فرقة المانية (اكثر من 300 ألف رجل) وعلى رأسهم ـ الفيلدمارشال باولوس ـ . أما المارشال الآخر "روميل" فلم يستطع اقناع "الفوهرر" في تلك اللحظة بارسال عدة فرق الى مصر ، وبهذا يتم إنقاذ الحملة العسكرية الالمانية - الايطالية ولم يحصل على أي دعم ; اذ حالت "ستالينجراد" دون توفير هذه الفرصة. وأنقذ الشرق الاوسط من طغيان المستعبد الجديد. وكتبت الصحافة العربية يومذاك تقول:" لقد أنقذت "ستالينجراد القاهرة وبغداد" من الخطر الفتاك". وتواصل الهجوم الظافر للجيش السوفيتي لكن العدو حشد بحلول صيف عام 1943م على الجبهة السوفيتية - الألمانية 236 فرقة و18 لواءاً بينما حشد ضد الحلفاء الغربيين مائة وفرقتين فقط .

لقد أدت الإنتصارات الباهرة التي حققها الجيش السوفيتي في الحرب الوطنية العظمى إلى إحداث إنعطاف لدى الرأي العام المصري بإتجاه دعم التحالف المعادي لهتلر وتنامي التعاطف مع الإتحاد السوفيتي ، كما غيرت بريطانيا موقفها من تطبيع العلاقات السوفيتية - المصرية.

وكان الدبلوماسيون المصريون في العواصم الكبرى يوصون بالحاح الطلب باقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي. واليكم ما كتبه أحدهم من واشنطن:" ستجلب اقامة العلاقات الدبوماسية مع الدولة التي كسبت مكانة عظيمة في العالم وأصبحت دولة عظمى قوية منافع سياسية واقتصادية الى مصر".

جرى إستئناف المفاوضات بين ممثلي وزارتي خارجية البلدين في فبراير عام 1943م. وبدأت الاتصالات الثنائية باجراء لقاء في لندن بين "مايسكي رئيس البعثة الدبلوماسية السوفيتية والسفير المصري حسن نشأت باشا".

وفي 5 مارس وجه "نشأت باشا رسالة الى النحاس باشا" في القاهرة ذكر فيها أن السفير السوفيتي دعاه في في 3 مارس الى مأدبة غداء نوقشت فيها مسألة تبادل البعثات الدبلوماسية ومنها موضوع "الدعاية البلشفية" الموجع بالنسبة الى القيادة المصرية ، وجاء في الرسالة أن السفير السوفيتي أجاب ان هذه الفكرة أصبحت قديمة :" فقد كان "تروتسكي" يعتقد ان من غير الممكن

بناء الشيوعية إلا في حالة إنتشارها في العالم بأسره. أما - ستالين - فيعتمد وجهة نظر مغايرة مفادها أن من الواجب بذل الجهود من أجل إقامة النظام الشيوعي في روسيا. أما بصدد السياسة الخارجية الستالينية فإنها تقوم على أساس منح الحرية التامة الى البلدان التي لم تحصل على إستقلالها بعد". وأضاف "إيفان مايسكي" قائلا : أن روسيا تهتم في تقديم المساعدات الشاملة الى مصر في هذا المضمار.

وفي مايو عام 1943م وجهت "وزارة الخارجية المصرية" رسالة إلى مجلس الوزراء تضمنت عرضاً موجزاً للعلاقات الدبلوماسية مع روسيا منذ إقامتها والمحاولات لأستئنافها ، وورد في ختام الرسالة التوصية " ببحث هذه المسألة إيجابياً : "أن دخول الاتحاد السوفيتي الحرب قد غير الوضع ، ولا ريب في أن الاتحاد السوفيتي سيصبح أحد أهم المبادرين لوضع معاهدة الصلح وسيكون له دور كبير في بناء النظام العالمي الجديد".

وفي 29 مايو من عام 1943م وافقت الحكومة المصرية على الإعتراف بالاتحاد السوفيتي ، وكلفت وزير الخارجية باتخاذ الإجراءات اللازمة اللاحقة، وفي 30 يونيو صادق مجلس الوزراء على قرار بشأن إستعادة العلاقات الدبوماسية بين البلدين وبهذا بدأت مرحلة جديدة في العلاقات السوفيتية - المصرية.

العلاقات المصرية الروسية
(شراكة الماضى فى ثوب المستقبل)

بقلم
د. نورهان الشيخ *

مقدمة :

تمثل ثورة 25 يناير فرصة حقيقية لإحداث تغييرات جوهرية فى السياسة الخارجية المصرية ، وتدشين مرحلة جديدة تتضمن توظيف ما لدى مصر من رصيد ضخم وقدرات دبلوماسية ودور تاريخى فى الانطلاق برؤية وأدوات تحقق المصلحة الوطنية المصرية ، وتصون الأمن القومى المصرى بمفهومه الشامل .

فقد شهد العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين بدء حقبة جديدة فى العلاقات الدولية تتضمن تحولاً تدريجياً إلى نظام دولى متعدد القوى . وقد أصبح هذا التغير حقيقة واضحة . فالنجم الأمريكى آخذ فى الأفول سريعاً منذ منتصف العقد الماضى ، حيث تتراجع الهيمنة الأمريكية، وتتصاعد قدرات أخرى مثل الصين وروسيا وغيرها من القوى الآسيوية المهمة والفاعلة إقليمياً، التى ترغب فى لعب دور مؤثر فى إطار نظام دولى أكثر توازناً وربما أكثر عدالة أيضاً. الأمر الذى دفع كثير من المتخصصين إلى الاعتقاد بأنه إذا كان القرن التاسع عشر هو القرن الأوروبى، والقرن العشرون هو القرن الأمريكى، فإن القرن الحادى والعشرين هو القرن الآسيوى . صحيح إن هذه القوى الصاعدة لا تستطيع حتى الآن فرض أجندة عالمية ولكنها استطاعت تحجيم الولايات المتحدة وإعاقة حركتها فى مواقف عدة . وسوف تتضح معالم هذا التغيير وتتأكد خلال السنوات القادمة وما تنطوى عليه من تداعيات للأزمة المالية العالمية ، وتفاعلات بين روسيا والصين من جانب والولايات المتحدة من جانب آخر . وهو أمر يبدو طبيعياً، فتتبع تاريخ العلاقات الدولية وتطورها يؤكد إن سيطرة أى قوة على قمة النظام الدولى مهما طالت مدتها إلى زوال .

فى ضوء ما تقدم يتعين على السياسة المصرية التحرك فى إطار استشراق مستقبلى ، ولا يعنى هذا بالطبع التخلى عن دوائر الحركة الحالية ، والتى تظل مهمة ومحورية على الأقل فى المستقبل المنظور ، وإنما دعم علاقاتها بالقوى الآسيوية عامة ، وروسيا والصين خاصة ، لاسيما فى المجالات الاقتصادية والتقنية ، وربما العسكرية أيضاً ، حيث تتميز الشراكة مع الدول الآسيوية عامة بأنها أكثر عدلاً وإنصافاً للطرف المصرى ، ولا تنطوى على شروط سياسية تمثل

* أستاذ مساعد العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة .

تدخلاً فى الشئون الداخلية لمصر. كما إن الدول الآسيوية أكثر استعداداً لنقل التكنولوجيا بما فى ذلك know how ، الأمر الذى سيضيف دون شك للقدرات المصرية، ويضمن استقلال قرارها السياسى.

وعلى مدى العقود الستة الماضية كان الاتحاد السوفيتى ثم روسيا الاتحادية شريكا مهماً لمصر. ولقد مثلت زيارة الرئيس الروسى فلاديمير بوتين لمصر فى أبريل 2005، والتى كانت الأولى منذ عام 1964 ، وشملت أيضاً فلسطين ومقر جامعة الدول العربية نقطة تحول فى العلاقات المصرية الروسية ، وعكست تقدير القيادة الروسية لمصر ومكانتها فى العالم العربى، والرغبة الصادقة فى دفع التعاون بين البلدين قدماً فى شتى المجالات. كما كانت علامة فارقة ليس فقط فى العلاقات المصرية الروسية ، ولكن فى السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط ، وبداية جادة لعودة الدور الروسى فى المنطقة من منطلقات جديدة، وعكست مدى دفئ العلاقات المصرية الروسية والتطور الذى شهدته والآفاق والإمكانات المتاحة لشراكة مستقبلية بين البلدين تضيف الكثير للقدرات المصرية فى مختلف المجالات، على النحو الذى يجعل منها ضرورة تنموية لمصر وذلك بالنظر لحيوية القطاعات التى تتضمنها. وهو ما أكدته زيارة الرئيس ديمترى ميديفيديف لمصر فى يونيو 2009 والتى نقلت العلاقات المصرية الروسية إلى مستوى استراتيجى غير مسبوق ، حيث تم توقيع اتفاقية للشراكة الاستراتيجية بين البلدين وتكثيف الاتصالات المنتظمة فى المجال السياسى.

إلا أنه لا يجب توقع شراكة مع روسيا أو دور كالدور الذى كان يلعبه الاتحاد السوفيتى ، ليس فقط لاختلاف المقومات والامكانات الروسية الحالية عن تلك التى كانت متاحة للاتحاد السوفيتى- ولكن- وهو الأهم ، اختلاف رؤية القيادة الروسية الحالية للدور الروسى دولياً واقليميا، وربطها بين هذا الدور والمصالح الروسية ، وإنطلاقها من منظور تعاونى وليس تنافسيا مع الولايات المتحدة ، وذلك خلافاً لرؤية القيادة فى فترة الاتحاد السوفيتى ، والتى كان يهيمن عليها الاعتبارات الأيديولوجية ومقتضيات المنافسة العالمية مع الولايات المتحدة. ويبدو هذا طبيعياً فى ضوء زوال التناقض الأيديولوجى بين روسيا والولايات المتحدة بانهيار الاتحاد السوفيتى، وتحول العلاقة بينهما من الصراع والتنافس إلى «الشراكة الاستراتيجية». فلم يعد هناك شرق أو غرب، ولكن هناك ثمانية كبار بينهم روسيا والولايات المتحدة.

فى هذا الإطار ، فإن روسيا لا تسعى إلى تحقيق مكاسب سياسية أو منافسة الولايات المتحدة والتأثير سلباً على علاقاتها بمصر، وإنما إلى شراكة استراتيجية مع مصر بالمعنى الاقتصادى والتقنى ذات عائد اقتصادى مباشر لروسيا، وعائد تنموى حقيقى لمصر.

انطلاقاً مما سبق تبرز مجموعة من المقومات التى تحكم العلاقات المصرية الروسية ونموها المضطرد فى المستقبل ، أهمها:

أولاً- الخبرة التاريخية الإيجابية للتعاون

تعود العلاقات المصرية الروسية بجذورها إلى القرن السادس عشر ، عندما عبر أول رحالة روسى صحراء سيناء عام 1561. كما كانت روسيا من أقدم القوى الكبرى التى ارتبطت بعلاقات رسمية مع مصر ، حيث عينت روسيا قنصلاً لها فى الإسكندرية عام 1784. ولقد اتسمت هذه

العلاقات منذ بدايتها بالود والتعاون وعدم التدخل فى الشئون الداخلية. وكان لروسيا مواقف لا تنسى بالنسبة لمصر.

ففى مارس 1919 بعث لينين قائد الثورة البلشفية فى روسيا برسالة إلى الزعيم المصرى سعد زغلول قائد ثورة 1919، عبر فيها عن دعمه للثورة المصرية وعرض مساعدته للشعب المصرى فى مقاومته للسيطرة الاستعمارية. وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر 1956، أعلن الرئيس خروشوف أنه إذا لم يبادر المعتدون إلى سحب قواتهم فإن الاتحاد السوفيتي لن يمنع المتطوعين السوفيت الراغبين في الاشتراك مع شعب مصر في نضاله من أجل الاستقلال، وهدد بقصف عواصم الدول المعتدية بالسلاح النووي أن لم يتوقف العدوان، وهو الموقف الذي أسهم في إنهاء العدوان الثلاثي على مصر. وفى وقت الحصار الأمريكي الغربي على مصر الناصرية، وازدياد الضغوط الاقتصادية عليها، واقتراب فراغ مخازن الغلال في مصر، أمر الرئيس خروشوف البواخر المحملة بالقمح المستورد لصالح الاتحاد السوفييتي من أن تحول مسارها، وتحط بحمولتها فى الموانئ المصرية.

كما كان للاتحاد السوفيتى دور تنموي فاعل فى مصر خلال حقبة الخمسينات والستينات، تضمن تشييد 97 مشروعاً تنموياً وصناعياً فى مصر، تمثل حتى الآن دعامة الاقتصاد المصرى، ومن أبرزها السد العالى، ومجمع الحديد والصلب، ومجمع الألومنيوم، وأنفاق مجمع أسوان للفحم، وترسانة الإسكندرية، والعديد من مشروعات الرى.

كذلك، كانت روسيا المصدر الرئيسى لتسليح الجيش المصرى وتطويره وتحديث منظومته الدفاعية، وقد خاضت مصر حرب السادس من أكتوبر 1973 اعتماداً على التكنولوجيا والأسلحة الروسية، والتدريب الروسى لكبار العسكريين المصريين والذى تميز بالكفاءة والجدية.

ثانياً- التقارب الدينى والثقافى والحضارى

هناك تقارب دينى وثقافى وحضارى واضح بين مصر وروسيا فقد خضعت روسيا لحكم التتار المسلمين فى القرن الرابع عشر خلال حكم الأمير تيمور، ومنذ ذاك الحين انتشر الاسلام فى ربوع روسيا ليصل عدد المسلمين فى روسيا إلى 20 مليون مسلم أى حوالى 14% من إجمالى عدد سكان روسيا الاتحادية، ينخرطون فى نحو 3500 منظمة دينية إسلامية تعمل في روسيا، وفقا لتقديرات رئيس مجلس المفتين في روسيا الشيخ راوي عين الدين في 20 ديسمبر 2007 خلال خطبة عيد الأضحى.

كما أن هناك جامعة إسلامية روسية في قازان عاصمة جمهورية تتارستان الروسية تم تأسيسها عام 1998. ويمارس مسلمى روسيا كل الشعائر الدينية بحرية تامة داخل روسيا، كما ازداد عدد الحجاج الروس على نحو ملحوظ حيث توجه 23,5 ألف مسلم من روسيا إلى المملكة العربية السعودية لتأدية فريضة الحج عام 2008.

وقد كانت روسيا حريصة على إبراز هذا التقارب الدينى والحضارى والتأكيد عليه من خلال طلب عضوية منظمة المؤتمر الاسلامى فى أكتوبر 2003، وقد حصلت روسيا بالفعل على صفة مراقب فى المنظمة، كما منحت روسيا فى عام 2007 صفة مراقب في المنظمة الإسلامية

للتربية والثقافة والعلوم «الإيسيسكو»، وتم تشكيل مجموعة عمل تحت مسمى الرؤية الاستراتيجية «روسيا ـ العالم الإسلامي»، عقدت اجتماعها الرابع في جدة في أكتوبر 2008.

من ناحية أخرى، فإن غالبية السكان فى روسيا يعتنقون الأرثوذكسية، وهو نفس المذهب الذي يعتنقه الأخوة المسيحيون فى مصر. وأكد الرئيس ميدفيديف أثناء زيارته لدير مار جرجس في القاهرة خلال زيارته لمصر أن «وحدة الكنائس الأرثوذكسية والشعوب الأرثوذكسية تشكل شرطا هاما لتطور بلداننا سلميا». كما اعترف بطريرك الكنيسة الروسية الراحل الكسي الثاني للسلطة الفلسطينية بدورها في حماية الأماكن المسيحية المقدسة التابعة للكنيسة الروسية في الأراضي المحتلة، تأكيداً لروح الود والثقة المتبادلة بين روسيا والعالم الإسلامى عامة.

على صعيد آخر قامت روسيا فى عام 2007 ببث المحطة الفضائية الإخبارية الروسية باللغة العربية «روسيا اليوم». لإتاحة فرصة التواصل المباشر بين روسيا والعالم العربى عامة، والتعريف بالثقافة والمجتمع الروسى، ونقل صورة صحيحة للأحداث الجارية ليس فقط فى روسيا ودول الكومنولث ولكن على الصعيد الدولى أيضاً. وجدير بالذكر أن القيادة الروسية اختارت يوم ميلاد الرئيس السابق حسنى مبارك لبدء البث، وكان أول من أحيط علماً بذلك من القيادة الروسية مباشرة.

كما تم افتتاح الجامعة الروسية فى مصر؛ والتى سيكون لها أكبر الأثر فى إحداث التقارب الثقافى والحضارى بين الشعبين، لاسيما فى أوساط الشباب الذين سيتلقون تعليمهم فيها.

هذا التقارب مثّل عاملاً أساسياً فى عشق الروس لمصر، فروسيا تأتى فى مقدمة الدول المصدرة للسياحة لمصر، ويبلغ عدد السياح الروس القادمين لمصر 2 مليون سائح سنوياً، وفق تقديرات عام 2008، مقارنة بحوالى 350 ألف سائحا روسيا خلال عام 2003.

ثالثا- استعادة روسيا لمكانتها كأحدى القوى الكبرى

دعم الاستقرار السياسى والاقتصادى المتزايد فى روسيا منذ عام 2000 من ثقة مصر وغيرها من دول العالم فى روسيا كفاعل دولى مهم وشريك يعول عليه سياسيًا واقتصادياً، وهو الأمر الذى تأكد فى أعقاب أزمة أوسيتيا الجنوبية.

فرغم أن المواجهة الروسية الورية التى اندلعت إثر القصف الذى قامت به جورجيا لأوسيتيا الجنوبية فى ليل الثامن من أغسطس 2008، تبدو أزمة إقليمية ولا ترقى بالمعايير العسكرية إلى الأزمات الدولية، إلا إنها تعتبر نقطة تحول مفصلية وكاشفة فى النظام الدولى وعلاقات القوى فيه، ولها دلالاتها السياسية لاسيما فيما يتعلق بهيكل النظام الدولى.

فعقب حقبتى الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، واللتين شهدتا انهياراً سريعاً فى القدرات الروسية الاقتصادية والعسكرية ودرجة حادة من عدم الاستقرار السياسى لم تشهدها روسيا منذ انتهاء الحرب الأهلية وإعلان قيام الاتحاد السوفيتى مطلع العشرينات من القرن الماضى، أوضحت الأزمة أن روسيا استعادت مكانتها كقوة كبرى قادرة على الدفاع عن مصالحها وحلفائها وفرض إراداتها فى هذا الخصوص، الأمر الذى اكسبها احترام الدول الأخرى وأعاد الثقة فى روسيا كشريك فاعل ومهم.

ورغم تصاعد حدة السلوك اللفظي من جانب الولايات المتحدة، وتهديدها ووعيدها بمعاقبة روسيا وعزلها عن العالم ، فإن شيئاً من هذا لم يحدث ، ولم تفلح هذه التهديدات في إثناء روسيا عن موقفها . وإزاء التهديد الأمريكي بضم جورجيا إلى حلف الأطلنطي مستقبلاً، وما صاحبه من مناورات أمريكية أوكرانية في البحر الأسود، والمضي قدماً في مشروع الدرع المضاد للصواريخ مع بولندا والتشيك الذى تعتبره روسيا موجهاً إليها وتهديداً مباشراً لأمنها القومي، وكذلك السلوك اللفظي المتغطرس للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش ووزيرة خارجيته تجاه روسيا والذى لم يعد مقبولاً ليس فقط من جانب روسيا بل ومن العالم أجمع ؛ ثبتت روسيا على موقفها بل وصعدت من ردود أفعالها هي الأخرى، وذلك بتوعد بولندا بإمكانية استخدام السلاح النووي ضدها، وتعليق تعاون روسيا مع حلف الأطلنطي ، ثم الاعتراف باستقلال كل من أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا في خطوة كانت بعيدة تماماً عن كافة التقديرات والتوقعات .

فقد عكست الأزمة رغبة القيادة الروسية في تأكيد كون روسيا لاعبا دوليا لا يمكن تجاوزه ، أو اختراق دائرة أمنه القومي ، وهي محاولة من جانب روسيا لاستعادة بعض مواقع النفوذ التي فقدتها منذ سقوط الاتحاد السوفيتي، وتصحيح الخلل في توازن القوى مع الولايات المتحدة إلى علاقة أكثر تكافئا بين شريكين على قدم المساواة في إطار نظام متعدد القوى ينهي الاحتكار والانفراد الأمريكي في إدارة الشأن الدولي . ساعد على ذلك التحسن الملحوظ في أداء الاقتصاد الروسي منذ عام 2000 ، والذى وصل إلى حد الطفرة حيث حقق الاقتصاد الروسي معدل نمو بلغ حوالى 7% سنوياً منذ عام 2003، وفائضاً في الميزان التجاري على مدى السنوات الأخيرة وصل خلال الفترة من يناير - مايو 2008 فقط إلى 48.1 مليار دولار، وفائضاً في الميزانية الفيدرالية بلغ 57 مليار دولار عام 2007. كما تحتفظ روسيا بثالث أكبر احتياطي عالمي من الذهب والعملات الصعبة (597.3 مليار دولار في أغسطس 2008) . كذلك ، استعادة المؤسسة العسكرية الروسية هيبتها وانضباطها، وتطورت قدراتها العسكرية بشكل ملحوظ واستعادة مكانتها كثاني أكبر مصدر للسلاح في العالم. وقد كان انضمام روسيا إلى مجموعة الدول الصناعية الكبرى لتتحول إلى مجموعة الثمانية في يونيو 2002 ، واستضافتها ورئاستها لقمة المجموعة عام 2006 دلالة واضحة على استعادة روسيا لمكانتها في مصاف القوى الكبرى. الأمر الذى دفع دول عدة ومنها مصر إلى المضي قدماً في تطوير علاقاتها مع موسكو في مختلف المجالات .

رابعاً- موقف روسيا من الثورة المصرية

على عكس الكثير من القوى الدولية والإقليمية لم تحاول روسيا التدخل في مسار الثورة المصرية ، بدعم طرف أو قوة سياسية ما على حساب الآخرين، وكان هناك تأكيد على أن مستقبل مصر يقرره المصريون أنفسهم . وهو أمر يكسب روسيا احتراماً وتقديراً، ويجعل من اليسير عليها إعادة تفعيل العلاقات مع نظام ما بعد الثورة . فقد انطلقت موسكو في موقفها تجاه الثورة المصرية من أهمية المحافظة على علاقاتهما بمصر وعلى مصالحهما الاستراتيجية بها، وكذلك مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى كمبدأ عام يحكم سياستها الخارجية . وجاء موقفها متحفظاً إلى حد بعيد، ومؤكدة على ضرورة الحوار والطرق السلمية لتسوية الخلافات السياسية ، مع رفض التدخل الخارجي رفضاً تاماً وقاطعاً .

فقد أعرب الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف في 12 فبراير 2011 عن أمله بأن تستأنف العملية الديمقراطية في مصر بشكل سريع وكامل عبر الإجراءات الانتخابية الشرعية. واعتبر ميدفيديف أنه «من المهم أيضا المحافظة على السلم والوفاق بين مختلف الطوائف في مصر». وفي 2 فبراير أعلن سيرجي لافروف، وزير الخارجية الروسي، أن موسكو لا تعتبر من المفيد فرض «وصفات» وانذارات من الخارج على السلطة والشعب المصريين. وأن السياسيين المصريين والشعب المصري يعرفون كيفية حل تلك المشاكل.

وتعتبر زيارة السيد وزير الخارجية المصري لموسكو خلال الفترة 20ـ 22 ديسمبر 2011 خطوة مهمة للتنسيق ودفع العلاقات الإستراتيجية بين البلدين في فترة ما بعد الثورة حيث تم خلال اللقاء توقيع وثيقة خاصة بجدول المشاورات السياسية بين البلدين لعام 2012. كما سبق وأن قام د. سمير الصياد وزير الصناعة والتجارة الخارجية المصرى بزيارة إلى موسكو في مايو 2011، بحث خلالها مجمل العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين ومراجعة الموقف التنفيذي لتوصيات اللجنة المصرية الروسية المشتركة والإعداد للدورة التاسعة للجنة المقرر عقدها بموسكو، وتشجيع رؤساء الشركات الروسية الراغبة في الاستثمار بمصر وطمأنتهم على استقرار الأوضاع الداخلية.

خامساً. التعاون التقني والاقتصادي في إطار دور تنموي حقيقي لروسيا

في ضوء الخبرة الإيجابية للتعاون في فترة ما قبل الثورة تعتبر روسيا شريك مهم لمصر خاصة في المجالات الاقتصادية والتقنية، كما تتمتع مصر بأهمية إستراتيجية لدى روسيا، وهناك مصالح مشتركة واسعة تربط البلدين.

وقد أكدت روسيا حرصها على استمرار التعاون والشراكة مع مصر في فترة ما بعد الثورة على النحو الذي يعظم مصالح الطرفين. فعقب أسبوع من بدء الثورة المصرية أوضح وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف أن مصر شريك استراتيجي وبلد رئيسي بالنسبة لروسيا في الشرق الأوسط، مشيرا إلى أن روسيا مهتمه بما يحدث هناك ومهتمه باستقرار وازدهار مصر كدولة ديمقراطية.

ومن أبرز مجالات التعاون بين البلدين:

1. التعاون في مجال الطاقة

هناك إقبال شديد من جانب شركات النفط الروسية للاستثمار في قطاع النفط في مصر من خلال المشاركة في عمليات البحث والتنقيب وتطوير الإنتاج. فروسيا تمتلك التكنولوجيا والخبرة اللازمة في مجال الكشف والتنقيب عن البترول واستخراجه، وكذلك في مجال الصناعات البتروكيماوية حيث تعد روسيا من أكبر منتجي البتروكيماويات في العالم. وتعتبر الشركات الروسية خاصة «لوك أويل» و«غاز بروم» من كبرى الشركات العالمية العاملة في مجال الطاقة. وهناك العديد من المشروعات التى بدأت بالفعل بين روسيا ومصر، والتى تعتبر نواة لتطوير التعاون في هذا المجال.

وقدر إنتاج شركة «لوك أويل» الروسية في مصر عام 2004 بنحو 12 ألف برميل يومياً. وقد وقعت الشركة اتفاقيتين جديدتين في عام 2003، الأولى للبحث في منطقة شمال شرق جيسوم

والثانية في منطقة غرب جيسوم في مساحة 176 كم²، وبتكلفة حوالي 26 مليون دولار. وفي عام 2004 انتقل التعاون في هذا المجال إلى التعاون الاستراتيجي الكامل في صناعة البترول والغاز حيث تم الاتفاق على إقامة مشروعات مشتركة مع شركة لوك أويل باستثمارات روسية لإسالة وتصدير الغاز الطبيعي المصري والتوسع في أنشطة البحث عن البترول وانتاجه بخليج السويس. هذا إلى جانب تنمية أعمالها في منطقة امتيازها في غرب عش الملاحة والصحراء الغربية، ليمثل إنتاجها 10% من الإنتاج المصري من البترول.

كذلك انضمت مصر إلى منتدى الدول المصدرة للغاز، الذي أنشئ بمبادرة من روسيا بهدف فك الارتباط بين أسعار الغاز وأسعار النفط والتنسيق بين مصدري الغاز فيما يتعلق بالأسعار وإنشاء خطوط الأنابيب الجديدة لنقله، الأمر الذي يسهم في بلورة سوق عالمي للغاز ويسهم في تحقيق الاستقرار العالمي في هذا الخصوص، حيث تستأثر الدول أعضاء المنظمة الأثنتا عشرة بأكثر من 50% من الإنتاج العالمي للغاز، و80% من إجمالي الاحتياطي العالمي المؤكد له. وقد تم الإعلان عن قيام المنظمة وتوقيع الميثاق الخاص بها في ختام منتدى الدول المصدرة للغاز في موسكو في 23 ديسمبر 2008.

2. التعاون في مجال الطاقة النووية

لاشك أن المستقبل هو للطاقة النظيفة الآمنة والمستدامة، وهنا تبرز أهمية الطاقة النووية ومحطات الطاقة الكهروذرية، وأهمية التعاون المصري الروسي لدعم قدرات مصر في هذا الصدد. وهو التعاون الذي بدأ بالفعل على نطاق محدود لا يتفق مع احتياجات مصر، ولا مع ما يمكن أن تقدمه روسيا من دعم تقني في هذا المجال، حيث يعتبر معهد الطاقة الروسي أكبر المعاهد المتخصصة في مجال الطاقة في العالم، وقام بإعداد وتدريب 150 ألف خبير في مجال الطاقة. كما كان الخبراء الروس أول من ساهم في إنشاء مفاعل «إنشاص» المصري للبحوث النووية خلال الحقبة الناصرية. وتتميز روسيا في هذا المجال أيضاً بالاشراك المحلي والسماح للخبراء المصريين بالمشاركة في التنفيذ والتشغيل، كما تتميز بالثقة وغياب الشروط السياسية.

وقد تم توقيع مذكرة تفاهم بين مصر وروسيا بشأن التعاون في مجال الاستخدامات السلمية للطاقة النووية وتبادل الخبراء وتدريب الفنيين في إبريل 2001، وذلك في مجال الاستفادة من النظائر والسلكروم وتحلية مياه البحر بالطاقة المتجددة، والاستفادة من الاملاح الناتجة من التحلية. كما تم الاتفاق على قيام روسيا بتقديم الدعم اللازم لتشغيل المعجل الاليكتروني الذي اشترته مصر من روسيا، والذي يقوم بانتاج نظائر مشعة تستخدم في تشخيص الكثير من العلاجات لأمراض المخ والقلب والمناطق الحساسة.

كما تم في مارس 2008 توقيع اتفاقية لمدة عشر سنوات تمدد تلقائيا خاصة بالاستخدام السلمي للطاقة النووية لإنتاج الطاقة الكهربائية، وتتيح التعاون بين البلدين في مجالات البحث وتحقيق الوقاية الإشعاعية وحماية البيئة، وتتمكن إحدى الشركات الروسية المعنية، «اتوم ستروي اكسبورت»، بمقتضاها من المشاركة في المناقصة المصرية لبناء أول محطة كهرذرية مصرية.

3 . تنمية البنية الصناعية المصرية

لروسيا دور متزايد وملحوظ فى تنمية البنية الصناعية فى مصر، وذلك من خلال تحديث البنية الصناعية التى شيدت فى فترة الاتحاد السوفيتي ومنها تحديث مولدات كهرباء السد العالى فى مصر لزيادة عمرها الافتراضى 40 عاماً أخرى ، وتحديث الفرن العالى وإعادة تأهيل احدى الغلايات بشركة حلوان للحديد والصلب، وإعادة بناء ترسانة السفن بالإسكندرية، ويتضمن هذا بناء سفن، وإصلاح سفن، والتعاون الفنى، والتدريب، وغيرها من المشروعات .

هذا إلى جانب إنشاء صناعات جديدة مشتركة ، من أهمها الاستثمار المصرى الروسى المشترك فى مصنع للطائرات من طراز «توبوليف 204» يقام فى مدينة أوليانوف بروسيا. وتم توقيع الاتفاقية الخاصة بذلك مع روسيا عام 2002، وقد ساهمت شركة «سيروكو» المصرية بمبلغ 280 مليون دولار فى إنشاء المصنع الذى كان من المقرر أن يبدأ إنتاجه عام 2004. وإقامة مصنع للألمونيوم باستخدام المواد الأولية الموجودة فى الجزء الشمالى الغربى فى صحراء مصر الغربية بالإضافة إلى الأسمنت ومنتجات الصودا. وانشاء مصنع لانتاج حمض الفوسفوريك والأسمدة الفوسفاتية باستخدام إمكانيات مجمع فوسفات أبو طرطور. واقامة وحدة لصهر سبائك المنجنيز الحديدى الناعم بطاقة يومية قدرها 10 أطنان بمصنع شركة سيناء للمنجنيز .

أيضاً الإنتاج المشترك للعديد من المنتجات الروسية فى مصر لاسيما السيارات والشاحنات والجرارات ، وأبرزها سيارات «فاز» و«جازيل» و«اوكا» وشاحنات «كاماز» ومنتجات مصنع ليبيتسك من الجرارات ومنتجات مصنع إيربيت من الدراجات النارية . والتعاون فى مجال صناعات الفلزات والغازات والتعدين والمحركات والصناعات الكيماوية وأجهزة الرى والمحولات .

كذلك الإنتاج المشترك للدواء ، فخلال زيارة الرئيس السابق مبارك لروسيا فى مايو 2004 تم توقيع اتفاق بشأن الإنتاج المشترك للدواء فى روسيا وتوزيع الدواء المصرى فى روسيا والدول المجاورة والتصدير للدول العربية والأفريقية، ومنها خط لانتاج دواء الأنسولين بالتعاون بين شركة سيديكو المصرية وشركة بيوتكنولوجيا الروسية . كما تم توقيع اتفاقية لنقل التكنولوجيا الحيوية المتقدمة إلى مصر وإنشاء مصنع فى مصر للمستحضرات البيوتكنولوجية باستخدام التقنية الروسية .

كما وقعت مصر وروسيا فى أبريل 2007 اتفاق إنشاء المنطقة الصناعية الروسية المتخصصة في الصناعات المغذية للسيارات والطائرات والحاسبات الإلكترونية ، وإنتاج معدات للمحطات الكهربائية والصناعة النفطية، وأجهزة الحاسوب، ووحدات لتحلية مياه البحر، ومعدات طبية، وبعض السلع الهندسية الأخري بمدينة برج العرب الصناعية المصرية على مساحة مليون متر مربع وباستثمارات تصل إلي 2 مليار دولار.

4. التعاون فى المجال الزراعى

من الأهمية بمكان الاستفادة من التقنيات الروسية فى نظم الرى بالتنقيط وبالرش واستصلاح الأراضى الصحراوية وإعادة استخدام ماء الصرف ، وزراعة النباتات المثبتة للكثبان الرملية والتى تزرع ببعض الجمهوريات الجنوبية لروسيا، وذلك من خلال اتفاقية تعاون بين المركز القومى للبحوث بمصر والمعهد الروسى للأبحاث العلمية لنظم الرى تم توقيعها فى مايو 2004. فالمستقبل الحقيقى لمصر هو فى تطوير القطاع الزراعى على النحو الذى يمكنها من إشباع الاحتياجات

الأساسية لمواطنيها. وتمتلك روسيا خبرة واسعة في هذا المجال خاصة إنتاج القمح .

5. تنامى التبادل التجارى

تمثل مصر سوقا مهمة للصادرات الروسية من السلع الاستراتيجية والمعمرة مثل الآلات والمعدات والأجهزة والشاحنات والسيارات والأخشاب والورق والحديد والصلب ومنتجاته ، إلى جانب القمح حيث تعتبر روسيا من أكبر منتجى القمح فى العالم ، وقد وقعت مصر اتفاقاً معها عام 2003 لاستيراد القمح مقابل تصدير سلع مصرية ، وذلك فى إطار التوجه المصرى نحو تنويع مصادر استيراد القمح وتقليل الاعتماد على واردات القمح الأمريكى . وتعتبر مصر من أكبر مستوردي القمح في العالم ، إذ تستورد سنويا 7,3 ـ 8,2 مليون طن. وتشتري الدولة جزءا كبيرًا من القمح لتوفير الخبز للسكان بأسعار مخفضة مدعومة، وتستورد مصر 50% من احتياجاتها من القمح من روسيا، وبلغت قيمة القمح المستورد من روسيا في عام 2008 مبلغ 700 مليون دولار . واثر التحفظ على كمية من القمح الواردة من روسيا غير مطابقة للشروط والمواصفات الخاصة بالاستهلاك الأدمى فى مايو 2009، وثبوت مسئولية الشركة المصرية التى قامت باستيراد القمح كعلف للحيوانات ثم حاولت استخدامه للاستهلاك البشرى ، قام البلدان خلال زيارة الرئيس ميديفيدف لمصر بتوقيع عقدا طويل الأمد بشأن توريد القمح ، والاتفاق على آلية فحص النوعية لضمان المطابقة للمواصفات .

كما تعتبر روسيا سوقاً مهمة بالنسبة للسلع الاستهلاكية المصرية لاسيما الموالح، والملابس الجاهزة، القطن ، الأحذية والمنتجات الجلدية ، الأدوية ، الرخام والسيراميك ، الأرز ، الأثاث . إلا إن المنتجات المصرية تواجه منافسة شديدة فى السوق الروسية من جانب الدول الأخرى لاسيما الصين وتركيا وكوريا التى تقدم منتجات عالية الجودة وبأسعار منافسة أيضاً، وذلك فى ضوء إنفتاح السوق الروسى على العالم .

وقد بلغ إجمالى التبادل التجارى بين مصر وروسيا مليارين و68 مليون دولار عام 2008 ، مقارنة بحوالى 4,872 مليون دولار عام 2005 مثلت الصادرات الروسية حوالى 95% منها (8,872 مليون دولار) .

وقد شاركت مصر فى المعرض العربي الأول «Arabia Expo » الذي أقيم في مركز المعارض الروسي «كروكوس أكسبو» خلال الفترة من 22 إلى 42 أكتوبر 2008 بهدف تشجيع حركة التبادل التجارى بين روسيا والدول العربية، حيث تضمنت أقسام المعرض مختلف المجالات الاقتصادية مثل النفط والغاز، والاتصالات، والآلات والمعدات، والسلع المصنعة، والبناء والتشييد والعقارات، والسياحة، والطب والصيدلة...

6. التعاون فى مجال الفضاء

وقعت مصر وروسيا خلال زيارة الرئيس ميديفيديف فى يونيو 2009 وثيقتين للتعاون في مجال الفضاء ، الأولى بشأن منظومة الإرشاد وتحديد الموقع عبر الأقمار الصناعية «جلوناس»، والثانية تتعلق باستخدام نتائج النشاط الفضائي .

سادساً. التفاهم السياسى والاستراتيجي بين البلدين

هناك تفاهم استراتيجى واضح بين مصر وروسيا حول القضايا التى تهم الطرفين، ويتضح ذلك مما يلى :

1. موقف روسيا من القضايا العربية :

هناك تأييد واضح من جانب روسيا للقضايا العربية، وهو ما تؤكده تصريحات المسئولين والسلوك التصويتى لها داخل الأمم المتحدة . فموقف روسيا من القضايا العربية يتسم بالاعتدال والتوازن وتأييد الحق العربى ، وعليه تعقد آمال الدول العربية فى مزيد من العدالة والتوازن فى مواقف المجتمع الدولى تجاه القضايا العربية المختلفة، لاسيما القضية الفلسطينية .

فروسيا هى «الراعى الثانى» لعملية السلام التى بدأت فى مدريد عام 1991، كما إنها عضو «الرباعية» الدولية المسئولة عن عملية السلام . وتعتبر روسيا وسيطاً نزيهاً، يسعى للتسوية السلمية مراعيا مصالح كافة الأطراف ، كما إنها الطرف الدولى الوحيد الذى يحتفظ بقنوات مفتوحة مع كافة أطراف القضية بما فى ذلك حركة حماس التى تعتبرها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى منظمة إرهابية. كما تتبنى روسيا رؤية تقوم على ضرورة اعتماد مبدأ التسوية الشاملة على كافة المسارات بما فيها المسار السوري والمسار اللبناني . ويظل التوازن هو السمة الغالبة على السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية سواء فى العلاقة مع اسرائيل أو فى موقفها من الفصائل الفلسطينية المختلفة وتأييدها لوحدة الصف الفلسطينى .

ويوضح تطور السياسة الروسية ومواقفها تجاه الصراع العربى الاسرائيلى على مدى الخمسة عقود الماضية أن تغيراً ملحوظاً قد طرأ عليها منذ مطلع التسعينات فى اتجاه الاحتفاظ بعلاقات جيدة ومتوازنة مع أطراف الصراع جميعاً. وعلى النحو الذى أصبح واضحاً أن المعادلة الصفرية (إما/ أو) غير مطروحة فى علاقة روسيا مع أطراف الصراع ، فهى ترتبط بعلاقات جيدة مع إسرائيل، ولكنها فى ذات الوقت تؤيد الحق العربى وتطور علاقاتها بالدول العربية على نحو مضطرد فى مختلف المجالات لأنها لا تجد تناقض أو تعارض بين الأمرين ، لاسيما مع اتجاه عدد من الدول العربية ذاتها إلى الانفتاح على إسرائيل والتعاون معها .

فروسيا تؤكد دوماً تأييدها للحق الفلسطينى وضرورة التزام إسرائيل بتنفيذ كافة الاتفاقات الموقعة والمحافظة على مرجعية مدريد وتطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام . وأن قرارات مجلس الأمن الدولى 242، 833 تعد هى الأساس لإحلال السلام فى المنطقة ، كما تؤكد روسيا على حق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم المستقلة ، وترفض سياسة الاستيطان والعنف باعتبارها لا تخدم العملية السلمية. كذلك أيدت روسيا عدد من القرارات المهمة المتعلقة بالقضية الفلسطينية داخل الأمم المتحدة، منها قرار الجمعية العامة (10/13) فى أكتوبر 2003، الذى يدين تصرفات إسرائيل فى الأراضى المحتلة وبناءها لجدار الفصل العنصرى ، والذى اعتبرته روسيا عملاً غير شرعى . كما تؤكد روسيا ضرورة التطبيق غير المشروط لخطة خارطة الطريق التى تستهدف إقامة دولة فلسطينية . بل إنها نجحت فى استصدار قرار مجلس الأمن رقم 1515 بناء على اقتراح منها والذى يقر خارطة الطريق ويجعل منها قراراً ملزماً بدلاً من كونها مجرد مبادرة من اللجنة الرباعية .

وقد جاءت زيارة الرئيس بوتين لفلسطين فى أبريل 2005 لتؤكد هذا التوجه فى السياسة الروسية، ولعل مراسم استقبال الرئيس بوتين فى رام الله كانت اعترافاً ضمنياً من جانب روسيا بالدولة الفلسطينية، كما أن مطالبته لإسرائيل «بالسعي لمساندة الرئيس الفلسطيني بدلاً من الضغط عليه» مثلت دعماً معنوياً كبيراً للسلطة الفلسطينية ورئيسها. من ناحية أخرى، أحدثت الزيارة تغيراً نوعياً فى السياسة الروسية تجاه السلطة الفلسطينية تمثل فى الاتجاه من الدعم الدبلوماسي فقط على النحو السابق الإشارة إليه، إلى الدعم المادى والفنى الذى وعد به الرئيس بوتين، والذى تضمن إمداد الشرطة الفلسطينية بمروحتين و50 مدرعة انطلاقاً من أن الرئيس محمود عباس لا يستطيع «مكافحة الإرهاب بحجارة في يده»، على حد تعبير الرئيس بوتين، وكذلك، تدريب قادة الشرطة الفلسطينية وأفرادها في موسكو. كما أعلن وزير الخارجية الروسى سيرجى لافروف في المؤتمر الدولي للدول المانحة الذى عقد في باريس في ديسمبر 2007 أن روسيا ستخصص 10 ملايين دولار في عام 2008 كمساعدة مالية للسلطة الفلسطينية.

وإزاء الأزمة التى اندلعت فى 27 ديسمبر 2009 نتيجة القصف الإسرائيلى لقطاع غزة طالبت روسيا إسرائيل بوقف القصف وإطلاق النار في القطاع فوزا، وقامت بتقديم المساعدات الإنسانية للفلسطينيين والتى تضمنت مواد غذائية، وأدوية ولوازم طبية وخيم ومحطات توليد كهربائية. وأعلن سيرجي لافروف وزير الخارجية الروسي أن بلاده لم توقف اتصالاتها مع حماس، بهدف حثها على التوصل إلى الوحدة الفلسطينية على أساس مبادئ منظمة التحرير الفلسطينية. كما شاركت روسيا في مؤتمر المانحين لإعادة إعمار غزة والذي عقد بالقاهرة في 2 مارس 2009.

كما أبرزت دعوة روسيا لعقد مؤتمر دولى للسلام فى الشرق الأوسط بموسكو، اهتمام روسيا بممارسة دور حقيقى فى عملية التسوية السلمية. ويعتبر المؤتمر استمرارا لما بدأ في أنابوليس بالولايات المتحدة فى نوفمبر 2007، بهدف إخراج التسوية من مأزقها وبدء حوار بين كل الأطراف، وإطلاق مسيرة التسوية السلمية الشاملة التي لم يطلقها لقاء أنابوليس ولا حتى على المسار الفلسطيني، وإقامة دولة فلسطينية تعيش بسلام إلى جانب إسرائيل.

وفى 18 يناير 2011 قام الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف بأول زيارة له إلى فلسطين دون المرور بإسرائيل، الأمر الذى جعل الزيارة سابقة هى الأولى من نوعها حيث جرت العادة أن كل شخصية دولية مهمة تزور فلسطين تزور إسرائيل أيضا لتؤكد عدم تحيزها لأي من طرفي النزاع الفلسطيني الإسرائيلي، إلا أن ميدفيديف «شطب» إسرائيل من برنامج الزيارة، على حد وصف إحدى وكالات الأنباء الروسية. وقد كان لحميمية اللقاء مع الرئيس الفلسطينى محمود عباس، وتصريحات ميدفيديف التى أكدت على ثبات الموقف الروسى المؤيد لإقامة دولة فلسطينية، بل وتشديده على ضرورة أن تكون القدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية، أكبر الأثر فى دعم المحاولات الفلسطينية لإقامة الدولة الفلسطينية. فاستحق ميدفيديف وسام نجمة فلسطين تقديرا للدور الروسى الكبير والمتميز في دعم الشعب الفلسطيني، من أجل الحرية وإقامة دولته المستقلة. والذى لا يقتصر على الدعم السياسى، وإنما يتضمن دعماً اقتصادياً أيضاً، حيث قدمت روسيا مساعدات بلغت قيمتها 30 مليون دولار لفلسطين على ثلاث دفعات قيمة كل منها 10 ملايين دولار في مايو 2006 وسبتمبر 2008 وأكتوبر 2010. كما قدمت لفلسطين 9839 طنا من الدقيق في مارس 2010.

كذلك، رفضت روسيا دومًا استخدام القوة ضد العراق ، وأدانت الضربات الجوية الأمريكية البريطانية على العراق فى يناير ويونيو 1993 وديسمبر 1998 وفبراير 2001. كما عارضت روسيا الخطط الأمريكية بمواصلة العملية المناوئة للإرهاب ونقلها إلى ما تسميه بالدول المارقة وأن يكون العراق هدفا لهذه الحملة بعد أفغانستان . ورفض بوتين مفهوم «محور الشر» الذى طرحه الرئيس الأمريكى جورج بوش فى وصفه للعراق وإيران وكوريا الشمالية، وذكر أن روسيا «تتفهم تجاوز الولايات المتحدة لمجلس الأمن فى قرارها بشن حملة عسكرية ضد أفغانستان إذ أن واشنطن كانت تتعامل مع تهديد فوري . ولكن يجب ألا يكون هناك أى استثناء مشابه فيما يتعلق بشن هجمات على العراق أو إيران أو كوريا الشمالية». وأعربت القيادة الروسية عن قناعتها بعدم وجود براهين موضوعية تثبت تورط العراق فى دعم منظمات إرهابية عالمية بما فى ذلك تنظيم القاعدة ، كما أنه ليس هناك دلائل على امتلاكه أسلحة دمار شامل أو أنه يقوم بإنتاجها .

ولكن رغم نجاح روسيا بالتنسيق مع فرنسا فى الحيلولة دون استصدار الولايات المتحدة قراراً من مجلس الأمن يخولها التدخل العسكرى فى العراق، إلا أنها لم تستطع الحيلولة دون ذلك . وقد ظل الموقف الروسى الرافض للاحتلال الأمريكى للعراق واضحا منذ بدء الاحتلال فى 20 مارس 2003 ، وكان التأكيد الروسى الدائم على ضرورة الإنسحاب الأمريكى من الأراضى العراقية وحل القضية العراقية فى إطار الشرعية الدولية ومن خلال الأمم المتحدة، وحق الشعب العراقى فى اختيار حكومته وإدارة شئون بلاده .

على صعيد آخر، تعتبر روسيا أكثر ميلاً واستعداداً للتعاون مع «العالم العربى» ككيان إقليمى ، وهى بذلك تختلف جوهرياً فى موقفها عن دول كبرى أخرى ترفض من حيث المبدأ مفهوم الوطن العربى وتسعى إلى إذابته فى كيان أكبر «شرق أوسطى» أو «متوسطى» غير متجانس أو محدد الهوية. ويتضح ذلك ليس فقط فى تصريحات القادة الروس وإنما فى إجراءات وسياسات فعلية كان منها إنشاء مجلس الأعمال الروسى العربى عام 2003 بهدف توفير قنوات للتعاون بين رجال الأعمال الروس والعرب كما سبقت الإشارة .

وتعتبر زيارة الرئيس الروسى السابق فلاديمير بوتين لمقر جامعة الدول العربية أثناء زيارته للمنطقة فى أبريل 2005، وزيارة الرئيس الروسى ديمترى ميديفيدف للجامعة وخطابه بها فى يونيو 2009، دلالة خاصة حول أهمية العالم العربي لروسيا، وتأكيد موقف روسيا وقيادتها الداعم لوحدة الصف العربي وللعمل العربي المشترك خلافا لقوى كبرى أخرى تجد مصالحها فى ضرب الوحدة العربية.

2- التنسيق المشترك فى مجال مكافحة الارهاب

هناك اتساق فى الرؤى بين كل من مصر وروسيا للإرهاب وأسلوب مكافحته، وكذلك المنظمات التى تعتبر إرهابية وتلك التى تخرج عن هذا النطاق . وقد تم إنشاء لجنة مصرية روسية مشتركة معنية بمكافحة الإرهاب الدولي عقدت اجتماعها الثالث عام 2008، حيث تم الاتفاق على توسيع نطاق التنسيق والتعاون بين البلدين ليشمل مكافحة الإرهاب الإلكتروني والجريمة الإلكترونية .

3ـ تطابق المواقف خاصة بين مصر وروسيا من قضية الاصلاح فى الشرق الأوسط

وضرورة أن تنبع هذه الاصلاحات من دول المنطقة ذاتها وأن يتم تنفيذها بما يتفق مع ظروف كل دولة من دول المنطقة خاصة تركيبتها السكانية وخصوصيتها الدينية والعرقية والثقافية ، وفى إطار عربى صرف .

4ـ اعتدال موقف مصر من القضايا التى تهم روسيا

حيث تؤكد مصر أن أى قضايا خلافية بين دول رابطة الدول المستقلة هو شأن يخص الدول المعنية ويجب تسويته بالطرق السلمية ، ومثال ذلك موقفها من النزاع بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم ناجورنو كاراباخ . كما تميز الموقف المصرى من قضية الشيشان، ذات الحساسية البالغة بالنسبة لروسيا بالحرص الشديد، وحرصت مصر على عدم إصدار تصريحات تتضمن أى إدانة للحملة العسكرية الروسية على الشيشان سواء الأولى (1994 ـ 1996)، أو الثانية التى بدأت فى سبتمبر 1999. وأكدت مصر أن قضية الشيشان تعتبر شأناً داخلياً لروسيا لا يجب التدخل فيه حفاظاً على العلاقات مع روسيا.

5ـ العضوية المشتركة فى المنظمات الإقليمية

دعمت مصر طلب روسيا للانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامى، وكذلك إنضمامها إلى منظمة التجارة العالمية. من ناحية أخرى فإن مصر عضو فى منظمة الأمن والتعاون الآسيوى والمعروف بمؤتمر إجراءات التفاعل وبناء الثقة فى آسيا (سيكا) والتى أنشأت بناء على مبادرة تقدمت بها الحكومة القازاقية عام 1992. وتضم فى عضويتها خمسة عشر دولة منها مصر وروسيا، وتهدف إلى مواجهة التحديات الأمنية عامة لاسيما الإرهاب، وتجارة المخدرات والأسلحة.

سابعاً ـ الحاجة إلى تطوير التعاون العسكرى

يعتبر التعاون العسكرى هو أضعف حلقات العلاقات المصرية الروسية ، فهو حتى الآن لا يرقى للتطور الحادث فى المجالات التقنية والاقتصادية والثقافية والسياسية . ورغم النهضة التى تشهدها المؤسسة العسكرية الروسية حالياً ورغبة روسيا فى مزيد من التنشيط لتجارة السلاح الروسى ، وما يتيحه ذلك من فرص كبيرة فى هذا المجال ، يظل التعاون العسكرى بين روسيا ومصر محدوداً للغاية.

وقد أعادت مصر فتح مكتبها العسكرى فى موسكو عام 1993، ومنذ ذلك الحين تبادل الجانبان عدداً من الزيارات منها تلك التى قام بها مدير جهاز المخابرات الحربية المصرية لموسكو فى مارس 1996، وزيارة مساعد الرئيس الروسى للشئون العسكرية يرافقه المدير العام لشركة «روس فاروجينيه»، المسئولة عن صفقات السلاح فى روسيا، لمصر فى يناير 1997.

وقد وصل حجم العقود العسكرية بين مصر وروسيا إلى حوالى 450 مليون دولار تم سداد جزء من قيمتها نقداً والجزء الثانى فى مقابل توريد سلع مصرية للجانب الروسى . هذا إلى جانب عقد وقعته وزارة الدفاع المصرية مع أكبر منتج للسيارات «الاندروفر» فى روسيا لتوريد ألف سيارة لمصر بقيمة 9 مليون دولار فى غضون عام 1995. من ناحية أخرى ، توجه وفد إلى روسيا مكون من حوالى300 ضابط مصرى للتدريب على المعدات فى إطار بعض العقود العسكرية الموقعة بين الجانبين.

وفـي عام 2001 تم توقيع صفقة تقوم روسـيا بمقتضاها بتزويـد مصر بنظم دفاع جوى متطور مـن طـراز «اس ـ 125»، وهى نظم حديثة قادرة على تدمير أهـداف جوية معادية على ارتفاع 65 ألف قدم، كما أنها مقاومة للتشويش الإلكترونى .

كما أشـارت صحيفة «فيدوموسـتي» الروسـية إلى إن مصر تعاقدت في عام 2008 على شـراء 14 مروحية روسية من طراز «مي ـ 17» وأنها تتفاوض مع روسيا لشراء غواصتين . هذا إلى جاب صفقة شراء مصر لعدد لا يقل عن 24 طائرة من طراز 35 ـ SU وعدد كبير من طائرات 29 ـ MIG الروسـيه، وذلك بعد الرفض الأمريكي الدائم للطلب المتكرر من مصر لشـراء مقاتلات اعتراضيه من طراز F-15 الشهيرة وذلك للإبقاء على التفوق الجوى للقوات الجوية الإسرائيلية .

ولكـن يظل التعـاون فى المجال العسـكرى أقـل بكثير مما تتيحـه الإمكانيـات المتاحة والاستعداد الذى تبديه روسـيا، ومن الضرورى تطوير التعاون بين البلدين فى المجال العسكرى، ويتضمن ذلك ليس فقط توفير قطع الغيار لبقايا الأسلحة الروسية فى مصر، ولكن عقد صفقات تمكن مصر من الحصول على منظومات من الأسلحة الدفاعية المتقدمة على النحو الذى يمكن مصـر من تطويـر وتنويـع ترسـانتها العسـكرية، وكذلـك تطوير التعـاون فى مجـال تدريب العسكريين المصريين خاصة مع كفاءة التدريب الروسى وتميزه بالجدية .

خـاتمـة

إن روسيا يمكن أن تمثل شريكاً أساسياً فى تحقيق النهضة المصرية المرتقبة، فلديها الخبرة والتكنولوجيا، والرغبة الصادقة فى تقديم مساعدة حقيقية وفعالة، وعلينا تحديد ماذا نريد ؟ وكيـف يمكـن إقامة علاقات التعـاون معها على النحو الـذى يحقق مصالح الطرفين؟ فالقراءة المتأنية لخبرة التعاون مع روسـيا فى الماضـى وما يمكن أن تقدمـه لمصر فى الحاضر والمسـتقبل تؤكد إن الشراكة معها ضرورة تنموية لمصر .

وعلينا فى هذا الإطار تفهم مصالح الجانب الروسى وأنه لم يعد بمقدور روسيا ولا ضمن توجهاتها تقديـم مسـاعدات فنية أو ما شـابه ذلك دون مقابـل . الأمر الذى يصعب معـه تحقيق تعاون على أسـس راسـخة قوية دون فائدة لطرفى التعاون. وقد وضعت روسـيا معياراً موضوعياً لذلك ألا وهو العائد الاقتصادى من التعاون فى أى مجال بما في ذلك المجال العسـكرى .

كما تبرز أهمية دعم وتشـجيع الاسـتثمار المصرى فى روسـيا. فرغم الجهود الروسـية المبذولة لاستعادة ثقة المستثمرين العرب بصفة عامة تظل تلك الاستثمارات أقل بكثير من المستوى الذى تريده وتسعى إليه روسيا نتيجة استمرار إحجام المستثمرين ورجال الأعمال العرب عن الاستثمار فى روسـيا رغم التحسـن فى الأوضاع الاقتصادية فى روسيا والاسـتقرار السياسى الذى تشهده منذ وصـول بوتـين إلى السـلطة ، والزيادة الكبيرة فى حجم الاسـتثمارات المتدفقـة إليها حيث تحتل روسـيا المرتبة الخامسـة بين الدول الأوربية الأكثر جاذبية للاستثمارات الأجنبية المباشرة والتى قدرت بـ 178.5 مليار دولار عام 2008، وذلك نتيجة اسـتمرار التخوف من المجازفة ، وعدم الثقة فى السوق الروسية، وضعف خبرة التعامل معها، والمعرفة بها .

وتشـير البيانـات المتوفرة إلى أن حجـم رأس المال المصرى الذي يعمل في روسـيا محدود للغاية ، وذلك في الوقت الذي ينشـط فيه رأس المال الغربي والإسـرائيلي بقوة في روسـيا غير مبال بالعوائق

التي تقف أمامه. وعمليا لم يحاول رجال الأعمال المصريين ولا الملحقين التجاريين المتعاقبين فى موسكو تأسيس قاعدة معلوماتية لدراسة السوق الروسية للمساعدة في فهم احتياجات هذه السوق كما تفعل الشركات الغربية على سبيل المثال. ومن ثم يواجه رجال الأعمال المصريين الكثير من المصاعب في الدخول إلى السوق الروسية والاستفادة من إمكانياتها الاستيعابية الواسعة.

كذلك فإنه رغم الجهود لتفعيل العلاقات الثقافية تظل هذا العلاقات محدودة نسبياً خاصة على صعيد العلاقات الشعبية بين مؤسسات المجتمع المدنى. وتعتبر مشكلة اللغة أهم المعوقات التى تواجه تطور العلاقات الثقافية بين البلدين، فعدد من يجيدون اللغة الروسية فى مصر محدود للغاية، وهى ليست من اللغات الشائعة فى مصر، ولهذا انعكاساته فى العديد من المجالات.

فمن ناحية يؤدى هذا إلى تعثر حركة الترجمة من الروسية إلى العربية وعدم القدرة على الاستعانة بالمصادر الروسية للمعلومات، بل إن الصحف والجرائد الرسمية الروسية غير متاحة بيسر فى مصر مقارنة بالجرائد والصحف الصادرة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية. وكذلك الحال فى مجال الإعلام حيث يخلو التليفزيون المصرى من أى عروض لأفلام أو برامج روسية، وربما يرجع ذلك فى جزء منه إلى عائق اللغة أيضاً. إلا أن أبرز المجالات المتأثرة بذلك هو مجال السياحة حيث يعتبر عدم وجود عدد كاف من المرشدين الأكفاء باللغة الروسية من أهم معوقات تطوير التعاون السياحى بين مصر وروسيا رغم الآفاق الرحبة فى هذا المجال.



العلاقات المصرية الروسية ما قبل 1943

قصة كتاب

الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر*

تأليف : فولتير

ترجمة : أحمد أفندي عبيد



غلاف كتاب
الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر
دار الكتب والوثائق القومية 2013م

من الصفحات المجهولة في تاريخ العلاقات المصرية الروسية، يشغل هذا الكتاب موقع الصدارة، وهو كتاب – يربو عمره عن 170 عاماً - فى تاريخ الأمم هام هو " الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر"، إذ أنه يصف بين كثير مما يصف - تجربة فريدة ترصد خطة محكمة رسمها القيصر الروسى "بطرس الأكبر" لتحديث روسيا، وخلع رداء التخلف والرجعية الذى اكتست به على مدى قرون، وليجعل منها دولة عظمى تحاكى إمبراطوريتها إمبراطوريات سادت وقتذاك – عثمانية وأوروبية – .

وترجع أهمية هذا الكتاب – الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر - ترجع لسببين رئيسيين: الأول منهما خاص بترجمته – من الأصل المكتوب للمفكر الفرنسى "فولتير"، والثانى لشخصيات ثلاث رئيسية وفرعية كانت محوراً لهذا الكتاب وأقصد بهم ثلاثى التحديث والتنوير: "فولتير" – "محمد على" – "بطرس الأكبر".

فأما السبب الأول لأهمية هذا الكتاب يتمثل فى ترجمته، وهى الترجمة التى تمت بناءاً على طلب والى مصر" محمد على باشا" بنفسه، وقد قدمت له لائحة تضم أشهر الكتابات الفرنسية فأختار من بينها هذا الكتاب ليترجم للعربية ليستفيد منه فى رسم خطط تحديث مصر، بعدما سمع عما أنجزه القيصر الروسى من نجاحات فى هذا الأمر.

فيذكر المترجم الشيخ "أحمد بن عبيد الطهطاوى" فى مقدمته "يقول: راجى غفر المساوئ، أحمد بن عبيد الطهطاوى، أنى لما أغتنمت يد الفخار والعز من الزمان فرصة منتهزة، ألقتنى بمدرسة الالسن التى أنشأها صاحب السعادة قطب دائرة أهل السماح والسيادة الذى ملك رقابنا بآلائه، وأسرا قلوبنا بتفضله ونعمائه، فخر ولاة الأمور الأواخر والأوائل أفندينا الحاج "محمد

- دكتور حسين الشافعي - مجلة أنباء روسيا - الطبعة العربية - العدد(28) - السنة السادسة يوليو 2012.

* مقدمة كتاب "**الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر**" كتبها د. حسين الشافعي ، وقدم له أ.د محمد صبرى الدالي استاذ التاريخ الحديث والمعاصر - إصدار دار الكتب والوثائق القومية - يوليو 2013 .

على باشا "، لازال يرفل فى خلل المفاخر، ويسمو على الأفلاك السبعة الزواهر، حضرة الموان الذى شهدت برفقته غرر الكواكب، فأجاد تربيتى كغيرى حتى حَسُنَ حالى وسيرى، وتعلمت بارشاده من اللغتين ـ الفرنساوية والعربية ـ ما يحتاج اللبيب إلى معرفته، اقتضى رأيه المؤيد، وحزمه المعضد أن أترجم كتاباً عن كتب التاريخ فأختار تاريخ ملك من ملوك الإفرنج تعلو همته بينهم على المريخ، وهو "تاريخ بطرس الأكبر"، الذى فضله بين ممالك أوروبا أشهر من أن يذكر، فأخذت أمره بالطاعة والانقياد، وشهرت عن ساعد الجد والاجتهاد، وشرعت فى نقله من الفرنساوية إلى العربية ـ لا سيما ـ ومؤلفه من كبار الفلاسفة الإفرنجة، وهو الفيلسوف "فوليتر" الذى غاص من بحار الفلسفة أى لجة، ويعد بين أكابرهم أعظم حجة، وإن كان عن الأديان بعيد المحجة، فجاء التعريب بحمد الله على أحسن حالٍ، وأتم منوال، وسميت بـ "الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر"، وعلى الله اعتمادى".

وهكذا .. أنهى "الشيخ أحمد بن محمد عبيد الطهطاوى" تَرجَمَته بعد وفاة الوالى "محمد على باشا".

لقد عكس هذا الكتاب بموضوعه - الذى أختير بعناية - اهتمام "محمد على باشا" بتجارب التحديث الغربية - والروسية منها على وجه الخصوص - فكان بذلك أول حاكم لمصر يستجلب الخبرات من مناحى الأرض ليستفيد منها فى تجربته.

والسبب الثانى لأهمية هذا الكتاب تعود للثلاثى الذى إرتبط بهم الكتاب: أولهم "فولتير" ذلك المفكر الفرنسى الرائد الذى خط الكتاب الأصلى، وثانيهم "القيصر الروسى نفسه"، وهو موضوع الكتاب الرئيسى وثالثهم الوالى "محمد على"، وقد إهتم بالترجمة وبالكتاب.

ولعلنا ـ ونحن نتحسس مواطن التوافق بين ثلاثتهم ـ - وهى بالحق كثيرة - علينا أن نأخذكم إلى عجالة من تاريخ كل منهم، علنا بذلك ندرك ما كانوا فيه متفقين، وعليه مجتمعين.

فولتير



هو المفكر "فرانسوا مارى أروى" المشهور "بفولتير"، (1694م - 1778م)، أحد أهم رموز حركة التنوير الأوروبى، قال: عنه "فيكتور هوجو": إن إسم "فولتير" يصف القرن الثامن عشر كله، لقد كان لإيطاليا نهضة، ولألمانيا إصلاحاً، وفرنسا كان بها فولتير".

استعادة الأجواء التى عاش فيها "فولتير" فيها من العبر الكثير، فى عصر انتشر فيه الإجحاف بالمفكرين والكتاب. دخل "فولتير" السجن عشرات المرات فى معارك كان سلاحه فيها الوحيد هو القلم.

تبنى "فولتير" فكر ـ التسامح الدينى ـ فى زمن ساد فيه التعصب والاضطهاد والحجر على حرية الاعتقاد والضمير، فقاد الجهاد ضد الاستبداد الكنسى ووجه جامَ غضبه على رجال الدين، وتبنى تلك القضية فى كل كتاباته وخاض سجالاتٍ كثيرة ساهمت فى تفكيك سلطة الكنيسة على طريق علمنة فرنسا وأوروبا.

كان نقدُ رجال الدين قاسماً مشتركاً فى أغلب مقالاته وكتبه، فتحدث عما يمكن أن

يقوم به هؤلاء من تجهيل وغش وخداع للناس مستفيدين من هالة مقدسة أحاطوا أنفسهم بها .

وقد كانت الكنيسة العدو الرئيسى لفولتير - كما يرى - ليس فقط "لأن الأباطيل والأحكام المسبقة الدينية هى الأكثر تنافياً مع العقل السليم والأوسع انتشاراً" فحسب ، وإنما لأنها أيضاً "تتسبب فى توليد أكثر المصائب الاجتماعية خطورة ، وتبريرها" .

لهذا أعطى "فولتير" لتحرير العقول والضمائر من الأحكام المسبقة تلك الأهمية الفائقة، ليفسح بذلك المجال أمام الفهم الصحيح للكون ، ولأن فى ذلك ضماناً لإعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية وفقاً لمبادئ العقل .

قضى "فولتير" حياته مكافحاً من أجل "حرية الاعتقاد والتعبير" ، وأطلق شعاره المعروف "إننى قد أختلف مع ما تقول ، لكننى مستعد أن أموت من أجل أن تقول رأيك بحرية" . وأصبحت هذه العبارة شعاراً خالداً ، ومبدأ استند إليه كل دعاة حقوق الإنسان ، والمناضلون من أجل أن يتحرر الفرد من الوصاية المفروضة عليه من الكثير.

عاش "فولتير" حياة مثيرة ومليئة بالإنتاج والكفاح انتهت فى مايو 1778م، وعندما حضرته الوفاة ، جاءه القس ليسمع إعترافاته فسأله "فولتير" عمن أرسله، فقال : الله ، فسأله "فولتير" أن يقدم ما يثبت ذلك فولى القس ولم يعقب، وعند لحظة الموت جاءه قس ثان رفض الغفران له ما لم يوقع على وثيقة تعترف بالله ، وبالإيمان الكاثوليكى الراسخ فطرده ، وسجل الكلمات التالية : "أموت على عبادة الله ومحبة أصدقائى وكراهة أعدائى ومقتى للخرافات والأساطير الدخيلة على الدين" .

وهكذا .. فقد كان يرى أنه "يؤمن بوجود إله واحد مبنى على العقل" كما كان يرى "أن الله ليس وقفاً على دين معين .. إنما هو "الكائن الأسمى والعقل المدبر للكون" ولهذا "يجب سحق الخرافة والتعصب الدينى" .

محمد على باشا



"محمد على باشا" : هو الوالى الذى حكم مصر خلال الفترة من ـ 1805 ميلادية وحتى 1848 ميلادية ـ ومؤسس مصر الحديثة .

ولد "محمد على" على الأرجح فى 1769م ، فى قوله - مقدونيا - بينما يرى عدد من المؤرخين أنه من أصل ألبانى أو كردى وتوفى عام 1849م . كان له "خمسة أولاد" : ثلاث ذكور هم "ابراهيم واسماعيل كامل وأحمد طوسون" ، وبنتان هما "توحيدة ونازلى" من أم واحدة (أمينة). جاء إلى مصر عام 1801م على رأس فرقة ألبانية تاركاً أسرته لمدة عشر سنوات. اتخذ خلالها عشراً من السرارى أنجب منهن 17 ولداً و13 بنتاً.

وعندما نزل الأتراك العثمانيون فى 1803م إلى شوارع القاهرة ينهبون الأسواق ويحتلون الدور ويصادرون البضائع من التجار ، ويغتصبون النساء ، تصدى المشايخ والعلماء لكل ذلك ، واجتمعوا على رفض ولاية الوالى العثمانى "خسرو" مطالبين بتولية "محمد على" محله . وعندما أعلن السلطان العثمانى فرمانه بذلك ، توجه المشايخ والعلماء للوالى الجديد "محمد على" ليعلنوا

ولائهم لـه ، وكفهم عن التدخـل فى حال الأمة .. وهكـذا أصبح محمد على والياً على مصر لا ينازعه فى الحكم أحد .

كانت تحالفات "محمد على" التـى أقامها منذ مَقدَمه لمصر تختلف عـن تلك التحالفات التى كان يعقدهـا من سـبقوه من حكام ، والذين كانوا يحيطون أنفسـهم بأهـل الثقة من الأقارب والمعارف والأهل . لكن "محمد على" جمَع حوله - واسـتجلب - عدداً من الخبراء من الأرمن ، ومن "الفنييـن الفرنسـيين ، والأطباء الإيطاليـين ، والتجَـار البريطانيين" ، وكان منفتحـاً على تجارب العالم وخبراته مع حفاظه على خصوصية الوضع المصرى .

قام "محمد على" بإنهاء سـطوة المماليك فى مصر ، حيث دعاهم إلى القلعة لتوديع ابنه إبراهيم - الذى سيسـافر إلى الحجاز لقتال الوهابيين - وبعد أن دخلوها ، غلق عليهم الأبواب وقتلهم عن بكرة أبيهم ، إلا واحداً !

وجـه "محمـد علـى" عنايته لإصلاح القطـر المصرى ، وبناء مصر الحديثـة ، وكان أهم محاور هذا البناء .. الجيش .

وهكذا ..

فحـين قـدم له أحـد معاونيـه مـن العسـكريين الفرنسـيين - "الكولونيل سـيف" - خطة لتكوين أول جيش مصرى على النمط الفرنسـى رفضهـا ، وكتب على تقرير حوى هذه الخطة برسـالة إلى إبنه الأكبر إبراهيم : يلزم وضع مسـودة هيكل تنظيمى جديد للجيش يراعى أنه أقل عدداً على نمط جيش "السلطان سليمان الثالث" .

فقام بتشـكيل جيـش حديث مَوله من سـيطرته على تجارة الواردات والصادرات . وأنشـأ أول مدرسـة حربيـة للمشـاه سـنة 1820م لإعداد الجنـد المدربين، فـكان التشـكيل الأول للجيش المصرى فى 1823م مكوناً من سـت كتائب، وسـاعد هذا الجيش الوالى "محمد على" على تنفيذ سياسـاته الطموحه لتكوين إمبراطورية تتألف من ـ مصـر والسـودان والشـام والعـراق وشـبه جزيرة العرب ـ ، لتكون ضماناً قوياً للمحافظة على سلامة المنطقة من أطماع أوروبية محققة. كما قام "محمد على" ببناء السفن الحربية وتحسين وتوسيع ميناء الأسـكندرية وإنشاء المصانع الحربية ، ولعله فى ذلك يؤكد ما اسـتقرت عليه خبرات العالم كله من أن تحديث وتطوير أى مجتمع يجب أن يبدأ من تحديث وتطوير جيوشه ، فلن تقوم قائمة لبلد ليس بيدِ جيشها أمره.

علـى نفس المسـتوى أولى "محمد على" اهتمامـاً زائداً بالتعليـم ، إذ كان يـرى أن أولى لبنات الدولـة العصريـة فى مصر يجب أن ترتكز على التعليم ، ونشـر المدارس : "ومنها المدارس الحربية ومدارس الموسيقى ومدرسة الالسن ومدرسة الولادة ومدرسة الطب بالقصر العينى ومدرسة الطب البيطرى ومدرسـة الزراعة" وغيرها . ولإدراكه بعجز الأزهر عن القيام بهذه المهام الجسـيمة عمل على توفير معلمين أكفاء منفتحين على العالم ، وذلك بإرسـال البعثات التعليمية للخارج، كما عنـى بالترجمـة لأمهات الكتب ، وما كتـاب " الروض الأزهر فى تاريخ بطـرس الأكبر" إلا أحد هذه الترجمات الهامة .

وكمـا اهتم "محمد على" بالجيش والتعليم كان اهتمامهُ بباقى النواحى ، فنجده يولىَ ذات الاهتمام ـ للصناعة والزراعة ـ فأنشـأ صناعة النسـيج باسـتخدام الخبراء والصناع المهرة من الدول

الأوروبية في إطار خطة لتدريب العامل والفنى المصرى لإحلالهم محل الأجنبى. كذا أقام محمد على مشروعات كبرى لتنظيم الرى والمياه، فأنشأ القناطر الخيرية لتدخل مصر فى زراعة القطن وتسبق العالم كله بذلك.

كما اهتم بالعمارة، والنهضة فى البناء والهندسة، ووضع لائحة للتنظيم فقسمت الحارات والدروب وسهل المرور بها، وأنشأ المطابع لحث الشعب على التعلم والتزود بالمعرفة.

توفى "محمد على" بمدينة الاسكندرية عام 1265 الهجرى الموافق عام 1849 ميلادى عن عمر يناهز 80 عاماً.

كتاب "الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر" صدرت له طبعة واحدة نشرتها المطبعة البولاقية عام 1266 هجرية.

بطرس الأكبر



يعد القيصر الروسى "بطرس الأكبر" القائد السياسى والعسكرى الأكثر تأثيراً فى تاريخ روسيا، والذى إنتشل بلاده فى بدايات القرن الثامن عشر من حالة التخلف والركود ليرتقى بها إلى مستوى أهم القوى العظمى فى العالم. وقد كانت سياسات "بطرس الأكبر" خليطاً ما بين الغرب والتقاليد الروسية. تماماً كما كانت سياسات "محمد على" خليطاً ما بين الغرب والتقاليد المصرية. فتمكن بذلك "بطرس الأكبر" من النهوض بالبلاد وخلق جيش قوى يزود عن أمن بلاده.

ولد "بطرس الأكبر" فى يونيو 1672م، واستلم الحكم بعد وفاة والده ـ وهو لم يزل فى السابعة عشر من عمره. .

خاض "بطرس الأكبر" حروباً عديدة لعل اولها ما كان فى 1696م - ولم يتعد بعد الرابعة والعشرين من عمره - ضد الاتراك فى "أزوف"، فانتصر عليهم، وأمن بذلك معبراً لروسيا إلى البحر الأسود، كذلك كانت حربه ضد السويد - (1700م: 1721م) والتى خرج فيها أيضاً منتصراً لتصبح بلاده أهم قوة أوربية فى الشرق.

أسس مدينة باسمه - "سانت بطرسبرج"- والتى تغيرت بعد الثورة إلى "ليننجراد"، ثم عادت بعد تفكك الاتحاد السوفيتى لإسمها الأول.

كان "بطرس الأكبر" مؤمناً بأنه لا معنى لأى إمبراطورية ما لم تمتلك جيشاً أرضياً وأسطولاً بحرياً قوياً.

وعليه..

فقد لجأ لتقوية جيش بلاده، وفرض نظاماً للتجنيد الإجبارى بالجيش يكون بموجبه ـ على كل عشرين أسرة تجنيد شاب لخدمة العَلَم ـ. فأرتفع بذلك عدد جنده إلى 250 ألفا، فكان يزورهم باستمرار ويقف مع جنوده فى ساحات المعركة. ولأجل ذلك شقت الطرقات ومهدت، وأنشئت المصانع التى جلب لها خبراء من أوروبا دفع لهم المبالغ الباهظة ليقدموا خبرتهم وخدماتهم لبلاده - تماماً مثلما فعل "محمد على" أيضاً بعد قرن من ذلك التاريخ فى مصر.

إزاء التأثير الكنسي المتزايد ، وقف "بطرس الأكبر" وقفة جريئة أدخل فيها إصلاحات على الكنيسة الأرثوذكسية متهماً رجالها بالكسل والبطالة ، ووضع على رأس هذه الكنيسة رجلا علمانياً ساعده فى القضاء على إستقلالية الكنيسة ، وأجبر جميع أعضاء المجمع الكنسى على أن يقسموا يمين الولاء له ... وأمامه ، ووضع قيوداً على أملاك رجال الدين وعمل على تقليص نفقاتهم .

فى إصلاحاته للتعليم راح "بطرس الأكبر" يرسل البعثات للخارج - كانت كل بعثة تتكون من 150 طالباً - لكل مناحى الأرض بما فيها دول الشرق الأوسط لتعلم اللغة العربية .

أمر "بطرس الأكبر" بترجمة ألف كتاب علمى وتكنولوجى وتاريخى ، وعندما أعلن برنامجه هذا كانت وصيته للمترجمين : لا تترجموا النص حرفياً بل ترجموا محتواه ليصبح وكأنه مكتوباً بلغتنا ، وهو ما عرف "بالترجمة بتصرف" .

وكان القيصر عقلانياً مهتماً بتطوير التجارة والازدهار الوطنى لروسيا ، ورأى فى ذلك الطريق الوحيد للنمو ، وهو أبعد ما يكون عن إهتمام رجال الدين أو شئون الكنيسة الأرثوذكسية .

ولم يخض "بطرس الأكبر" فى حياته أى حرب باسم الدين أو دفاعاً عن المسيحيين الأرثوذكس كما كان عهد الأباطرة آنذاك .

هذا عن الثلاثى الذين إرتبطت سيرهم بموضوع أما عن الكتاب نفسه: "الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر" فهو يحتوى على مقالتين إثنتين : الأولى منها ذات سبعة عشر فصلاً ، وتمثل نصف الكتاب تقريباً ، تستعرض هذه الفصول السبعة عشر الحديث عن روسيا ، وأهاليها ، وجيوشها ، وعوائدها ، ودينها والحالة التى كانت عليها قبل "بطرس الأكبر" ثم تتعرض لوصول بطرس الأكبر للحكم وغزواته ، وترصد إهتمامه بالتعليم بالدول الأجنبية وإكتساب المعارف ومن هنا كان إرساله للغلمان للتعليم ، ونهوض بطرس الأكبر نفسه بمتابعة دراستهم .

وفصول المقالة الأولى تتابع ما حدث من تغييرات فى بنية الدولة من جراء تنشيط الصناعة ، وتطوير المفاهيم والطقوس الدينية وما ترتب على ذلك من تغيير فى عوائد الدولة وأخلاق العامة ، وكما تناقش ما قام به "بطرس الأكبر" من تحجيم دور الدين فى تسيير أمور الدولة . أيضاً تتضمن هذه الفصول : تأسيس بطرس الأكبر لمدينة سانت بطرسبرج ، وما قام به "بطرس الأكبر" من " إيقاع التمدن بممالكه" .

المقالة الثانية بالكتاب - وتشغل النصف الثانى من حيز الكتاب - أشتملت أيضاً على سبعة عشر فصلاً : حوت توثيقاً لأحوال البلاد فى عصر بطرس الأكبر ورصدت تفصيلاً للأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للبلاد ، أفرد لكل منها مساحة أدركت أبعادها فأرخت للتجارة - آنذاك - والدين والأصول والقوانين ، وذكرت ما "أبدعه" "بطرس الأكبر" من الأشغال والمصالح فى البلاد .

وإختتم الكتاب ببعض من الوثائق الامبراطورية التاريخية علاوة على بعض مناقب الإمبراطور "بطرس الأكبر" .

الشيخ "أحمد عبيد الطهطاوى" ، وإن كان قد بدأ فى ترجمة هذا العمل الموسوعى أثناء ولاية "محمد على باشا" ، فقد أنتهى منه خلال ولاية الخديو عباس - والذى حكم مصر بعد ابراهيم

باشـا خلال الفترة مـن 1848م- 1854م- وكتب فى خاتمته " يقول مترجمه من الفرنسـاوية إلى العربية أحمد محمد عبيد افندى الطهطاوى : بعد حمد غافر المساوى، قد صرفت فى ترجمته على صعوبته الهمة وسهرت فى مطالعته وفهمه الليالى المدلهمه واستعنت فيما حواه من المشكلات وما اشتمل عليه من المعضلات بمراجعة صاحب الرفعة رفاعة بيك ناظر قلم الترجمة وتصحيح غالبه بمعرفة العلامة "الشيخ محمد قطة العدوى" ، فجاءت ترجمته على حسب الطاقة متقنة محكمة. ولا أقول مع ذلك انه خلا من الخلل أوعرى من الخطأ ، فان ذلك ليس فى طاقة الإنسان الجامع فى اشتقاقه حروف النسيان لا سيما مثلى ، فانه غريب فى ذلك اللسان. مع ما يضاف إلى ذلك من كون هذا التاريخ معدود من التواريخ السياسية المشحونة بالوقائع والحوادث البوليتيقية، وان مؤلفه من كبار المتفلسفين من العيسوية ومن عظام فصحاء الدولة الفرنساوية ، ومن ذا الذى يجهل خطابة فولتير الشهير، وأن له فى كل فن تأليفاً يعجز عن فهمه الصغير والكبير ، والحمد لله قد تم على أكمل حال وأعظم منوال فى أيام الأصفى الاكرم "الصدر الاعظم" ولى النعمة ورب الهمم الجمة من إنجلى بطلعته ظلام الظلم وتلاشى سعادة افندينا الحاج "عباس باشا" بلغه الله تعالى مابشا وماشا وانعش بفائض جوده وجود المعارف انتعاشا امين فهو جدير بان يمثل عند ذكر جنابه الشريف وتلاوة اسمه المنيف بقول الشاعر :

إنـا لنبنـى على ما شـيدته لنـا أباؤنا العـزَ من عز ومن كرم

إنـى وإن كان قومـى فـى الـورى علمـاً فاننى علـمٌ فى ذلـك العلم

حفظـه الله وأدامـه وخلد أيامـه وأبدا أحكامه وحفظ إلهامه وأسـدل- على سـائر الرعية- أنعامه بجاه ختام المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد كمل إتمامه بالطبع الجميل وحسـن الرسـم والتمثيل "بدار الطباعـة العامرة" الكائنة - ببولاق مصر القاهرة- فى أول العشـرة الاواخر من شـهر ربيع الآخر سـنة سـت وستين ومائتين بعد الالـف من هجـرة من كان يرى مـن الأمام كما يرى من الخلف صلى الله وسـلم عليـه وعلى آله واصحابه المنتمين اليه فى مدة ناظرها المتوكل على مولاه المعيد المبدى "على جودة افندى" فرحم الله من نظر فيه وإليه وستر على ما عثر عليه".

عديـدٌ من الباحثـين في التاريخ يرون أن خطة بنـاء مصر الحديثة الـتي نفذها "محمد على" في كافة الأصعدة ، كانت مطابقة لما إنتهجه القيصر الروسـي من خططِ للتحديث ، ويدل هذا الأمـر بشـكل كبير على أن بناء الدول المعاصرة يعتمـد- أول مايعتمد- على قراءة تجارب الأمم المتقدمة، والانفتاح على خبراتها. على عكس ما نراه في مجتمعاتنا العربية من انغلاق واستدعاء لماضي لم يعد صالحا لرسـم معـالم المجتمع الحديث ، ولن يكون مقبولا بسـبل هذا الماضي ، وقد تخطته البشرية بمستجداتها وتطورها.

فـى قراءة هذا الكتـاب ما يؤكـد أهميـة ما يحتاجه التحديـث والتطوير من رجـالاتِ ، وما يجدد الأمل فى أن تنهض البلاد بهمم رجالِ من ذلك النوع الذى يسـلك فى قيادة أمور بلاده مسـلك المبدعـين، وهـو ما يلزم أن يكون شـاغل رجالاتنا ، وقد هدمت ثورة الشـباب فـى 25 ينايـر 2011 رموز الفساد التى حكمت أمورنا لعقود ، فأصبح الطريق للبناء ممهداً .. فهل نفعل ؟

الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى

قصة أول شيخ مصري مُعمم .. يُدرس اللغة العربية في الجامعة الامبراطورية
نال تقدير القيصر وأهداه خاتماً مرصعاً ورسالة شكر
أدهش الروس بجلبابه وعمامته البيضاء ونشر اللغة العربية في صقيع الشمال
حضر حفلات الرقص .. وسمع الموسيقى واستكمل طريقه

منذ أشهرٍ قليلة مضت ، وفي أواخر عام 2012 ، زرت "مدينة سانت بطرسبرج" الروسية ، وطوال أيام تواجدي لم يكن ثمة حديث مع المستشرقين والجالية العربية المقيمة إلا وقاسمه المشترك الشيخ "عياد الطنطاوي" أول معلم للعربية "بسانت بطرسبرج" ، وقد احتفلت جامعة المدينة بذكرى مولده المائتين بإقامة مؤتمر دولي لدراسة أثاره ومخطوطاته، وشارك في هذا المؤتمر المهتمون من كثير من دول العالم - إلا بلدهُ الأصلي - مصر - . وكأننا نؤكد مقولة - أن لا كرامة لنبيٍ في بني قومه .



فمن هو هذا الشيخ المعمم الذي صار حديث المدينة ؟

هو أحد الأعلام المصريين فى اللغة العربية وأدبها . وهو علم مغمور لأنه سار عكس الاتجاه الذى سار فيه كثيرين من جيله من أعلام مصر ، ففى حين يهم هؤلاء شطر فرنسا ، دفعت الظروف بالشيخ لأن يرحل الى بطرسبرج بروسيا (سانت بطرسبرج اليوم) ، حيث أمضى حياته أستاذا للغة العربية فى جامعتها وتوفى ودفن هناك، واندمجت ذريته من بعده فى المجتمع الروسى . والواقع أن الدراسات العربية قليلة العناية بالشيخ الطنطاوى ، فلم يكتب عنه أحد سوى "أحمد تيمور" فى مجلة المجتمع العربى فى دمشق ، و"محمد عبد الغنى حسن" عبر مقالة تضمنها أحدى مؤلفاته ، ولعل أوفى مصدر عن الشيخ الكتاب الذى وضعه عنه الروسي المستشرق "أغناطيوس كراتشكوفسكى" عام 1929م تحت عنوان (حياة الشيخ محمد عياد



غلاف كتاب
من تراث الشيخ محمد عياد الطنطاوي
دار نشر انباء روسيا 2013م

من مقدمة الدكتور حسين الشافعي ، لكتاب **"من تراث الشيخ محمد عياد الطنطاوي"** - أول معلم للعربية بالامبراطورية الروسية 1840 - 1861 - إصدار دار نشر أنباء روسيا - مارس 2013 .

الطنطاوى) الذى يحوى صوراً طبق الاصل عن رسائل متبادلة بين الشيخ الطنطاوى والمستشرق (النمساوى) كوسقارتن ، وكتابة للطنطاوى عن نشأته أرسلها إلى المستشرق الروسى "فرين" ، فى رسالة كتب فيها :

رسالة الشيخ طنطاوي إلى الخواجة فرين

رد فرين على رسالة الشيخ الطنطاوي

من محلة مرحوم إلى الخواجة فرين

الى حضرة الجناب الوقور الخواجة "فرين" يقول الفقير "محمد بن سعد سليمان عياد الطنطاوى" : ولدت بقرب طنطا بقرية تسمى "نجريد" سنة 1225 (هـ) ، وكان أبى تاجراً للاقمشة والبن والصابون ونحو ذلك . فكان أي يأتى بالبضائع الكثيرة ويفرقها على التجار ، وكان له بيت بطنطا وبيت بنجريد وبيت بالصافية . وأنا ولدت بنجريد مع إن أمى من الصافية واصله (أى الاب) من محلة مرحوم - وهو بلد كبيرة بجوار طنطا ، وكانت منذ ثمانين سنة أثرى وأكثر سكاناً من طنطا ثم بنى على بيك جامع البدوى ، وبنى حوله القيسارية (أى سوق التجارة ودكاكينهم) أخذت طنطا فى العمارة وزادت إلى يومنا هذا . وسبب ثروتها أن السيد البدوى ، أحد الاقطاب الأربعة ، الذى مزاره له مولدان : "مولد صغير ، ومولد كبير" ، وفى كل منهما يأتى أهل مصر والصعيد وسائر النواحى ، فيبيعون ويشترون ، وبها علماء وفقهاء وقراء ، وتعليم القرآن بطنطا أحسن من مصر (أى القاهرة) بخلاف العلم ، ولذلك يقال فى المثل : ما قرآن إلا أحمدى ولاعلم

إلا أزهرى : أحمدى نسبة لمجتمع سيدى أحمد البدوى ، وأزهرى نسبة للازهر . وقد سافر أبى وأمى إلى الحجاز وعمرى نحو أربع سنين وتركونى بالصافية عند اخوالى ثم لما ترعرت ذهبت إلى طنطا فى بيتنا هناك ، وذهبت إلى المكتب وعندى نحو ست سنين . فحفظت القرآن مرتين بداية وعيادة كما هي العادة ثم بعد حفظى القرآن لم اخرج من المكتب بل حفظت فيه متونا كثيرة وألفية ابن مالك فى النحو الخ .. ثم لما كان عمرى عشر سنين ابتدأت فى تعليم العلم فحضرت على المرحوم الشيخ "محمد الكومى" شرح ابن قاسم فى الفقه مدة سنة ، ثم مرة ثانية فى سنة ثانية على المرحوم الشيخ " السيد محمد ابى النجا" عالم شهير مصنف ، ثم حضرت علية شرح الخطيب فى الفقه فى السنة الثالثة .

رحيل الشيخ إلى مصر

ثم يستكمل الشيخ الطنطاوى فى رسالته "للخواجة فرين" ومع ذلك فما كنت ألعب كثيراً ولم أحضر نحواً إلا نحو ثلاثة دروس قبل سفرى ، لأن النحو قليل فى طنطا " ثم فى آخر السنة الثالثة عشرة سنة 1238 (هـ) من عمرى رحلت مع عمى إلى مصر وبعد ذلك تركنا المسكن فى طنطا لكن كنت أذهب إليها فى المولد . وقد اتفق أننى درست فيها كتاباً فى علم المجاز وكتاب مولد النبى صلى الله عليه وسلم .

قبل السفر بـ 4 أيام

" وفى السنة الخامسة من مكثي فى مصر مات والدى فى طنطا ، وقد تكدرت بسبب ذلك نحو سنتين . وكنت قد ابتدأت فى التدريس فيها وأول ما درست فى العروض ، وكان ذلك فى السنة الماضية وقرأت شرح الملوي فى فى المجازوشرح الملوى فى المنطق ، وقرأت تفسير الجلالين وقرأت الشفا وهو آخر الازهر، فأنى ختمته قبل السفر بأربعة أيام ، ثم تراجع الأمر وألجأنى الدهر إلى الكسب، فعاشرت بعض الإفرنج المقيمين فى مصر ، وأول من عاشرته حضرة الخواجة "فرينا" ، وهو يحب اللغة العربية بالطبع فكان يحثنى دائماً على الاشتغال ، وهو الآن قنصل جدة (القنصل الفرنسى فى جدة) .

وبسببه تقويت فى العلوم الأدبية لأننى كنت أقرأها معه وهو كان من أهل التحقيق والتدقيق ، وله توقفات حسنه وبنات أفكار جميلة . وقد كتب رسائل فيما كان يقرأ معى كترجمة الشنفرى وأيام العرب وألخ .. ، ونوه بذكرى فيها ،ثم رغبنى فى اللغة الفرنساوية ولعامين ، ولكن قصر الزمان عاق التمام .

ثم اجتمعت على غيره من الخواجات بسببه .

كالخواجة "وائل النمساوى" والخواجة "بورنير" الحكيم بالقصر العينى سابقاً – وهو رجل حسن الأخلاق والطباع ـ ، يشفى ويبشر المريض قبل علاجه، والخواجة "بيرون" مدير القصر العينى الآن وقد قرأ معى كثير من ترجمات الأغانى ، وأنساب العقد .

وكنت اعمل فى مكتب الإنكليز فى مصر وذلك سنة قبل سفرى .

وأما خدم (خدمة) الباشا أو (الدولة فى مكتب الترجمة) فإنى ذعيت إليها كثيراً ، ومع ذلك لم أجد فى نفسى ميل إليها وذلك لأسباب منها : ان من ذهب إليها لا يقدر أن يكون له درس فى الأزهر . ثم من جملها من قرأ على الرنج الخواجة "موخن المسكوبى" ثم الخواجة "فرين

المسكوبى" ثم سألانى الذهاب إلى بترسبورج (بطرسبرج) فأجبت من بعد إنقضاء الزمان اللازم لتوفيه هذا الأمر حضرت إلى بترسبورج فى داركم وتحت حماكم .

(انتهى نص الرسالة)

آثرنا إيراد رسالة الطنطاوى بحرفيتها ، لما لها من دلالة على التنشئة ، والشخصية وعلى نشوء المدنية حول قبر الوالى الصوفى وعلى التنشئة الثقافية الشائعة فى تلك المرحلة.

ومنها علمنا أن الطنطاوى لم يتم علومه الأزهرية بكاملها ، وإنما إنصرف إلى تحصيل المعاش بعد وفاة أبيه فكان أغلب معاشه من تدريس العربية إلى جانب المستشرقين ، وللذين كان بعضهم يفوقه فى السن ،وكان المعلم يفيد من تلاميذه معرفة مناهج البحث التى تسلحوا بها من علومهم الأوروبية ، فى تلك المرحلة كانت القاهرة محجا للمستشرقين يأتون إليها ليعدوا أنفسهم إعداداً لغوياً عربياً ، وكان أغلب هؤلاء من المهيئين لتسلم مهمات كانت تحتاج إليها الدول الأوروبية الناهضة فى مهمتها الإستعمارية فى الشرق .وقد شهد كثير من المستشرقين للطنطاوى ، ويبدو أن الشيخ محمد عياد الطنطاوى قد كان أيضاً على صلة صداقة بالشيخ رفاعة الطهطاوى (1801 – 1873) واضع "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز"، ولعل الطنطاوى قد تأثر برفاعة الطهطاوى حين كتب رسالته التى لاتزال مخطوطة تحت عنوان " وصف روسيا ".

وفضلاً عن تعليمه العربية للمستشرقين الأجانب فقد مارس الطنطاوى أيضاً تعليم بعض المواد فى الأزهر - على ما جاء فى رسالته - وكان له تلاميذ مصريون وعرب تأثروا به ، ومنهم يوسف الأسير (1889 – 1915) الذى أمضى فى الأزهر سبع سنوات تتلمذ خلالها على يد الطنطاوى ، وقد استمرت عدة قصائد خلال إقامته فى روسيا .



الترجمة العربية لكتاب كراتشكوفسكي

إن علاقة الطنطاوى بتلاميذه المستشرقين كانت وطيدة ،وفى أحيان عدة كان يجرى تعاون بينه وبين بعضهم فى تحقيق بعض الكتب التراثية العربية ، ومن بين تلاميذه المستشرقان الروسيان : "رودلف فرين ونقولا موخين"، اللذان طلبا منهم السفر إلى روسيا لتدريس اللغة العربية هناك إذ كان لهما شأن سياسي فى بلدهما .

يقول "كرتشكوفسكى" : المكاتبات الرسمية الخاصة بسفر الطنطاوى إلى روسيا استغرقت وقتاً ليس بقصير ، كان يلزم السماح بالسفر من قبل باش مصر محمد على ، ودعا هذا الأخير الطنطاوى وحثه على دراسة اللغة الروسية واتقانها ووعده بعطفه وعنايته به.

وأخيراً تمت كل الرسميات كما هو مدون فى سجل الخدمة ، وقد كان بالفعل أن تسلم فضيلة الشيخ الطنطاوى دعوة من القيصر سنة (1840م) ليأتى من مصر معلماً لتعليم اللغة العربية وآدابها فى القسم التعليمى لوزارة الخارجية.

وقائع السفر

غادر الطنطاوى القاهرة عبر نهر النيل تصحبه أم حسن ، فوصل إلى الإسكندرية ، واضطر أن يبيت خارجها لأن أبوابها كانت مقفلة. وفى اليوم التالى زار قنصل روسيا فى المدينة ، وركب

باخرة نمساوية رست فى جزيرة - كريت - ثم فى - أزمير - ، ثم وصلت الباخرة إلى - أسطنبول - بتركيا حيث أقام فى الحجر الصحى ثم قابل السفير الروسى الذى كلف المترجم "موخين" بمرافقة الشيخ (وهو أحد قدامى تلاميذ الشيخ) ثم غادر الطنطاوى - أسطنبول نحو - اوديسا - بادئاً تعلم اللغة الروسية ، واتيح له ان يتجول فى المدينة فزار واليها وحضر" رواية الشيخ محمد " فى أحد المسارح الواقعة هناك فى أوديسا (أحد موانى أوكرانيا) ، وحضر حفلات رقص وسمع العزف على البيانو فى بيروت مع الأهالى ، ثم توجه الشيخ نحو بطرسبرج وكان قد مضى على سفره عند وصوله إلى بطرسبرج نحو ثلاثة أشهر ونصف الشهر .

المعلم القصير العمر

بدأ الطنطاوى إلقاء محاضراته فى بطرسبرج ، وقد وصفه أحد تلاميذه "سافيليف" فى رسالة إلى جريدة "فيدوموسى" بطرسبورج قائلاً "من هذا الرجل الجميل فى لباس شرقى وعمامة بيضاء وله لحية سوداء كجناح الغراب ، وعينان تشعان بإشعاع غريب ، وعلى وجه سمات الذكاء وقد لفحت الشمس بشرته ، وليست بالطبع شمس بلادنا الشمالية الباردة - لقد رأيته مرتين يسير بخطوات وئيدة على بلاط شارع نيفسكى فى جبهته المضاءة بالشمس ، وقد لفت هذا الرجل نظرى كما لفت أنظار زائرى هذا الشارع فى أيام الجو الطيب. تريد أن تعرف من هو ، وهو ضيف جديد من ضفة النيل - الشيخ محمد عياد الطنطاوى - . إن اسم الشيخ محمد الطنطاوى معروف لدى كل من يدرس اللغة العربية مع انه لم يؤلف شيئاً ، لكن كل الذين انتفعوا بخدماته والمدينين له بنجاح أبحاثهم ، يذكرونه بالشكر ويكنون له المودة ، مذيعين شهرته فى أوروبا.

وبعد ما اطلع الشيخ الطنطاوى على الرسالة ، أوضح أن له بعض المؤلفات ، ومنها : أشعار وكتاب فى البديع وآخر فى أسماء البشر والخيل وثالث فى الصرف والبلاغة ، وقد زار الطنطاوى مصر بعد أربع سنوات من إقامته فى "بطرسبرج" لفترة وجيزة ، وقد وصف ذلك فى مخطوطته " وصف روسيا" ثم عاد إلى عمله ويقول "كراتشكوفسكى" أن الشيخ كان فى البدء يعلم اللغة العربية عن طريق التفاهم مع اتلاميذ باللغة العربية الفرنسية ، ثم أعتمد على اللغة الروسية بعد إتقانه لها .. ثم أتسع نطاق عمله فعين أستاذ فى الجامعة عام 1847م .

من دفاتر الجامعة

وفى دفاتر الجامعة أن "الطنطاوى" : كان يجمع فى تدريسه بين الطرق العملية والنظرية ، فيدرس قواعد اللغة ويشرح أمثال لقمان الحكيم ويقرأ مقامات الحريرى ، كما يقوم بتدريس الترجمة من الروسية إلى العربية وتعليم الخط العربى ، ومنذ العام 1855 زاد على ذلك تدريس التاريخ العربى .

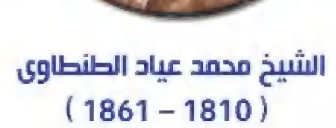
بقى "الطنطاوى" منتظماً فى التدريس خلال 15 سنة . ونال رسالة شكر من القيصر ، وأهداه ولى العهد خاتماً مرصعاً (بسبب مساهمته فى زخرفة الغرفة التركية فى "جناح الكسندر فى قصر إيكاترينا فى ديسكى سيلو" ، وفى ترصيع قصائد للطنطاوى كتبها بخط يده) . وقد رسم الفنان "مرتينوف" صوراً للشيخ الطنطاوى وعلى صدره وسام من القيصر ، فى عام 1855 م .

نكب الطنطاوى بصحته فأصيب بشلل فى رجليه ، ونال إجازة من الجامعة ووصل الأمر إلى حد أن يداه لم تعد تطاوعه .

وفـي العـام 1861م أحيـل إلى التقاعد ، لكنـه توفى فى نوفمـبر من العام نفسـه وصُلى على جثمانه فى مسـجد بطرسـبرج (لايزال قائماً إلى اليوم) ودفن هناك ، وقد كُتب على شـاهد القبر بالروسية كما كتب باللغة العربية الآتى :

هنا مدفن الشـيخ العالم "محمـد عياد الطنطاوى" الذى كان مُدرساً للغـة العربيـة فـى المدرسـة الكبـيرة "الإمبراطوريـة ببطرسـبرج المحروسـة" ، وتوفى فى شـهر جمـادى الثانى عـام 1278 هجرية عن خمسين سنة" .

ما تركه الشيخ محمد عياد الطنطاوي من مخطوطات وأعمال ثروة لم يُكشف النقاب عن جُلها بعد . وقد إنتبهت لذلك دار الكتب والوثائق القومية المصرية التي إتفقت معنا على التواصل مع الجامعات الروسية التي تحتفظ بأرشيفه الكامل لتحقيقه ودراسته ونشره المشترك. يذكر أن جامعة "سانت بطرسبورج" الحكومية التي عمل بها "الشيخ عياد الطنطاوي" مدرساً للعربية ـ قد أنهت مشروعاً ضخماً للأرشفة الالكترونية لأعمال الشيخ محمد عياد الطنطاوي ، وهو جهد ضخم نأمل أن تشارك دار الكتب المصرية في أبحاث لتحقيقه ونشره .



الشيخ محمد عياد الطنطاوى
(1861 - 1810)



صـورة إلتقطـت أواخـر 2012 لمقبرة الشـيخ محمـد عيـاد الطنطـاوي بسـانت بطرسـبورج ، ورغـم الصقيع والبرد القـارص مازال مريـدوه ـ بعد أكثـر من قـرن ونصف علـى وفاته ـ يـترددون علـى مقبرتـه ويضعون الزهور حولها.

تصوير : سفيتلانا حسام

الأمام المصلح محمد عبده لتولستوى :

الإنسان جاء للوجود ليثبت بالعلم ويتم بالعمل ، وأن تكون قوته تعباً ترتاح به نفسه ، وسعياً يبقى به يربى جنسه.

وتولستوى يرد على الإمام :

كلما إزداد تشبع الأديان بالعقائد المتحجرة والأوامر والأعاجيب والخرافات زاد تفريقها للناس وولدت العداء بينهم.

(رسالة محمد عبده إلي ليف تولستوي)*

(أيها الحكيم الجليل "مسيو تولستوي")

لم نحظ بمعرفة شخصك ، ولكنا لم نحرم التعارف مع روحك . سطع علينا نور من أفكارك ، و أشرقت في آفاقنا شموس من آرائك ألفت بين نفوس العقلاء و نفسك.

هداك الله إلي معرفة سر الفطرة ، التي فطر الناس عليها ووقفك على الغاية ، التي هدى البشر إليها فأدركت أن الإنسان ، جاء إلى هذا الوجود ليثبت بالعلم و يتم بالعمل؛ ولأن تكون قوته تعباً ترتاح به نفسه ، و سعياً يبقى به يربي جنسه و شعرت بالشقاء ، الذي نزل بالناس لما إنحرفو على سنة الفطرة ربما إستعملو قواهم - التي لم يمنحوها إلا ليسعدوا بها - فيها كذر راحتهم و زعزع طمأنينتهم .



جاء الإنسان بالعلم ليتم بالعمل غايته

نظرت للدين فمزقت الحجب

و نظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد ، ووصلت بها إلي حقيقة التوحيد ، ورفعت صوتك تدعو الناس إلي ماهداك الله إليه ، و تقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ، فكما كنت بقولك هاديا للعقول كنت بعملك حاثا للعزائم و الهمم ، و كما كانت آراؤك ضياء يهتدي به الضالون ، كان مثالك في العمل أملاً يقتدي به المسترشدون و كما كان وجودك توبيخاً من الله للأغنياء كان مدداً من عنايته للضعفاء والفقراء . وإن أرفع مجد بلغته ، و أكبر جزاء نلته على متاعبك في النصح و الإرشاد هو هذا الذي سماه الغافلون بالحرمان و الإبعاد . فليس ما حصل لك من رؤساء الذين سوى إعتراف منهم ، أعلنوه للناس أنك لست من القوم الضالين . فأحمد الله علي أنهم فارقوك في أقوالهم ، كما كنت فارقتهم في عقائدهم و أعمالهم .

هذا وإن نفوسنا لشيقة إلى ما يتجدد من آثار قلمك فيما تستقبل من أيام عمرك . و إنا نسأل الله أن يمد في حياتك و يحفظ عليك قواك و يفتح أبواب القلوب لفهم مقولك ، و يسوق النفوس إلي التأسي بك في عملك ، والسلام .

* المصدر : من كتاب "حِكَم النبي محمد" للفيلسوف الروسى تولوستوى - تعريب سليم قبعين - الطبعة الخامسة الناشر وسنة النشر غير معروفين .

(رسالة ليف تولستوي إلي محمد عبده)

(صديقي العزيز)



تلقيت رسالتكم الطيبة ، والفائقة الإطراء ، وأسارع للإجابة عليها ، كي أؤكد لكم أنها أثارت في نفسي إرتياحا شديداً ، كونها وضعتني في تعاشر مع شخص مثقف ، رغم أنه يعتنق ديناً آخر غير الدين ، الذي نشأت و تربيت عليه ، ولكنه يدين معي بإيمان واحد ؛ لأن المعتقدات مختلفة ، و كثيرة العدد ، ولكن الإيمان واحد فقط ، هو الإيمان بالحقيقة . أظن أنني لم أخطئ إذ افترضت حسب رسالتكم . أن الإيمان الذي أعتنقه ، هو الإيمان عينه ، الذي تعتنقوه أنتم أيضا ، و أنه يكمن في الإعتراف بالرب ، و سنته ، و بمحبة القريب وبأن تفعل لغيرك ما تود أن يفعله لك . أعتقد أن جميع المبادئ الدينية الحقة تنبع من ذلك و أنها هي عينها سواء بالنسبة لليهود أوبالنسبة للبراهمانيين و البوذيين والمسيحيين و المسلمين . وأظن أنه كلما إزداد تشبع الأديان بالعقائد المتحجرة والأوامر و الأعاجيب ، و الخرافات إزداد تفريقها للناس ، بل و حتى توليدها العداء بينهم ، وعلي العكس ، فكلما تزاد بساطة و نقاوة ، تصبح أقرب إلي بلوغ الهدف الأمثل للبشرية ـ التوحد العام؛ لهذا السبب أحدثت رسالتكم في نفسي انطباعاً طيباً جداً وانني لأود مواصلة التعاشر معكم .

ما رأيكم في مذهب باب بهاء الله وفي اتباعه ؟

تفضلوا حضرة المفتي محمد عبده العزيز ، بقبول خالص مشاعر صديقكم.

ليف تولستوي

المعتقدات مختلفة لكن الدين واحد

تشبع الأديان بالتحجر يفرق الناس عنها

= ليف تولستوى : مفكر وأديب روسى إنسانى ، ومن رواد الفكر الإشتراكى العالمى . يضعه بعض مؤرخى الفوضوية فى عداد الزعماء الفوضويين مع أن تفكيره يختلف عن التفكير الفوضوى من وجوه عديدة ، ومع ذلك يمكن إعتباره في بعض الوجوه فوضويا ، فقد كان يحلم بتنظيم المجتمع بلا ملكية وبلا دولة وإن كان يدعو إلى إتمام ذلك دون عنف. ومهما يكن من أمر ، فقد وجد تولستوى فى النهاية خلاص روحه فى الدين شريطة أن يكون خالصاً لله ، أى دون رهبنة ودون طقوس. والغريب أن تولستوى كان من الطبقة العليا من الشعب ، فقد ورث 3000 فدان يعمل فيها 330 فلاحاً . ومكانة تولستوى كأديب قصصى أعظم بكثير من مكانته كمفكر سياسى . ومن أشهر قصصه رواية "الحرب والسلم " التى وضعها بين عامى (1864م ، 1869م) ثم "آنا كارنينا" . ولقد تنازل تولستوى عن ثروته ولقبه وكان يأكل كالفلاحين ويرتدى زيا كأزيائهم ويرتق حذاءه بيده .

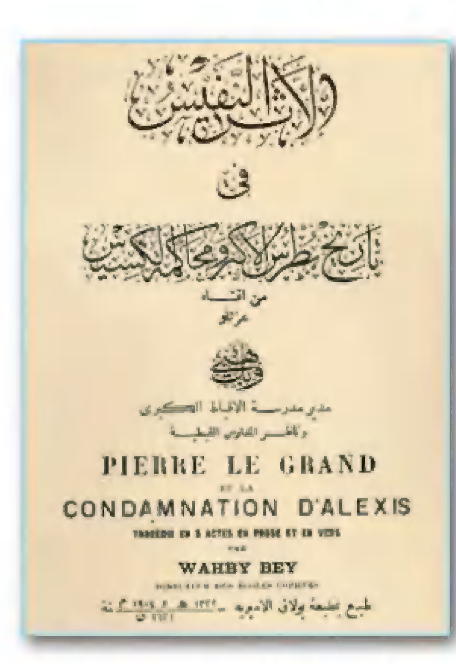
رؤية الآخر
فى إطار الأدب والرحلة

أ.د. محمد صبرى الدالى *

فى إطار ما شهدته مصر من نشاط فى الحركة الثقافية والأدبية أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، صدرت بعض الكتابات عن روسيا وكانت لها صبغة تاريخية، رغم أنها لم تكن فى التاريخ بشكل صرف، بل فى الأدب والرحلة وفى هذا الإطار جاء العمل الأول "الأثر النفيس فى تاريخ بطرس الأكبر ومحاكمة ألكسيس" لوهبى بك" مدير مدرسة الأقباط الكبرى وناظر المدارس القبطية. ومع أن الكتاب فى الأساس هو تقديم عمل مسرحى قدم للجمهور المصرى في أنه، وكما هو واضح من العنوان، تناول فى الأساس عصر بطرس الأكبر وخاصة موقفه من ابنه الكسيس (ألكسى).. إلا أنه تعدى ذلك ليصبح كتاباً ذا صبغة تاريخية.

انقسم الكتاب إلى: مقدمة وثلاثة أبواب - جاء الباب الأول فى أربعة فصول تناولت تاريخ مصر حتى عصره، وإن جاء الفصل الرابع بعنوان "فى إجمال تفصيل يتعلق بفن التمثيل". أما الباب الثانى فجاء تحت عنوان "فى ملخص تاريخ بطرس الأكبر". وفى الباب الثالث أورد المؤلف نص المسرحية "وفيه خمس مقامات وفصول".

وأما الخاتمة: فجاءت تحت عنوان "فى خلاصة تاريخ الروس بعد وفاة بطرس الأكبر" وتكونت من أربعة فصول.



غلاف كتاب الأثر النفيس في تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس مطبعة بولاق الأميرية 1904م

مرّ - وهبى بك - سريعاً على مراحل التاريخ الروسى ليتوقف وقفة طويلة عند عهد بطرس الأكبر الذى أولاه قدراً كبيراً من الاهتمام والمدح.. فتناول مبايعته للعرض مع أخيه "إيوان" ووصاية اختهما - صوفيا - عليهما، ثم إنفراده بالحكم، وامتدح العديد من الأعمال الداخلية التى قام بها بطرس منذ بداية حكمه وحتى نهايته. ومن ذلك تكوينه جيش قوى على النمط الأوروبى "عقد لواءه لضباط من الغرباء" لخوفه من عساكر الأسترليج، وإنشائه أسطولاً، وإرساله البعثات إلى الخارج، وصدامه مع رجال الدين بعد وفاة البطريك أدريان

* . أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس الإدارة المركزية للمراكز العلمية بدار الكتب والوثائق القومية .

1700م "الذى كان رب الإمامة الدينية الكبرى فى بلاد الروس" وما تلى ذلك من الاستيلاء على الأوقاف، وإنشاء "المجمع المقدس" للنظر فى الأعمال ذات الصلة بالدين. كذلك امتدح موقف بطرس من المرأة.

وقد أبدى وهبى أيضاً إعجابه بالنظام الإدارى الذى أقامه بطرس واهتمامه بنشر المعارف ببناء المدارس على اختلاف أنواعها، وبالترجمة من اللغات الأوروبية إلى الروسية، وبالمكتبات والصحف والمطابع .. إلخ، وكذا بالصناعة والزراعة والتجارة بعد اهتمامه بالعلم، وإقدامه على عمل إصلاح ضريبى ومالى، حتى بلغ إيراد روسيا على أثر هذا الإصلاح- عشرة ملايين روبل- فى العام، بعد أن كان لا يزيد عن مليون أو مليون ونصف، وتأسيسه لمدينة بطرسبرج.

وإذا كان وهبى قد اعتمد فى الكثير مما أورده على ما كتبه فولتير، فإن ما أورده يجعلنا نتساءل عن مغزى تلك الكتابة آنذاك، وعن سبب اختياره هذه القضية كموضع لعمله الأدبى/ التاريخى؟ وما الذى جعله قادراً على كتابة ذلك كله بشكل يمدح بطرس كثيراً؟ كما أن ما أورده عن بناء الجيش والأسطول والإصلاحات الاقتصادية والتعليمية وعن الأوقاف والمرأة .. يجعلنا نتساءل: أكان ذلك يمثل تأييداً لموقف المناهضين للدولة العثمانية فى مصر – وعلى رأسهم عباس حلمى الثانى أحياناً، ومن خلال (مدح الأسرة العلوية وذم الدولة العثمانية)، ومن ثم كان من الممكن (مدح روسيا وقياصرتها)؟ أم أن ذلك كان يرتبط بموقف روسيا من المسألة المصرية حتى منتصف التسعينات، وكذا وجود بعض "المؤيدين" لها من الأقباط وهو ما أشارت له الوثائق فى مرات عديدة؟. أم أن الأمر لم يكن يعدو مجرد رأى شخصى و"نفعى" كتبه أحد المصريين ممن كانوا يحترمون روسيا؟ إضافة إلى ذلك هل كان فى حديثه عن موقف بطرس من المرأة الروسية علاقة بدعوة قاسم أمين فى مصر؟ إننا لا نطرح التساؤلات السابقة كلها لأن لدينا إجابات شافية عليها، ولكن لأنها تطرح نفسها بقوة على من يتعرض لما كتبه الرجل.

تناول- وهبى- أيضاً بعض الأعمال "القاسية" التى قام بها- بطرس- تجاه من وقفوا فى طريق سيطرته على السلطة أو ضد إصلاحاته. مثال ذلك صدامه مع أخته- صوفيا- وقسوته فى القضاء على (جنود الستريلتسى) بل وقارن بشكل لا يخلو من دلالة بين ذلك وبين ما حدث فى مصر والدولة العثمانية تجاه المماليك والإنكشارية. أما أكثر أعمال- بطرس- قسوة فكانت تتمثل فى موقفه من ابنه. ورغم ذلك أوضح- وهبى- تأييده لما قام به- بطرس-، وكل ما عابه على الابن أنه كان "فظاً غليظ القلب، يجافى الغرباء بلا سبب معقول ويقبح أعمال والده وهو لا يفقه مغزى ما يقول زعماً منه بأن ما أحدثه غير مطابق لمقتضى الحال وأنه ربما آل بالملك إلى الإضمحلال.. وموقف- وهبى بك- من السياسة الخارجية لبطرس لا يختلف عن موقفه من سياساته الداخلية. وفى هذا الإطار عرض لحروبه الخارجية، ولا يفرق فى ذلك بين حروبه ضد العثمانيين (الأتراك) أو الفرس أو الأوربيين. فهو يمتدح بطولاته ضد هؤلاء جميعاً باعتباره كان من "ملوك الأمم الذين مصروا الأمصار، وأذاقوا رعاياهم حلاوة الانتصار "وأنه" شن الغارة على بلاد أزوف وافتتحها.. وحرر رقاب الروس من الضريبة التى كانوا يدفعونها لخان القرم". وحتى عندما تمت هزيمة بطرس على أيدى العثمانيين عام 1711 م فإن المؤلف لا يعزوها إلا إلى "قلة العدد (فى الجنود) وعدم تعزيزها بمدد". وعلى أى حال فقد ترك لخلفائه سبيل التوغل في أواسط آسيا". وهو يسلم بأن وصيته حقيقية ولا جدال فيها" ولم يزل الروس يتخذونها دستوراً فى إنقاذ كل أمر ذى بال يسيرون فى سياسة الملك على مقتضاه فى الحال والاستقبال".

ورغم قوله أن بطرس قد كُرِم إبان حياته نتيجة لانتصاراته وأعماله، حيث "رُقيَ .. إلى مرتبة أميرال، وأضاف إليه مجلس (السناتو والمجمع المقدس) وصف الأكبر، وكناه: بأبى الطون، ولقبه بقيصر الروس .. رغم ذلك فإنه يعود للقول بأن "الروس لم يقدروا هذا الرجل قدره في حياته، بل عرفوا فوائد أعماله بعد وفاته". ولا ينس أن يذكر عبارة لها مغزاها، حين يكتب أنه ما أورد كل ما سبق إلا "ليكون تذكرة لمن وفقه الله للعمل به من الأمراء والحكام" !!

وقد تابع - وهبى - بعد ذلك تناول تاريخ روسيا ما بعد بطرس، وهنا نجده يتابع تمجيد هذه الدولة وقياصرتها. لقد امتدح كاترين الأولى التى "من أعمالها أنها أنشأت منتدى للعلوم وأدخلت في عضويته بعض الغرباء وصيّرته بذلك يزاحم أعظم المنتديات في أوربا، ولم تحِد عن جادة الإصلاح الذى كان يخالج ضمير زوجها المتوفى، وربما فضلها بعض المؤرخين عليه لاستخدامها الرأفة في سياسة العباد". أما اليزابيث 1741م – 1764م فرغم أنه "نشبت بينها وبين بعض الملوك حروب أدت إلى مصائب كبرى وكروب" إلا أنه امتدح عصرها لأنه "فى أيامها - أسست كلية موسكو ومدرسة الفنون المستظرفة - ، وآلت على نفسها أن يُعاقب أحدٌ من رعاياها بالإعدام ولكنها أحدثت أنواعاً من العذاب أشد وقعاً منه، فكانت تحكم على المجرمين "بقطع آذانهم وألسنتهم". وأما - كاترين الثانية - 1763م – 1796م فمدحها بشكل يشبه مدحه لبطرس، خاصة وأن روسيا فى عهدها "أصبحت تتقلب على مهاد العز والفخار، ولها الكلمة العليا على ما فى أوربا من الممالك والأقطار. وفى عهدها حدثت حروب بين الروس والدولة العثمانية وبولونيا وأسوج (السويد) كان النصر فيها حليف جنودها". وأما الإسكندر الأول 1801 م – 1825م فذكر حروبه ضد - نابليون بونابرت - ، وحملة الأخير على روسيا ثم تراجعه خاسراً فى النهاية، واقتفاء الإسكندر أثره حتى دخوله باريس منتصراً مع قوات الحلفاء. ومدح المؤلف فى - الإسكندر - يتضح بجلاء من قوله : "وقد جرت العادة - أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، إلا أنه لم يحدث من قيصر الروس فى خلال ذلك شيء من هذا القبيل. ثم عاد إلى بطرسبورغ وهو يحمد الله على ما أتاه من النصر، وأبى أن يؤاخذ أحداً تقرب إلى العدو مضطراً غير باغ". ويضيف أن من حسناته أيضاً بعد انتصاره أنه "خفف عن الفلاحين وطأة الضريبة الشخصية، وعقد مع "الفرس" معاهدة وسع بها نطاق سلطانه".

أما نيقولا الأول 1825م – 1855م فأشاد بسياسته الداخلية رغم قمعه للثورة التى اشتعلت فى بدايات حكمه، وأشاد بسياساته الخارجية رغم موقفه من الثورة اليونانية وتدمير - الأسطولين المصرى والعثمانى فى نوارين - !! ورغم تأييده لاستقلال (صربيا ورومانيا) ضد الدولة العثمانية. وفى ظل ذلك كان من الطبيعى أن تتم الإشادة بسياسة نيقولا الأوربية ضد الثورة البولندية، وضد ثورات 1848م فى أوروبا وإيماناً من المؤلف بأن نيقولا "كان أحرص الناس على إنفاذ وصية بطرس الأكبر، ومن أهم ما جاء فيها إخراج - بنى عثمان - من قارة أوروبا" .. جاء تبريره لحرب القرم" فلما رأى أن لا خوف عليه من معارضة إحدى الدول العظام لاشتغال كل منها بشأنها الخاص .. شرع فيما كان يخالج ضميره من هذا القبيل وهو على حذر من معارضة - إنكلترة - .. فاجتمع .. بسفيرها فى بطرسبورغ .. وحادثه فى هذه المسألة ملياً، ثم بين ما فى الدولة العليلة من الاختلال وشبهها برجل مريض ينبغى الإجهاز عليه، وأن تتفق الدول على اقتسام تراثه قبل أن يناله الخلاص من أيديها، ورغب إنجلترا فى الاستيلاء على " مصر وإقريطش " .. ورغم رفض - إنجلترا - للعرض الروسى" لم ينفك القيصر يتحمل الأسباب لعله يجعل إنفاذ هذا الغرض فى نطاق

الإمكان" ، وأخيراً اشتعلت حرب ـ القرم ـ بذريعة الأماكن المقدسة ، ولتدور فيها الدائرة على الروس ، وفى الأساس ، بسبب تحالف ـ إنجلترا وفرنسا وبيدمونت ـ مع "الدولة العثمانية".

وإذا كان نيقولا الأول مات أثناء الحرب وخلفه ابنه الإسكندر الثانى 1855م – 1881م الذى توصل إلى إنهاء الحرب بشروط معاهدة باريس 1856م .. فإن ـ وهبى ـ عاد لمدحه هو الآخر لأنه " لم يزل .. مثابراً بعد انقضاء هذه الحرب على إصلاح شئون بلاده . ومن أعماله المأثورة أنه لا يدع للأشراف سلطاناً على أحد من عامة الناس ، وسنّ لذلك دستوراً ثم نشر أعلام العلوم بين رعاياه ، ومن ثم أصبح غرضاً لسهام المكايد لأن هذا الإصلاح جاء على غير ما يروم الأشراف". ومن الأمور الأخرى التى امتدحها فى ـ الإسكندر ـ أنه عالج ثورة بولندا 1863م" بحكمة وأقام أخاه ـ قسطنطين ـ حاكماً على تلك البلاد ، واستولى على معظم ـ ولايات التتر المستقلة فى أواسط أسيا ـ . فآل إليه ملك ـ خوقند وتوشقند وسمرقند وبخارى وكاشغر ـ". كما نجح فى استغلال هزيمة "فرنسا" على أيدى "بروسيا" فى حرب ، من أجل تغيير شروط معاهدة "باريس" لمصلحة "روسيا" .

أورد ـ وهبى ـ بعد ذلك أحداث الثورات فى ـ البوسنة والهرسك وبلغاريا والجبل الأسود وصربيا ـ اللتان ربما كانت ثورتهما "بايعاز من الروس ، وكأنهم كانوا قد اتخذوا هذه الوسائط وسائل لإذلال الدول قبل منازلتها فى ميدان القتال". ومن جراء ذلك دارت مفاوضات عديدة وفاشلة وانتهت باشتعال الحرب التى إنتصر الروس فيها انتصارات كبيرة ، رغم مقاومة العثمانيين المشرفة" ولم يزل الروس فى مسيرهم ـ كسيل العرم ـ لا يبقى ولا يذر حتى وطئت جنودهم .. " مدينة صوفيا " .. ولم يبق بينهم وبين دار الخلافة إلا خمسون كيلو متراً. فلم تجد الدولة بُداً من فتح باب الصلح". وفى المفاوضات ظهر بجلاء مدى قدرة الروس على إملاء شروطهم وقبول العثمانيين لذلك "لئلا تحتل جنود الروس دار الخلافة عنوة واقتداراً". ولقد عبر عن نتائج معاهدة سان استفانو بنوع من الصراحة وربما الرضا . ويبدو ذلك حين يقول : "وقد ضمنت هذه المعاهدة اعتراف الباب العالى باستقلال ـ الصرب والجبل الأسود ورومانيا ـ استقلالاً تاماً. وبهذه المثابة تكون روسيا قد محت أملاك بنى عثمان فى أوروبا من صحيفة العالم السياسى إلا قليلاً ". ورغم أنه عرض بعد ذلك رفض الدول الأوربية الأخرى لشروط معاهدة "سان استفانو" ومن ثم تعديلها بمعاهدة برلين 1878م .. فإنه عزا ذلك فى الأساس لجهود إنجلترا ، وخوفها من امتداد النفوذ الروسى للبحر المتوسط والعراق ، ووصولها للمحيط الهندى من خلال ـ خليج هرمز ـ .

وعلى أى حال فإنه يعرض بعد ذلك لنهاية الإسكندر الثانى عام 1881م على يد " النهليست" وتولى ابنه الإسكندر الثالث 1881م – 1894م الذى لا يتوقف عن مدح إنجازاته : حيث "بث المبادئ الروسية فى بولونيا وأقاليم البلطيق وفنلدا ، وأمر بطرد اليهود من بلاده بعد أن شدد عليهم وطأة الاضطهاد ، وضبط عيار النقود ، ونقح ـ قانون الجنايات ـ ومد السكك الحديدية فى سيبيريا وما يلى من بحر الخزر ، وأصلح حالة الفلاحين" . ولم تفته الإشارة إلى إرسال الإسكندر الثالث لولى عهده نقولا الثانى فى رحلة خارجية إلى مصر واليابان وغيرها .

تعرض ـ وهبى ـ بعد ذلك لعهد آخر القياصرة، "نيقولا الثانى 1894م – 1917م وذلك حتى عام 1905م" . وفى هذا الإطار لم يتوقف مديحه وإن كان بشكل إجمالى حيث يقول : "وقد سار.. على قدم أجداده فى إعلاء شأن الملك". على أنه يذكر ـ مادحاً ـ بعد ذلك أعماله التى منها اهتمامه بالعلم وتدخله فى النزاع ـ العثمانى اليونانى ـ عام 1897م ، وافتدائه اليونانيين بعد هزيمتهم "بغرامة حربية يؤديها للباب العالى ، وعقده تحالفاً ثنائياً مع فرنسا ، ودعوته لعقد

مؤتمـر السـلام فى لاهاى عـام 1900م. على أنه ربمـا كان أحرج ما واجهه إنما تمثـل فى الحرب الروسـية اليابانية، والتى دافع فيها عن الطموحات التوسعية الروسية، وفى هذا الإطار مر سريعاً على تاريخ التوسعات الروسية فى الشرق الأقصى والصدام فى النهاية مع اليابان، وحدوث الحرب. وعنـد حديثـه عن هزيمة الروس نجده لا يجادل فى انتصار اليابان. لكنه لا يورد شـيئاً فى مدح بطولاتهم بمثل ما فعل غيره من معاصريه المصـريين، بل وبمثل ما فعله هو نفسـه وقت انتصارات الروس. لقد أخذ فى الحديث عن أعذار الروس، وبشكل أقرب للدفاع عن هزيمتهم.

وحتـى هنا والمؤلف يدافع عن القياصرة ودولتهم وحكمهـم وهزيمتهم أمام اليابان.. إلخ. على أننـا نجد موقفه وأسـلوبه وقد بدأ فى التغيُّر التدريجى منذ حديثه عن ثورة 1905م فى روسـيا، وبشـكل ملفت للنظر. هذا مع ضرورة ملاحظة أن الكتاب طبع فى عام 1905م، ومن ثمَّ كان من المفروض ألا يتناول ما بعدها من أحداث، ولكن هذا ما لم يحدث وبالتالى فهناك طبعة أخرى للكتاب، وإن وُضعت بنفس تاريخ الطبعة الأولى!!

علـى أى حال عرض "الكتـاب" لوقوع "الفتنـة" التى طالبت بالإصلاحات، ومشـاورات أعضاء الحكومة ورجال الكنيسـة والقيصر للبحث عن حـل لتلك الأزمة، وبـدا وكأنه ليس أكثر مـن عارض للآراء المختلفة فى الاجتماع الذى عقده القيصر لمناقشـة الأزمـة، حيث ظهر المؤيدون للإصلاح السياسى، وكذا الرافضون لتخلى القيصر عن سلطاته المطلقة.

علـى أنه ينتقل إلى نوعية أخـرى حين وصف ما حدث بـ"الثورة" وانتقـد تصرفات أولي الأمر – بمَن فيهم القيصر نفسه – تجاه مطالب الشعب. وهكذا كتب "وبناء على ذلك أخذت عوامل الثورة تفتك بالبلاد فتكاً ذريعاً، لأن القابضين على زمام الأمور لم يحسنوا التدبير، وانتهز مريدو الإصلاح هذه الفرصة وحرضوا الأمة على المطالبة بالحقوق المخولة لسائر الأمم الراقية.. وضمَّنوا ذلك مواد أخصها حرية العقائد والأديان، وعدم تقييد الجرائد بقيد ما، والاجتماع فى المنتديات العامة بلا محذور ولا محظور، وجواز محاكمة أى موظف يتعدى القانون.. وأن يكون الناس .. من الطبقات العليا أو الفلاحين متساوين إزاء القانون، وأن تنشـأ هيئة شـورية تنوب عن الأمة وتشـارك الحكومة فى تشريع الشرائع وربط ميزانية الدولة والسيطرة على الإدارة، وطلبوا فوق ذلك إلغاء بعض القوانين الشـديدة الوطـأة.. كقانون حفظ النظام المسـنون.. عام 1881م والعفو عمـن وقعوا تحت طائلة هذا القانون لجرائم سياسـية اقترفوها. ثم أعادوا الكرة على الحكومة لإغفالها أمر المعارف العمومية. ومن ثم نزع الجمُ الغفير من رجال الفلسفة والعلم والمحاماة وأرباب الصحافة والخطابة وذوى الأقلام إلى مجاراة أولئك الناس فى ميدان الإصلاح ونشـر هذه الآراء على رؤوس الأشهاد ليكون القيصر ورجال الدولة على بينة منها.

فـى هذا الإطار تابع "الكتـاب" نقد تصرفات القيصر وإصراره علـى الحكم المطلق وتردده فى إعطاء الأمة ما تطلبه واكتفائه بالوعود، وانصياعه لآراء رجال الدين والأرستقراطية المتمسكة بامتيازاتها وصلفها والراغبة فى اسـتخدام القوة لسـحق الثوار. وعلى أى حال أعطى ذلك الفرصة لزعماء الثورة لإنجاح أفكارهم بين الشـعب وهذا يشـبه ما حدث فى مقـدمات الثورة الفرنسـية. ومع أن "الكتاب" يرفض أعمال "العنف" إلا أنه لا يقف ضدها تماماً.

بل وأورد بعض أخبار "الثورة" بين بحارة الأسطول، (فى موسكو). وأخيراً تحدث عن أن "نظام الحكومة" السيئ كان أحد الأسباب الداعية إلى ذلك "وكان القيصر والأمة إلى هذه الساعة

على طرفي نقيض، تدعوه لأن يسوسها سياسة الأمم الراقية، فيضم أذنيه عن الدعاء ويمكر بهم مستشاروه مكراً كبيراً، ورسخ في أذهان الروس أن الذي خاض بهم غمار المكاره نظام الحكومة الذي.. يخالف نظام الدول الراقية في سائر الأعصار والأمصار". وفي متابعته لتطورات الحرب مع اليابان، يعبر - وبشكل محير أيضا - عن موقف النقد لروسيا وللقيصر في إدارة الحرب، ومن ثم الهزيمة القاسية براً وبحراً لاسيما بعد ما أبداه البحارة الروس من جهل في استخدام الأسلحة.

بعد ذلك اتجه "الكتاب" إلى سبر أغوار السياسة الروسية من الماضي وحتى حاضر أيامه، وبشكل واقعي وغير مجامل كما كان من قبل، حتى أنه قد أعاد النظر في بعض الأمور والأفكار التي طرحها سابقا، واستخدم مصطلحات جديدة. وهكذا نظر لسياسة روسيا - منذ عهد بطرس الأكبر - على أنها سياسة توسعية للوصول إلى البحار الدافئة، وهي السياسة التي أدت إلى صدامهم مع العديد من الدول. وقد وصلت هذه السياسة الاستعمارية إلى ذروة الخطورة في استعمارهم لأجزاء من الصين، بعد أن نظروا بـ"عين الاحتقار" للعالم!!. وفي تحليله هذا يوضح أخطاء الروس في حساباتهم السياسية تجاه الإنجليز و اليابان التي أثارتها روسيا باحتلال ميناء- بورت آرثر-، وبتدخلها السافر في "كوريا ومنشوريا"، لاسيما وأن اليابان - مع تطورها الاقتصادي، وكثافة سكانها كانت بحاجة إلى منشوريا القريبة منها. على أن روسيا وقفت عقبة في وجهها هناك بمساعدة من فرنسا وألمانيا. وهنا لم تجد اليابان مانعاً من الاتفاق مع إنجلترا نظرا لتلاقي مصالحهما ضد روسيا. وأخيراً حاول "الكتاب" التخمين في شروط الصلح ونتائجه على روسيا واليابان والدول الأوروبية.

إن السؤال يبدو مهماً هنا عن السبب الذي جعل هذا الكتاب يتضمن تلك الآراء المتناقضة تجاه روسيا وقياصرتها؟. وإذا افترضنا أن- وهبي- أعاد طباعة الكتاب بنفسه بعد 1905م، فهل نسي أن يوضح ذلك؟! والأمر نفسه إذا افترضنا أن من أعاد طبع الكتاب لم يكن- وهبي- بل شخص غيره!!. فإذا افترضنا أن- وهبي- قام بنفسه بذلك.. عندئذ ربما كان باستطاعتنا ان نعزو تناقض موقفه من روسيا وتغير رأيه تجاه حرب ضد اليابان لأمرين: الأول: عدم معرفته بأحداث الثورة الروسية إلا بعد أن كتب عن هزيمة الروس أمام اليابانيين، وبعد أن طبع الكتاب للمرة الأولى. لقد حاول الرجل إيجاد الأعذار للروس قبل الثورة ولكنه لم يستطع مواصلة موقفه هذا بعدها، خاصة مع ما وصله من أخبار عن شدة قمع السلطات للثوار. أما الثاني: فلعدم توافر المعلومات لديه بشكل واضح إلا بعد فترة ليست بالقصيرة، ومن ثم كن مضطراً لتغيير بعض أرائه تجاه روسيا (حكامها وشعبها). ورغم ذلك لنا أن نتساءل في هذه الحالة: أكان- وهبي- في تغييره لموقفه هذا من أولئك الذين يكتبون "حسب الطلب"؟ أم أن شخصاً آخر كتب ذلك في ظروف غير معروفة؟ وهو أمر وارد تماماً، أم أن الرجل كانت له أعذاره التي لا نعرفها؟

******

مع أوائل القرن العشرين فقط نجد أن "الأنا" المصرية بدأت في الاهتمام بالرحلة من جديد إلى "الآخر" الروسي والكتابة عنه. ولدينا رحلة وحيدة قام بها رجل القضاء "رشاد بك" إلى روسيا. على أن لدينا رحلة أخرى قام بها- الشيخ على أحمد الجرجاوي- إلى اليابان "الرحلة اليابانية" وفيها عرض -بشكل غير مباشر - لصورة روسيا. كانت الإشارة الأولى التي أوردها "الجرجاوي" في هذا الخصوص تتصل بإرسال- السلطان عبد الحميد الثاني- لأحد قادة الجيش العثماني "برتو باشا" لليابان باعتباره مندوباً حربياً لبلاده هناك، حيث إستقبله الإمبراطور بكل ترحيب، وعبر

له عن احترامه للدولة العثمانية وسلطانها . ونحن لا يمكننا فهم مغزى ما ذكره الشيخ إلا فى إطار أمرين اثنين : الأول ، موقفه من الاحتلال الإنجليزى لمصر ، بل والموقف العام فى مصر من الغرب بما فيه روسيا، وهو الموقف الذى هلل كثيراً لانتصار اليابان- باعتبارها أمة شرقية- على روسيا التى كان يتم اعتبارها آنذاك " أمة غربية " ، أما الثانى فموقفه المؤيد للسلطان وللجامعة الإسلامية .

على أن "الجرجاوى" قارن بين المرأة اليابانية والروسية . كما دافع عن أسباب دخول اليابان الحرب ضد روسيا على اعتبار أنها حرب بسبب التنافس على المصالح وليست حرباً دينية أو عرقية، وأن السبب الرئيسى فيها هو الأطماع الروسية فى "منشوريا" ورغبتها فى "افتراس الشرق". وأخيراً نقد أحوال روسيا الدولة "صراحة" ، لاسيما فيما يتصل بنظامها الاستبدادى ضد رعاياها عامة والمسلمين الخاضعين لها خاصة . ومن ثم كانت سعادته بانتصار اليابان عليها والتى عكست قدراً كبيراً من "التشفى فيها" لهزيمتها العسكرية .

أما "السياحة فى روسيا" فكتب عنها أحد رجال القضاء المصريين ، وهو "رشاد بك رئيس محكمة مصر الأهلية سابقاً" كمحصلة للرحلة الثانية التى قام بها لروسيا فى سنة 1913م والتى نشرتها جريدة المؤيد بشكل عام لأنها تفيد فى تهيئة النفوس المصرية على الخصوص لاستطلاع ما أوجب رقى الأمم وسبب انخفاضها". كما عزت أهميتها إلى أنها "حركت فى النفوس لواعج الأشجان على زمن كان فيه السبق للمسلمين فى جوب الأمصار واقتحام الأخطار ، لاقتناص مدينة الأمم وصقلها بصاقل من عوائد وأخلاق العرب ، ما دعا إلى تفوقهم فى زمن قصير على غيرهم فى كل شىء .

فى البداية ذكر المؤلف عبارة - استفهامية / استنكارية - مهمة حين يقول "هل أتاك حديث روسيا وقريمها.. وإن تعجب فعجباً لقولهم : أهذه بلاد تستحق أن يرحل إليها ، وماذا بها من المشوقات والمرغبات حتى يتجشم المرء من أجلها عناء السفر ويقطع البعيد من المسافات ؟ . وفى إطار الإجابة على ذلك ، دافع عن روسيا وحضارتها ووضعها ، حيث يقول : "أجل ، إن بلاد القياصرة جدير بأن تشد إليها الرحال ، لأنها فى الواقع لا تقل عن غيرها رونقاً ونظاماً ولا أمناً وسلاماً ، ولأن بها ما بالممالك الأخرى من المناظر الطبيعية ، ومعالم الحضارة والمدنية ما يستفز السائح لمشاهدة آثارها الجميلة، وزيارة معاهدها الجليلة ، ويجعله لا يمل من الإقامة بين ربوعها الناضرة وغياضها الزاهرة أو يأسف بحال من الأحوال على ما يصرفه فيها من الوقت والمال . وهو يعود فى مواضع أخرى للمدح فى درجة مدنيتها وقوتها وموارد غناها وثروتها. وسواء فى السؤال الذى طرحه أو فى إجابته عليه، فإن من الواضح أنه كان يولى أهمية واضحة لروسيا "الدولة" ولشعبها وحضارتها ومدنيتها، وأنه كان يرى فيها – دولة وحكومة وشعباً – نموذجاً من النماذج الجيدة ، وإن خالفه فى ذلك البعض من المصريين آنذاك .

وفى إطار ذلك الموقف ، فإن المؤلف لا تشغله اختلاف العادات والتقاليد فى - روسيا عن مصر - ، لأن "لكل أمة عادات أهلية وتقاليد دينية وقيود رسمية وقواعد نظامية يجب على الغريب احترامها ولو كانت مخالفة لعادات وتقاليد قومه . كما أن لكل شخص أخلاقاً وطباعاً ينبغى للغير عدم التعرض له بها ولو كانت مما لا يلائم أخلاقه وطباعه تلك سنة درج الناس عليها من القِدَم تلطفاً منهم وتأدباً فى حق بعضهم بعضاً ، ومنعاً لما عسى أن يحدث من عدم احترام الأخلاق والعادات من الأحقاد والمشاحنات والضغائن والعداوات . إذ من المحال أن يكون جميع الناس على

مشرب واحد وأخلاق وطباع واحدة ، نظراً لتباين الأمزجة والجبلات ، وتأثير قوانين الوراثة والبيئة في الشخص ، وتباعد الأقاليم والمناطق واختلاف اللغات والأجناس والديانات" . ، وهو يشير إلى رفض بعض الروس للحرب ولرجالها ، حتى ولو كانوا من الروس .

ومع ذلك فإن "رشاد بك" - والذى تدل رحلته وإنفاقاته وتصرفاته وأفكاره على أنه ينتمى للطبقة العليا - لا يتوانى عن توجيه بعض النقد لأمور لم ترق له ، ورآها تستحق الإشارة والنقد ، ومنها "نظام الدخول فى روسيا والخروج منها" !! . والواقع أن هذه الإجراءات العديدة فى روسيا يمكن النظر إليها باعتبارها تدور فى إطار الإجراءات الإدارية والأمنية المشددة التى كانت روسيا تتخذها للحيلولة دون دخول العناصر الثورية إلى أراضيها ، ومن ناحية أخرى كانت مصر تختلف عن ذلك بسبب الوجود الأجنبى فيها . وعلى كل فعلى الرغم من أنه تقبل ذلك كله على أنه أمر واقع وسيادى لابد من احترامه ، وأنه "متى دخلتها تمتعت فيها بكل حرية كما لو كنت فى فرنسا أو إنجلترا وذهب عنك تأثير الباسبور وقيوده".. إلا أنه اندهش من أن هذه الإجراءات ليست قاصرة على أجانب فقط" بل هى شاملة لنفس رعايا روسيا". فهل يمكننا القول أنه -رغم أنه رجل قضاء - لم يدرك الهدف الأمنى من ذلك فى ضوء زيادة الأنشطة الثورية ضد القيصرية فى الداخل والخارج ؟. ومع ذلك فالأهم هنا أن نلاحظ قدر الاختلاف الكبير بين أوجه النقد لروسيا عند رشاد بك ، وبين أوجه النقد التى وجهها البعض من رجال الحركة الوطنية - وغيرهم - لروسيا من قبل مثل مصطفى كامل ومحمد فريد ، بل والشيخ الجرجاوى !! .

وما بين المدح والنقد ، وصف الرجل ما شاهده فى أنحاء روسيا التى مر بها وإذا كان الطهطاوى من قبل قد تحدث فى "وقائع تلماك" عن بعض المدن الروسية ، فإننا هنا مع أحد المصريين الذى زار مناطق ـ القرم والقوقاز وبلاد الشركس وداغستان ـ وغيرها من المناطق ، وشاهد العديد من المدن الروسية بنفسه وتحدث عن الكثير من الأمور التاريخية والمعايشة فيها . ، ومن المدن ـ أوديسا ـ التى تحدث عن تاريخ نشأتها وتطورها ، وثرائها وشوارعها وسكانها وجمالها وفنادقها وحماماتها وقهاويها .. إلخ ولقد تكرر ذلك فى الحديث عن مدن ومناطق أخرى ، ومنها ـ القرم و "سواطابول" و "باغجه سراى "سارى" العاصمة القديمة للقرم قبل مدينة سنفيروبول ويالطه وباطوم وكيرش وأنابا ونوفوروسيسك وسوخوم" عاصمة مملكة أباظا" (أبخازيا) وجاجرى ويالطه وقوطايس وبورجوم وباكوريانى وأباستومان وفلاديقافقاز وتفليس وباكو وكمره "بلد الشيخ شامل .. الرجل الخالد الذكر" والذى مدحه كثيراً .

والواقع أن "رشاد بك" يعطى أهمية خاصة للحديث عن المسلمين فى روسيا : من حيث أماكن وجودهم ، وأعدادهم ، ومساجدهم ، ومدارسهم ، وآثارهم وغيرها من الأمور . وأحسب أننا مع وصفه لروسيا نكون مع بلد ليس بالبعيد عن الإسلام . بل إن وصفه لها يجعلها بلداً فيها الكثير من المظاهر الإسلامية من حيث سكانها أو شعوبها ، أوديانتها ، أوتقاليدها .. إلخ . والواقع أن ذلك يظهر من خلال حديثه عن بلاد ـ الداغستان والتتار ـ وعن شعوب الجراكسة واللزجيين والأباظا وغيرها من المدن والمناطق .

وهو يشيد بمسلمى روسيا عامة ، وكذلك بالعلاقة القائمة بينهم وبين الدولة الروسية ، وبالخدمات التى يقدمونها لها وخاصة فى الجيش ، وبالحقوق التى يتمتع بها ـ أمير بخارى ـ ، وحسن معاملة "القيصر" له . كذلك أشاد بالنهضة التى تشهدها تلك البلاد بالقول "ورجال

الإصلاح المسلمون، ولاسيما الشيوخ والتجار، مهتمين كل الاهتمام بنشر التعليم بين الأفراد وتنوير الأذهان بالعلوم الحديثة، وبالجملة فإن مسلمي روسيا ناهضون الآن نهضة حقيقية تعود عليهم بالعز والفخر مدى الدهر، وهم لا يقصرون همهم على تعليم البنين بل يعتنون أيضاً بتربية البنات، ولا يكتفون بتعليم أبنائهم في بلادهم بل يرسلون كثيراً منهم إلى ـ الآستانة ومكة والمدينة ومصر ـ. وإذا كان ما سبق وعرضناه، وكذا ما يعرفه المؤرخون، يتناقض مع ما ذكره "رشاد بك" فإن السؤال يبقى عن حقيقة ودوافع ما كتبه الرجل، أكان ما رآه حقيقياً أم أنه خيل إليه ذلك في ظل "الموقف الحيادي" الذي اتبعه في كتابته عن روسيا؟ بل وفي ظل قيامه بـ "رحلة".

وفي إطار الحديث عن بلاد المسلمين بروسيا يقول: "روسيا ـ على العموم ـ بلاد جميلة ولكن أجملها ـ القريم والقوقاز ـ فهما الدرة اليتيمة في تاج القياصرة. ولا عجب فإن المسلمين ملكوا أجمل بقاع الأرض وأخصبها". وهنا نجده يوجه اللوم للمسلمين ولم يأخذوا من التمدن الحديث بأحسن ما فيه، ولم يحافظوا على قوتهم.

وفي إطار وصفه لروسيا عامة، وصف بإعجاب أيضاً ـ نهر الفولجا ـ "أكبر أنهار الدنيا" ـ ومدينة موسكو ـ، ـ وكييف وبطرسبورغ ـ التي أفاض في وصفها: اتساعها وتمدنها ودور العبادة فيها، وكذلك مكتباتها وأكاديمياتها ومتاحفها وميادينها، وغيرها من المظاهر التي جعلتها عنده مثل ـ برلين وفيينا وباريس ولندن ـ. كما تحدث عن ميزانية روسيا وعملتها وسكانها وعاداتها وعامتهم وخاصتهم ووضع المرأة بينهم كما تحدث عن أقسام روسيا الإدارية ودستورها الذي "عمره الآن سبع سنين" ومدارسها وعن الجيش والسكك الحديدية وثراء القيصر، وغير ذلك من الأمور.

وهو يذكر أنه قابل - في سياحته الأولى - "تولستوي"، وتحدث عنه بكثير من الاحترام والإعجاب، سواء لاحترامه للإسلام، أو لدعوته إلى السلام والإخاء بين الناس والشعوب، أو لحبه للفلاحين وتقشفه في حياته الخاصة.. كذلك تحدث عن أهم شعراء روسيا ومنهم ـ بوشكين وليرمونتوف ـ كما تحدث عن الأديب ـ جوجول ـ والأديب ـ دوستوفسكي ـ، وأشار إلى شهرة ـ ماكسيم جوركي ـ آنذاك.

وخلال ذلك كله، انتقى "رشاد بك" بعض الملامح في تاريخ روسيا وتحدث عنها لقد تناول على سبيل المثال دخول المسيحية إليها، وتحدث عن كنائسها، وكيفية تفوق السلطة الزمنية على السلطة الدينية من أيام بطرس الأكبر. ومع إعجابه بما عليه الكنائس الروسية من جمال وفخامة، إلا أنه ينتقد ما يوجد فيها من مظاهر للثراء، وما عليه رجال الدين من ثراء، ويطرح فكرة توجيه بعض ذلك للفقراء. وهو يورد في ذلك عبارة يتضح منها موقفه الرافض للاشتراكية، حيث يقول: "ولعمر الحق ـ لو نزل المسيح إلى الأرض وشاهد ما عليه بعض رجال الدين من الترف والنعيم وما يتشحون به من الخز والديباج وما يسكنونه من القصور الباذخة، لأحالهم على مجلس تأديب! واعاد يعظ الناس من جديد موصياً طغمة الإكليروس بالزهد والتقشف أو على الأقل بالقناعة في المأكل (والمشرب) والبساطة في الملبس حتى في أيام الآحاد والمواسم والأعياد، لأن مملكته ليست من هذه الدنيا. ولو رأى ما وضعوه على صورته الكريمة من الحلي الباهرة لخانه حلمه المعهود وانتزعها بيده ـ غضبان أسفاً ـ ووزعها في الحال على الفقراء والمساكين ليكون لهم من ثمنها رؤوس أموال تنقذهم من مخالب الفقر والفاقة، حتى لا يعيشون

بؤساء ويموتون تعساء ، ولا ذنب لهم سوى أنهم ولدوا فقراء . أما إذا فتش الكنائس بنفسه ، وعلى الأخص كنائس - بطرسبورغ وروما ومدريد ومالطة والقدس وبيت لحم - مسقط رأسه ، ووقف على ما تحويه خزائنها من الأعلاق المصوغة من الذهب الخالص والمرصعة بالجواهر واللآلئ، لهاله الأمر واستهوته الأشجان ، ولأمر بالإفراج عنها فوراً ، مكتفياً بالذخائر الأخرى ، وأشار ببيع الحجارة الكريمة وصك الذهب إلى نقود لتتداول بين الناس حتى يقل الشقاء المستحكمة حلقاته على الأرض، وتخف وطأة الفقر فى هذا العالم ، فيشتت شمل العدميين وتنحل عصابات الفوضويين، وينضمون إلى أحضان أمهم الكنيسة ، ويعودون إلى حظيرتها ويصبحون جميعاً من أبنائها الصادقين ومحبيها المخلصين". وهو يتساءل بشكل استنكارى قائلاً : "وبعد هذا كله لا أدرى لماذا يحيطون بعض كنائس القوقاز.. بالمدافع التى غنمها الروس فى حروبهم مع الترك أو الجركس أو نحوهم مع أن الكنائس لم تكن فى الأصل إلا لنشر المحبة والسلام ولم تجعل متاحف لتتذكر الناس بسفك دماء الناس وضربهم بالمدافع وقتلهم بحد الحسام". وفى ذيل السياحة يتحدث "رشاد بك" - وبشكل سريع وبسيط - عن الروس" ومن ذلك الوقت إلى الآن أصبح التتار تحت حكم روسيا بعد أن كانوا سادتها وحكامها، فانظر يا صاح لتقلبات الزمان" !! .

على أى حال فقد أجمل الرجل مساوئ روسيا - كما رآها - فى ثلاثة أشياء "لو لم تكن فى روسيا لكانت كلها محاسن وهى : جواز السفر واضطهاد اليهود وعداء الدولة العثمانية "فإذا ألغت روسيا (الباسبور) وجعلت الدخول والخروج فى بلادها حراً تشبهاً بغيرها من الأمم المتمدينة، قصدها الناس من كل فج وعاد عليها ذلك بكثير من الفوائد الاقتصادية والمنافع الأدبية . ، ولا خوف عليها من أشرار الأجانب لأن لديها من القوة ما يكفى لردع كل من يجرأ على انتهاك حرمة القانون أو يخل بالنظام العام . ، وإذا كفت عن اضطهاد اليهود ومنحتهم الحقوق الممنوحة لغيرهم من العناصر الروسية ، وتركتهم أحراراً يروحون ويغدون كما يشاءون ، ولم تحجر على حريتهم الشخصية وجعلت شعارها دائماً - الدين لله والوطن للجميع - نفعوها وأخلصوا لها ، وتحدثوا بفضلها عليهم وشكروا منتها ، وتباهوا بالانتساب إليها وافتخروا برعويتها ، خصوصاً وأنهم لا يعرفون لهم وطنا غير روسيا ، وقد مضت عليهم فيها القرون الطويلة وهم لا يتكلمون لغة غير لغتها ، فهم رعاياها وفى ذمتها ويحق لهم جميعاً أن يتمتعوا فى الداخل والخارج بحمايتها ، وإذا صافت روسيا الدولة العثمانية وتركتها تعيش كما تحب هى أن تعيش ، وكفت عن خلق المشاكل لها، ووضعت حداً لمطامعها واكتفت بملكها العظيم وبما هى فيه من رغد ونعيم، ومدت يدها إلى الأتراك وصافتهم وسالمتهم ، تناسوا الماضى لأنهم شعب حسن النية سليم الطوية ، وعادت هذه المصافاة على الطرفين بفوائد لا تحصى ومزايا لا تستقصى. ألم تكن فرنسا وإنجلترا عدوتين قديمتين ؟ . ألم يحول الملك إدوارد بحنكته وحذقه ومهارته تلك العداوة الشديدة إلى صداقة متينة مع إختلاف أخلاق الأمتين وتباين الدين فيهما ؟ . ألم تتحالف إنجلترا مع اليابان، وهذه دولة وثنية وتلك مسيحية ؟ . فمتى يوجد فى روسيا رجل نبيل القصد كريم السجايا يحذو حذو الملك إدوارد ؟، ويرجع عن تلك التقاليد البالية العتيقة ، ويحول عداوة تركيا إلى صداقة ، حتى يستريح العالم من تلك القلاقل التى مجتها الأذواق وملت من سماعها الآذان" .

الخلاصة إن "سياحة فى روسيا" تمثل نقلة أخرى مهمة ومختلفة فى الكتابات المصرية فصاحبها سافر إلى روسيا بقصد السياحة ورؤية الآخر عن قرب، لا لأمر آخر . والسياسة لم تلعب دوراً كبيراً فى تشكيل موقفه من روسيا" دولة وحكومة وشعباً حتى أنه لم يذكر شيئاً عن

ثـورة 1905م – 1907م ! . ومـا كتبـه كان فى النهايـة اسـتمراراً – بل وتطـوراً – لتلك الكتابات الهادئـة والأقرب لاتخاذ الموقف الحيادى تجاه روسـيا، والتى لا ترى فيهـا دولة عدوة، بل دولة تضم بين جنباتها الكثير من الشعوب الإسلامية. إذن لقد أصبحت روسـيا بالنسـبة لبعض المصريين دولة "عادية" وعلى أى حال سـيكون هذا النوع من الكتابات مقدمة لكتابات تاريخية أخرى أكثـر هدوءاً فى النظر إلى روسـيا وصورتها، خاصة بعد قيام ثـورة 1917م ثم ظهور تركيا على أنقاض الدولة العثمانية. فمع ذلك الوقت ستصبح لدينا كتابات جديدة تشيد بروسيا وبحروبها وانتصاراتها ضـد الدولـة العثمانية التـى أصبحت مضرب الأمثـال فى التأخر والتخبط السياسـى والاقتصـادى .. ناهيك عن الكتابات التى أخذت تشـيد بالثورة البلشـفية والفكر الاشـتراكى وتمجد دور الشـعب الروسـى، وتلك قضايا تحتاج إلى رحلة أخرى للبحث عن "صورة روسيا ما بعد القيصرية".

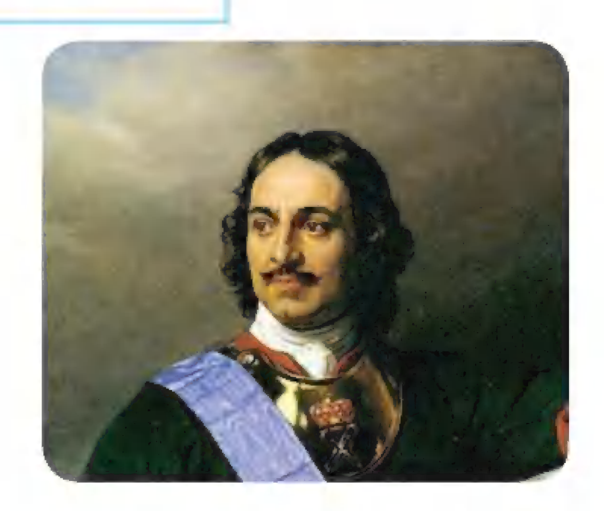


من أرشيف الخارجية الروسية



من وثائق الأرشيف الروسى :

- الوالى محمد على باشا يطلب العون الروسى لاستخراج الذهب .
- أول موفدان مصريان في بعثة للتعدين سافرا في 1843.
- القيصر الروسى يتابع بنفسه إنجازات الموفدين المصريين للمهمة .
- أول بعثة روسية لمصر في 1847 أنشأت معملاً مصرياً لاستخراج الذهب .





بدايات التعاون العلمى بين مصر وروسيا تزيد كثيراً عن غمز العلاقات الدبلوماسية التي نشأت بينهما فالأرشيف المركزى الروسى مازال يحتفظ ما بين ملفاته تفاصيل هذه العلاقات بكل دقة، المؤرخ الروسى "جينادي جورباتشكين" - وهو أستاذ فى التاريخ ومستشرق معروف عكف على هذه الأرشيفات متنقلاً ما بين موسكو وسانت بطرسبورج وقازان وغيرها من مدن روسية كثيرة يحكى من بين دفاتره قصة أول تعاون علمى بين مصر وروسيا بدأ منذ زمن .

بدأت القصة مع علم- الوالى المصرى محمد على- بأن الروس قد توصلوا إلى طريقة جديدة لاستخلاص الذهب من الرمال. كيف علم الوالى الباشا بهذا الأمر ؟ هذا ما لا تذكره الوثائق الرسمية، لكن أغلب الظن أن أحداً من مستشاريه قد نقل له هذه المعلومة. كان ذلك فى يونيو 1838م .

استدعى- محمد على باشا - القنصل العام لروسيا فى مصر "ميديم" بمقر الحكم بالقلعة فى 28 يونيو 1838م، وطلب منه الحصول على وصف دقيق، ومفصل للطريقة الجديدة والخطوات التطبيقية اللذين يمارسان فى روسيا لاستثمار الرمال الحاوية ذهباً عن طريق الصهر بدلاً من الغسل .

القنصل العام الروسى بمصر "ميدم" خرج من معية الوالى المصرى ليكتب برقيته التالية فى 28 يونيو 1838م لوزارة خارجيته :

وصلت الرسالة موسكو .. وما بين وزارة الخارجية - ودوائرها المتخصصة - ومصانع الذهب ، وأرشيف المصانع ـ استغرق هذا الأمر ما يزيد عن ثلاثة أعوام ـ تم جمع كل ما هو متعلق بالطلب المصرى من وثائق ومعلومات أرسلت على وجه العجل إلى مصر فى سبتمبر 1841م.

وقد كلف ـ محمد على باشا ـ والى مصر رجاله أن يعكفوا على دراسة ما وصلهم من روسيا من معلومات رأوا أنها تستحق الإهتمام ، ومن ثم كان طلبهم أن توفد روسيا لمصر خبراء فى هذا المجال لإنشاء معمل لاستخراج الذهب من الرمال المصرية.

لكنّ روسيا كان لها رأىٌ آخر ، إذ أرسلت مكتوباً يقترح إرسال ـ مهندسين مصريين ـ لها للاطلاع والمشاهدة لهذه المعامل الروسية ، وكان هذا هو نص الخطاب :

رسالة القنصل العام لروسيا فى مصر ميديم إلى نائب مدير الدائرة الأسيوية
لدى وزارة خارجية روسيا السيد سينيافين
الإسكندرية ، 16 (28) يونيو 1838
السيد نائب المدير سينيافين ، ح
طلب منى باشا مصر الحصول على وصف دقيق ومفصل للطريقة الجديدة ، والعمل التطبيقى ، اللذين يمارسان فى روسيا لاستثمار الرمال الحاوية ذهبا عن طريق الصهر بدلا من الغسل . واليوم اتوجه إلى الدائرة الأسيوية برجاء تطمين رغبة الباشا التى أعرب عنها بهذا الصدد . لهذه الغاية أرجو طائعا إرسال وصف بالفرنسية للطريقة الجديدة المتبعة فى مصانعنا ، وكذلك إرسال رسوم للمعدات التى تستخدم فى العمليات الآنفة الذكر
تفضلوا ، سيدى نائب المدير ،بقبول
فائق احترامى
ميدم

إلي نيسيلروديه من أركان فيلق مهندسي التعدين

سان بطرسبورغ ، 7 من ديسمبر 1843 ، رقم 6257

سيدي الكريم "الكونت كارل فاسيليفيتش" ، لقد طلبتم مني ، ياصاحبَ السمو ، لدى إرسالكم لي في 25 من نوفمبر الماضي (بلاغ السيد مبعوثنا لدي الباب العالي العثماني تحت رقم 254 مع الملحقات) ، أن أبدي رأيي بصدد إيفاد مهندسي تعدين روس إلي مصر لأجل دراسة الرواسب الحاوية ذهباً و تنظيم معالجتها الصحيحة .

بعد مطالعتي هذه الأوراق أتشرف ، سيدي الكريم ، و طبقا لمحتواها ، بأن أُبلغكم أنه لا يوجد لدينا الآن ، في ظل التطور السريع لصناعة استخراج الذهب من الرواسب الحاوية له في روسيا أشخاصٌ خبيرون متفرغون ، يمكن تخصيصهم للإيفاد إلي مصر. فضلا عن أن لإيفاد مهندسين روس، وأوروبين علي العموم ، إلي هناك من المستبعد - في رأيي - أن يجلب فائدة عملية وذلك بسبب عسر المناخ المصري بالنسبة لسكان الشمال، وكذا بسبب عدم إمكان الأوروبي، الذي لا يعرف لغة هذا البلد ، ولا عبادات الشرق، التكيف بسرعة مع الظروف و العلاقات المحلية ، التي تتسم دائما بتأثير شديد علي نجاح المؤسسات الصناعية . لهذه الأسباب الوجيهة ، فلو وكل

إلي نيسيلروديه من أركان فيلق مهندسي التعدين
سان بطرسبورغ ، 7 من ديسمبر 1843 ، رقم 6257
سيدي الكريم الكونت كارل فاسيليفيتش ، لقد طلبتم مني ، ياصاحب السمو ، لدي إرسالكم لي في 25 من نوفمبر الماضي بلاغ السيد مبعوثنا لدي الباب العالي العثماني تحت رقم 254 مع الملحقات ، أن أبدي رأيي بصدد إيفاد مهندسي تعدين روس إلي مصر لأجل دراسة الرواسب الحاوية ذهبا و تنظيم معالجتها الصحيحة .
بعد مطالعتي هذه الأوراق أتشرف ، سيدي الكريم ، و طبقا لمحتواها ، بأن أبلغكم أنه لا يوجد لدينا الآن ، في ظل التطور السريع لصناعة إستخراج الذهب من الرواسب الحاوية له في روسيا ، أشخاص خبيرون متفرغون ، يمكن تخصيصهم للإيفاد إلي مصر . فضلا عن أن لإيفاد مهندسين روس ، وأوروبين علي العموم ، إلي هناك من المستبعد ، في رأيي ، أن يجلب فائدة عملية سواء بسبب عسر المناخ المصري بالنسبة لسكان الشمال ، أم بسبب عدم امكان الأوروبي ، الذي لا يعرف لغة هذا البلد ، ولا عبادات الشرق ، التكيف بسرعة مع الظروف و العلاقات المحلية ، التي تتسم دائما بتأثير شديد علي نجاح المؤسسات الصناعية ؛ لهذه الأسباب الوجيهة ، فلو كان الأمر لي لكنت امتنعت عن إيفاد مهندسي تعدين روس إلي مصر ، و لكنت اقترحت علي الباشا ، بدلا من ذلك ، إرسال أشخاص من لدنه إلي روسيا تقدم لهم دائرة التعدين جميع التعليمات الممكنة لأجل أن تتم باسرع مايمكن دراسة طرائقنا للتنقيب عن الرواسب الحاوية ذهبا و معالجتها . وبامكان الأشخاص الموفدين من جانب محمد علي ، لدي وصولهم إلي أوديسا ، السفر رأسا إلي مدينة يكاتيرينبورغ في الأورال إذا لم يعتبر أمرا ضروريا لهم التعريج علي سانت بطرسبورغ .
و إنني ، إذ أتشرف بان أعيد طيه البلاغ المذكور للسيد مستشار الدولة الفعلي تيتوف تحت رقم 254 مع بلاغي القنصل العام كريمير ، و بأن أرفع شكري إلي سموكم علي إرسالكم إلي دائرة التعدين تقارير بخصوص المهندسين الأربعة العاملين في خدمة باشا مصر ، أرجوكم سيدي الكريم أن تتقبلوا فائق احترامي وولائي .

الأمر لي لإمتنعت عن إيفاد مهندسي تعدين روس إلي مصر ، ووكنت قد اقترحت علي الباشا ، بدلاً من ذلك ، إرسال أشخاص من لدنه إلي روسيا تقدم لهم دائرة التعدين جميع التعليمات الممكنة لأجل أن تتم بأسرع مايمكن دراسة طرائقنا للتنقيب عن الرواسب الحاوية ذهباً و معالجتها . وبإمكان الأشخاص الموفدين من جانب الوالى محمد على ، لدي وصولهم إلي أوديســا ، الســفر رأسا إلي مدينة "يكاتيرينبورغ" في - الأورال - إذا لم يعتبر أمرا ضروريا لهم التعريج على - سانت بطرسبورغ - .

و إنني ، إذ أتشــرف بأن أعيد طيه البلاغ المذكور للسيد مستشار الدولة الفعلى تيتوف تحت رقم 254 مع بلاغي القنصل العام كريمير ، و بأن أرفع شكرى إلي سموكم علي إرسالكم إلي دائرة التعدين تقارير بخصوص المهندسين الأربعة العاملين في خدمة باشا مصر ، أرجوكم سيدى الكريم أن تتقبلوا فائق احترامى وولائى .

لم يمـر كثـيراً ، حتى وجد (محمد على باشـا) من يأتمنه على هذه المهمـة الجليلة. فاختار شابين مصريين هما : (محمد على ، وإيليا الدهشورى) ليقوما بهذه المهمة. وكتب قنصل روسيا بالأسكندرية : فى 26 مارس 1845م كتابه للخارجية الروسية بهذا الشأن.

مراسـلات كثيرة أعقبت هـذا الخطاب تحـوى ترتيبـات لقـاء الموفديـن المصريين مـن فيينا لمرافقتهمـا إلى يـكاتيرنبـورج ، ولأنهما موفدان من قِبل والى مصر -شـخصيا فلقـد تابع بعثتهما الأمبراطور الروسـى بنفسـه ، والذى أصدر تعليماته "أن يـتم استقبالهما ، وبأن يطلعا تحت إشراف أسـاتذة معهد التعدين ، وأن يسـافر مع المهندسـين المذكورين مرافقين إلى مصانع التعديـن فى - الأورال- ، وتقدم لهم كل مسـاعدة ممكنة للدراسـة الراسـخة لطرائق معالجة الرمال الحاوية ذهباً المستخدمة عندنا " . كان هذا هو نص التكليف الأمبراطورى .

من فوك إلي سينيافين

الإسكندرية ، 26 من مارس 1845م ، رقم 6

سيدي الكريم ليف غريغورييفيتش ،

ببيان صادر في : 14 من ديســمبر أبلغ الســيد نائب المستشـــار الســيد المبعــوث - تيتوف - عن اقتراح الســيد وزيــر المالية ، الذي نــال الموافقة السامية للسيد: الإمبراطور، بأن يوفد باشا مصر إلي روسيا أشـــخاصا من لدنه يمكن قبولهم في المصانع الحكومية في يكاتيرينبورغ لدراســة طرائقنا في في الرواسب الحاوية ذهبا و معالجتها .

لقد ســبق لســلفى ، السيد المستشـــار الوزاري كريمير ، أنه أحاط محمد علي باشـــا في حينه علما بهذا الإقتراح . و قبل الباشا هذا الإقتراح مع الشكر و أعلن أنه سوف يستفيد منه فيما بعد . والآن ، قبل مغادرتي القاهرة ، صرح لي برغبته في أن يرســل

تيتوف

من فوك إلي سينيافين

الإسكندرية ، 26 من مارس 1845 ، رقم 6

سيدي الكريم ليف غريغورييفيتش ،

ببيان صادر في 14 من ديسمبر (كانون الأول) أبلغ السيد نائب المستشار السيد المبعوث تيتوف عن اقتراح السيد وزير المالية ، الذي نال الموافقة السامية للسيد الامبراطور ، بأن يوفد باشا مصر إلي روسيا أشخاصا من لدنه يمكن قبولهم في المصانع الحكومية في يكاتيرينبورغ لدراسة طرائقنا في في الرواسب الحاوية ذهبا و معالجتها .

لقد سبق لسلفي ، السيد المستشار الوزاري كريمير ، انه أحاط محمد علي باشا في حينه علما بهذا الإقتراح . و قبل الباشا هذا الإقتراح مع الشكر و أعلن أنه سوف يستفيد منه من كل بد فيما بعد ؛ والآن ، قبل مغادرتي القاهرة ، صرح لي برغبته في أن يرسل إلي روسيا لهذا الغرض شابين من أصل مصري ، هما علي محمد و إيليا داشوري ، موجودين حاليا في فيينا ، و يجيدان اللغتين الألمانية و الفرنسية ، و درسا هناك الأسس الأولية لفن التعدين .

إن باشا مصر ، في هذه الحالة و بعد اطلاعه علي إرادة السيد الإمبراطور بهذا الشأن يصر علي إيفاد هذين الشابين بأسرع مايمكن .

نظرا لذلك ، واذ أخذت في الحسبان ان هذين الشابين موجودان حاليا في فيينا ، وأنهما بالتالي سيقومان بلفة كبيرة جدا و زائدة إذا أرسلا عن طريق اوديسا ، قررت أن اتوجه إلي معاليكم مباشرة بأشد الرجاء بأن تتفضلوا بإبلاغ سمو الكونت كارل فاسيلييفيتش عن رغبة الباشا والإتصال بوزارة المالية لتهيئة سفر الشابين المذكورين بالطريقة الأكثر راحة و دونما عائق من فيينا مباشرة إلي المكان المقصود بأقصر طريق ممكن .

إنني ابعث ببلاغي هذا ، بواسطة الإدارة المصرية إلي السيد مبعوثنا في فيينا بالبريد المفتوح بغية ايصاله إلي معاليكم ، وأتشرف طائعا بأن أطلب منكم ، سيدي الكريم ، بغية إضاعة أقل قدر ممكن من الوقت ، تكليف السيد المستشار السري الكونت ميديم مباشرة بإبلاغ الشابين الموجودين في فيينا جميع التعليمات اللاحقة بصدد سفرهما إلي روسيا و تزويدهما بجوازي سفر لازمين لأجل ذلك .

فوك

إلي روسيا لهذا الغرض شابين من أصل مصري، هما (محمد علي وإيليا دهشوري)، وهما موجودان حالياً في - فيينا - ، و يجيدان اللغتين الألمانية و الفرنسية ، ودرسا هناك الأسس الأولية لفن التعدين .

إن باشا مصر ، في هذه الحالة و بعد إطلاعه على إرادة السيد الإمبراطور بهذا الشأن يصرّ على إيفاد هذين الشابين بأسرع مايمكن .

نظراً لذلك ، وإذا أخذت في الحسبان أن هذين الشابين موجودان حاليا في فيينا، وأنهما بالتالي سيقومان برحلة كبيرة جداً و زائدة إذا أرسلا عن طريق اوديسا. فقد قررت أن أتوجه إلي معاليكم مباشرة بأشد الرجاء بأن تتفضلوا بإبلاغ سمو " الكونت كارل فاسيليفيتش " عن رغبة الباشا ، والإتصال بوزارة المالية لتهيئة سفر الشابين المذكورين بالطريقة الأكثر راحة و دونما عائق من فيينا مباشرة إلي المكان المقصود بأقصر طريق ممكن .

إنني أبعث ببلاغي هذا ، بواسطة الإدارة المصرية إلي السيد مبعوثنا في فيينا بالبريد المفتوح بغية إيصاله إلى معاليكم ؛ وأتشرف طائعاً بأن أطلب منكم - سيدي الكريم - بغية التنفيذ في أقل قدر ممكن من الوقت ، تكليف السيد المستشار السري الكونت "ميديم" مباشرة بإبلاغ الشابين الموجودين في - فيينا - جميع التعليمات اللاحقة بصدد سفرهما إلى روسيا و تزويدهما بجوازى سفر لازمين لأجل ذلك .

فوك

وصل المهندسان المصريان (محمد على وايليا الدهشورى) ، وبعد رحلة طويلة بين المصانع والمعاهد الروسية - تخللها عثرات صحية مر بها الشابان المصريان - إلا أنها لم تهن عزمهما على استكمال مهمتهما التى ينتظر الوالى المصرى بفارغ الصبر خبر إنجازها .

تقارير متابعة أداء (محمد على وايليا الدهشورى) مازالت محفوظة بالأرشيف الروسى حتى الآن ، ومنها نجد هذين التقريرين :

الي الدائرة الأسيوية

سان بطرسبورغ ، 18 من ابريل 1846 ، رقم 1579

أبلغ مهندس التعدين المقدم كوفاليفسكي أركان فيلق مهندسي التعدين بأن المهندسين المصريين داشوري وعلي محمد اطلعا في غضون مارس (آزار) الماضي علي مصانع سيسيرت وكاسلي وكيشتيم و مناجم سويمانوفو لاستخراج الذهب ، و مصنع زلاتوأوست لصناعة الأسلحة ، و مناجم مياس لاستخراج الذهب ، وهما يعملان الآن في منجم أتلي ، وسوف يتوجهان بصحبة السيد كوفاليفسكي ، عند أول فرصة تسنح ، إلي فرقة أبحاث جيولوجية للتنقيب و الكشف عن الرواسب الحاوية ذهبا حيث سيبقيان حتي مطلع آيار (مايو) ، أي حتي موعد توجهها إلي أوديسا .

تتشرف أركان فيلق مهندسي التعدين بان تبلغ الدائرة الأسيوية بذلك ، وأن تطلب طائعة بإعطاء الأوامر لبعث الرسالة ، الواردة من المهندسين المصريين المذكورين و المرفقة طيه ، إلي عنوان أرتين بيه المخصصة له .

التقرير الأول عن أعمال المهندسين المصريين

تقرير المقدم كوفاليفيسكى

بتاريخ 1 من ديسمبر، رقم 28

الى أركان فيلقى مهندسى التعدين

طبقا للتعليمات المعطاة لى من الاركان أتشرف بأن أبلغكم بأنى مهندسى التعدين ، المرسلين من لدن باشا مصر ، داشورى وعلى محمد ،واللذين عملا طوال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) فى مكامن بيريوزوفسك ، قد غسلا شخصيا أكثرا من 500 بود من الرمل الحاوى ذهبا فى ألتى عسيل بدويتين ،إضافة إلى ذلك كانا يطلعان يوميا بصورة عملية على نماذج آلات غسل الذهب التى صنعت لأجلهما لكى يستطيعا تجميعها بنفسيهما فى المكان المفروض ودراسة أجزائها بالتفاصيل فى حال صنع آلة تحت إشرافهما فى مصر .أرى من واجبى أن أضيف إلى ذلك أن دروسهما تتوقف غالبا بسبب مرض أحدهما ،والآن داشورى بالذكام.

التقرير الثانى عن الذهب الذى استخرجه المهندسين المصريين

أنجزت المهمة - التي استمرت عاماً كاملاً - بنجاح. لكن محمد علي باشا لم يكتف بما تحقق، وكان يرى رأياً آخراً. إذ عاد في عام 1847م لطلبه القديم بأن ترسل روسيا مهندسين من لدنها للمعاونة في إنشاء هذ الصناعة بمصر، بعد أن تيقن أبناؤه - محمد علي و إيليا الدهشوري- من أن مصر تحتاج إلى هذه الصناعة. ولم يأن الإمبراطور الروسي جهداً في دراسة طلب الوالي المصري وأشّر عليه بخطه: "خاضع للتنفيذ".

من أركان فيلق مهندسي التعدين إلي الكونت نيسيلروديه

سان بطرسبورغ، 23 أغسطس 1847، رقم 4412

سيدي الكريم كارل فاسيلييفيتش

عطفا علي الرسالة الموقرة من سموكم، المؤرخة في 12 من اغسطس (أب) الجاري تحت رقم 2498، تشرفت بأن ارفع تقريرا إلى السيد الإمبراطور عرضت فيه مايلي:

1 - أن يوفد إلي مصر لتنظيم معالجة الرواسب الحاوية ذهبا مساعد رئيس التعدين لمصانع زلاتوأوست المدير المؤقت لهذه المصانع مهندس التعدين المقدم كوفاليفسكي بوصفه ضابط أركان ملماً بإنتاج الذهب، و مطلعا كفاية علي العادات الآسيوية أثناء مأمورياته المتكررة إلي الخارج، ومعروفا جيدا لدي وزارة الخارجية بتنفيذه تكليفات مختلفة. أما بالنسبة للمعونة الضرورية لضابط الأركان هذا في التكليف المسند إليه، فينبغي أن يرسل معه معلم تعدين واحد وغاسل ذهب واحد.

2 - تعيين معاشات لهؤلاء الموظفين لقاء عملهم خارج البلاد: للمقدم كوفاليفسكي 50 روبلا ذهبا في الشهر، ولمعلم التعدين 6 روبلات ذهبا، و لغاسل الرمال الحاوية 4 روبلات ذهبا، فضلاً عن المعاش لقاء عملهم داخل البلاد حسب قوانين المعاشات في التعدين، أما لدي إرسالهم فينبغي أن يخصص لهم للتنقل عبر روسيا نصف المعاش السنوي المخصص للعمل في الخارج دون أي خصم منه، و لنفقات الطريق من حدود روسيا إلي الإسكندرية: لكوفاليسكي.

225 روبلاً ذهباً، وللآخرين 85 روبلاً لكل ذهبا لكل واحد، وفضلا عن ذلك وضع 250 روبلا ذهبا تحت تصرف كوفاليفيسكي للمصاريف الطارئة ولمواصلة تنقل موظفي التعدين من الإسكندرية حتى مكان وجود الرواسب الحاوية ذهبا ولشراء أدوات لازمة للأبحاث العلمية، وغير ذلك، على أن تترك له حرية إنفاق هذه النقود حسبما يرتأى في حال الضرورة أو حسب تعليمات قنصلنا في مصر، ولكن بحث يقدم حسابا مناسبا لهذه النقود.

3- إن مبلغ النفقات المحسوبة وفق الكشف التقديري والمخصص لمأمورية المقدم كوفاليفيسكي المفترضة إلى مصر لمدة عام واحد والمقدر تقريبا بسبعة آلاف وتسعمائة وواحد وستين روبلا ذهبا وأربعين كوبيكا فضة ينبغي نسبة إلى حساب خزينة الدولة

4- تكليف القنصل العام الروسي في بما: لدى وصول المقدم كوفاليفيسكي إلى هناك إيلاء العناية اللازمة لضابط الأركان، هذا والايعاز له بأنه إذا طرأت ضرورة تمديد إقامته في مصر أكثر من واحدة فينبغى أن يخبر بذلك قبل الأوان.

إن جلالته الامبراطورية تكرم في 22 أغسطس (أب) الجاري، بأن كتب بخط يده على التقرير "خاضع للتنفيذ".

وإنني إذ أتشرف بإبلاغ سموكم بهذه الارادة السامية، أطلب منكم طائعاً سيدي الكريم. الاستعجال في إصدار الأمر بإيلاء المقدم كوفاليفيسكي مع موظفي التعدين العناية الحميدة من جانب قنصلنا في مصر ارى من واجبي أن أضيف إلى ذلك أنني أقترحت في الحال على السيد الرئيس العام لمصانع الأورال إرجاع السيد كوفاليفيسكي دون إبطاء الى سان بطرسبورغ فور تنفيذ المهام الموكلة إليه و إرجاع معلم التعدين وغاسل الرمال إلى أوديسا مباشرة، بحيث يصلا إلى هناك في أواخر أكتوبر المقبل، ولدى وصول السيد كوفاليفيسكي إلى هنا يجب أمره بالحضور الى هنا و يجب أمره بالحضور الى سموكم لنيل التعليمات المناسبة للتكليف المسند إليه.

وهكذا ..

وصل مقدم فيلق مهندس التعدين ـ كوفاليفسكى ـ الموفد بالإدارة الإمبراطورية السامية لمصر يرافقه عاملا تعدين ، ومهندس فى العلوم الطبيعية لميناء الأسكندرية على متن باخرة قادمة من ـ أوديسا ـ فى 23 نوفمبر 1847م .

الموفدون الروس جرى استقبالهم بميناء الأسكندرية رسمياً ، وبباخرة خاصة تم نقلهم للقاهرة للقاء ـ الوالى ـ لدراسة خططهم ، وخرجوا من معية الوالى ليرسل الوالى محمد على بنفسه خطاباً للإمبراطور الروسى يشكره على إيفاده للمهندسين الروس الذين وصلوا بحمد الله للديار المصرية .

استمرت البعثة الروسية لمصر قرابة العام – وكان يرافقهما المهندسان المصريان (محمد على و إيليا الدهشورى) – وأنجزت البعثة مهمة إنشاء أول معمل لإستخلاص الذهب فى ـ كسان ـ حيث شيد المعمل بآلاته وأدواته وبدأ فى الانتاج فعلاً ، وعادت البعثة لبلادها لتجد التكريم الإمبراطورى اللائق .

من فرونتشنكو الى نيسيلروديه سان بطرسبورغ ، 20من أكتوبر1848

سيدى الكريم كارل فاسيلييفيتش ،

إن محتوى الرسالة الموقرة لسموكم بتاريخ 6 من أكتوبر (تشرين الأول)الجارى تحت رقم 3420 بصدد مكافأة مهندس التعدين المقدم كوفاليفيسكى بالرتبة التالية ، رتبة عقيد ، لقاء الأعمال ، التى قام بها فى مصر لدى أدائه التكليف المسند إليه ، قد أسعدت بأن أرفعه إلى الرأى الرسمى للسيد الإمبراطور ، مضيفاً من جهتى أنه يوجد الأن فى قائمة مهندسى التعدين فى رتبة أعلى من السيد كوفاليفيسكى بضعة مهندسى تعدين برتبة مقدم يشغلون مناصب هامة مختلفة ويستحقون كلياً أيضا ترقيتهم إلى الرتبة التالية ، وقد تكرم صاحب الجلالة برحمته الفائقة فى 15 أكتوبر(تشرين الأول) الجارى بمنح المقدم كوفاليفيسكى وسام القديسة أنا من الدرجة الثانية .

واننى ، إذ أتشرف بإبلاغ سموكم بهذا العطف الملكى ، أطلب منكم طائعاً ،

سيدى الكريم ، قبول فائق إحترامى وولائى

فرونتشينكو



رؤية روسية للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في مصر عام 1881*

الإمبراطورية الروسية
القنصلية العامة
في مصر

26 من فبراير 1882م
رقم 74
سيدى الكريم "نيقولاى كارلوفيتش" :-
لى الشرف أن أقدم طيه ، نسخة عن تقرير عام 1881م المنصرم . مرفقه بتقريرى إلى "السفارة الإمبراطورية فى القسطنطينية" بتاريخ 18 من فبراير تحت رقم (56)
مع فائق الاحترام وعميق الولاء أتشرف بأن أكون خادماً مطيعاً لمعاليكم .
إلى صاحب المعالى "ن. ك. غيرس ليكس"

مصر

البند (١) - الاثنوغرافيا :

مساحة جميع الممتلكات ، الموجودة ، تحت سلطة الخديوى ، تساوى 2987000 كيلو متر مربع ، يقطنها 17000000 نفساً ، مساحة مصر ذاتها تبلغ 1021354 كيلو متراً مربعاً ، يقنطها حتى 5700000 نفساً . العدد الدقيق لسكان مصر ، سيصبح معروفاً فى أواسط العام الجارى ، إذ أنه شرع منذ مطلع يناير ، بإجراء إحصاء صحيح ، لجميع نفوس سكانها ، بمن فيهم الأرقاء البدو ، الذين لم يجر قيدهم حتى الوقت الحاضر .

عدد الأجانب حتى 80000 شخصاً .

عدد الرعايا الروس ، ومعظمهم : "يونانيون ، أرمن ، شراكسة وتركستانيون" والأشخاص القاطنون مصر تحت رعايتنا : "تشيرنوغوريون و صربيون و بلغار ومن أهالى بخارى وخيوى ، يبلغ حوالى 250 شخصاً .

* (تقرير قنصل روسيا العام فى مصر عن عام 1881م) - تقرير القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية في مصر إلى وزير الخارجية الروسي ن . ك . جيرس ليكس .

مدن مصر الرئيسية

1 ـ الإسكندرية : ميناء مصر الرئيسي ، حيث يعيش قسم كبير من الأجانب ، عدد سكانها 212000 شخص ، بينهم 48000 شخصاً أجنبي .

عدد السفن التي رست بميناء الإسكندرية عام 1881م

أ – 18 حربية ، بينها واحدة روسية .

ب – بواخر 1074 ، بينها 78 روسية .

جـ – 1291 شراعية ، بينها 11 روسية .

2 ـ القاهرة : عاصمة مصر ، عدد سكانها 350000 شخصاً بينهم م 20000 شخصاً أجنبي ، وهي المركز الرئيسي للتجارة الداخلية ، والتجارة مع النوبة والسودان ، والتي تتقلص سنوياً من جراء القضاء على تجارة الزنوج ، وفرض احتكار الحكومة على تجارة العاج .

3 ـ بورسعيد : الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، عند مدخل قناة السويس . عدد سكانها 12000 شخصاً .

عدد السفن التي رست ببورسعيد عام 1881م ، بإستثناء السفن التي عبرت القناة:

(أ) 12 حربية ، بما فيها واحدة روسية .

(ب) 365 بريدية وتجارية ، بما فيها 54 روسية .

(جـ) 47 شراعية ، بما فيها 3 روسية .

حتى الآن لا يوجد في مدينة بورسعيد ماء عذب ، وتتزود به بالأنابيب من الإسماعيلية ، حيث تعمل آلتان بخاريتان بصورة دائمة .

في العام الماضي اقترح السيد "دي ليسيبس" على الحكومة المصرية ، شق ترعة المياه العذبه من ـ الإسماعيلية ، حتى بورسعيد ـ ، إلا أن حكومة "رياض باشا" ـ آنذاك ـ رفضت اقتراحه ، لأنه طلب لقاء ذلك تمليكه التام لجميع الأراضي المحاذية للترعة ، المصمم شقها .

وأسس السيد "دي ليسيبس" ، حالياً شركة تنازل لها عن حقه القائم ـ حسب قوله ـ على نفس الامتياز ، الذي قد ناله عام 1856م لأجل شق قناة السويس في شق ترعة المياه العذبة من الإسماعيلية التي مدت إليها ترعة من النيل ، منذ زمن بعيد إلى بورسعيد .

وجاء السيد "دي لسيبس" شخصياً ، إلى مصر ، وبغية بذل المساعي للمصادقة على هذه الشركة ، ولكن مشروعه الجديد ، لم يجر النظر فيه حتى الآن لاعتبارات سياسية .

4 ـ دمياط : عدد سكانها 33000 شخصاً .

5 ـ السويس : الواقعة على خليج البحر الأحمر عند مخرج قناة السويس عدد سكانها 11000 شخصاً .

6 ـ الرشيد : عدد سكانها 16000 شخصاً .

7 ـ طنطا : عدد سكانها 60000 شخصاً ، مدينة مشهورة بأسواقها الدورية التي يؤمها حتى 800 ألف شخصاً ، في هذه الأسواق تجرى كل تجارة أوروبا مع مصر العليا ، والنوبة والسودان .

8 ـ المنصورة : عدد سكانها 16000 شخصاً ، وهي فى حالة تدهور بعض الشئ بسبب إلغاء المحكمة المختلطة ، فى هذه المدينة ـ التى أحيلت دعاواها جزئيا إلى محكمة القاهرة ، وجزئياً إلى محكمة الإسكندرية .

البند (2) ـ الحالة الاقتصادية :

خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة ، أصبحت الزراعة فى مصر فى حالة يرثى لها للغاية ، سواء من جراء الضرائب المرتفعة جداً ، أو بسبب أن الفلاحين كانوا فى قبضة المرابين (يونانيين ، أرمن ، يهود) ، الذين كانوا يستغلون وضعهم عديم المخرج لكى يمتصوا آخر نقطة دم فى عروقهم ، غير أن الضرائب ـ وإن كانت كبيرة ـ تجبى الآن بصورة أكثر سدادا ، بالإضافة إلى أنه أنشئ ، فى القاهرة مصرفان عقاريان ، يزودان الفلاحين ـ لقاء فوائد مئوية متهاودة ـ ، بالمبالغ الضرورية لدفع الإتاوات ويكمن الأمل بأن الزراعة ، سوف تزدهر فى مصر ، فى المستقبل القريب ، كما كان الأمر فى العصور القديمة ، عندما كان هذا البلد مصدراً الحبوب لأوروبا .

الأراضى المهملة فى مصر السفلى بدأت تجد مشترين لها من الأوروبيين ، وهى أيضاً سوف تقدم فائدة للبلاد مع مرور الزمن .

مساحة الأراضى المزروعة تصل فى الوقت الحاضر إلى 6 ملايين فدان .

أهم المنتجات الزراعية فى مصر هى : القطن ، وقصب السكر ،و القمح ، والأرز .

فى عام 1881م كان محصول القطن سيئاً ، فضلاً عن أن كثيرين من المزارعين لم يبيعوه حتى الآن ، بسبب أسعاره المتدنية فى أمريكا .

سعر القطن الآن 250 – 270 قرشاً مصرياً للقنطار الواحد ، بينما كانوا يدفعون عام 1880م لقاءه حتى 330 قرشاً مصرياً .

محصول القمح ، كان أيضاً غير جيد لدرجة أن كثيرين من المزارعين فى مصر السفلى استطاعوا بالكاد دفع الضريبة العقارية .

أسعار القمح مرتفعة جداً فى الوقت الحاضر ، فثمن أردب واحد من القمح ، مثلاً ، يدفعون حتى 140 قرشاً مصرياً .

محصول قصب السكر يسير من سئ إلى أسوأ ، ولكن سبب ذلك يعود إلى أنه تجرى زراعته ، فى الغالب فى أراض كانت ملكاً لأسرة الخديو السابق "إسماعيل باشا" ، ويديرها الآن مراقبون أوروبيون ، ليست عندهم أى فكرة عن الاقتصاد ، على العموم ولا سيما عن الزراعة فى بلد استوائى تقريباً ، والأشخاص المنفردون ، الذين يملكون مزارع قصب السكر ، لا يملكون أى مجال لتسويقه سوى إلى المصانع الحكومية التى تقدم ، عادة ، سعراً متدنياً جداً ، ولذا فإن عدد مزارع قصب السكر يتقلص عاماً إثر عام .

تربية المواشى فى مصر توجد فى مستوى متدن للغاية ، وقد تضررت عام 1881م ، بوجه خاص ، من جراء مرض عام أصاب الأبقار ، وكان سبب انتشاره فى الغالب ، التنظيم السئ لقسم البيطرة فى مصر .

ولم يتم حتى الآن إكتشاف معادن فى مصر ، ونقول بالمناسبة : إنه خلال عام 1881م تم فى مصر العليا إكتشاف رواسب ذات دلائل ذهبية ، ولكن نسبة الذهب فيها كانت تافهة جدا

بحيث أن استخراجه لن يغطى النفقات.

لا توجد فى البلد معامل ومصانع سوى معامل السكر، التابعة للخديو السابق "اسماعيل"، والتى يعمل نصفها فقط.

الحِرَف لا تزدهر، وكثير من الورش المصرية تصارع الورش الأجنبية بطريقة ما بسبب الأجور المتدنية.

البند (3) - التجارة:

كانت نتائج تجارة مصر الخارجية كالآتى:

المدة	الاستيراد بالقرش	التصدير بالقرش	المجموع
فى عام 1880 خلال	654 993 282	1298 320 352	19533 123 634
الأشهر الستة الأولى لعام 1881	354 882 520	654 915 188	1009 697 708

من حيث تجارة الاستيراد بلغ عام 1880 م أعلى رقماً بالمقارنة مع الأعوام الستة السابقة له، وهو يفوق عام 1879م بـ 154777282 قرشاً مصرياً، بينما يفوقه أفضل عام، أى عام 1875م، بـ 58033533 قرشاً مصرياً، وخلال الأشهر الستة الأولى من عام 1881م تجاوزت تجارة الاستيراد، مستواها عام 1880 بـ 46879499 قرشاً مصرياً، إن ذلك كله يبرهن على ازدياد ثروة البلاد.

ومن حيث تجارة التصدير جرى خلال العامين الأخيرين، بعض الانخفاض بالمقارنة مع الأعوام السابقة لهما، وقد أثر ذلك على المحصول السيئ للقطن وقصب السكر.

تحتل المرتبة الأولى فى استيراد البضائع حسب العادة، المصنوعات والأقمشة القطنية، وفى المرتبة الثانية الفحم الحجرى.

وفى التصدير يحتل القطن المرتبة الأولى، شأنه فى الأعوام السابقة أيضاً.

أكثر من نصف عمليات التجارة الخارجية هو من "إيطاليا، وروسيا، والهند، وأمريكا، واليونان"، ودول أخرى.

جدول تجارة مصر الخارجية

1 - عام 1880

البلد	الاستيراد بالقرش	التصدير بالقرش	المجموع بالقرش
إنجلترا	3 487 495.17	907 4961.33	12 562 456.5
فرنسا	1 129 852.22	1 114 102.70	2 243 927.92
النمسا	898 955.24	356 373.07	1 255 328.31
تركيا	131 644.56	737 395.39	869 039.95
إيطاليا	267 473.11	548 429.50	815 902.61
روسيا	88 197.49	722 666.18	810 863.67
الهند	390 359.46	3 496.79	393 856.25
أمريكا	74 075.04	98 855.52	172 930.56
اليونان	10 822.04	136 691.12	147 613.16
دول أخرى	71 084.55	188 251.22	259 335.77
المجموع	6 549 932.82	12 983 203.52	19 533 136.34

2 - عام 1881

البلد	الاستيراد بالقرش	التصدير بالقرش	المجموع بالقرش
إنجلترا	1 870 527.65	4 144 386.60	6 014 914.25
روسيا	71 852.76	1 023 420.62	1 095 273.38
فرنسا	524 606.13	485 915.65	1 010 521.78
النمسا	463 955.72	214 601.26	678 559.98
إيطاليا	132 571.51	356 883.60	489 455.11
الهند	290 631.82	1 100.96	291 732.78
تركيا	69 922.26	198 589.92	268 812.18
أمريكا	72 889.07	19 131.39	92 020.46
اليونان	9 307.97	48 200.49	57 507.46
دول أخرى	42 561.31	55 918.39	98 479.70
المجموع	3 548 825.20	6 548 151.88	10 096 997.08

المرور عبر قناة السويس :

عدد السفن التى عبرت القناة عام 1881م :

بالإجمال 2727 سفينة، منها : 2250 إنجليزية، 109 فرنسية، 71 هولندية، 64 نمساوية، 52 إيطالية، 46 أسبانية، 45 ألمانية، 20 روسية، 70 من بلدان أخرى .

بينها :

94 حربية (6 روسية) ، 442 بريدية. حمولة السفن عام 1881م: 5794401 طن. الإيراد السنوى 51073604 فرنكات. عدد الركاب 86807 أشخاص بينهم:

1 ـ عسكريون :

أ ـ 24327 إنجليزياً.
ب ـ 7981 تركيا.
ج ـ 5178 فرنسيا.
د ـ 2949 هولنديا.
هـ ـ 1505 أسبانيا.
و ـ 698 روسيا.
ز ـ 336 برتغاليا.
ح ـ 137 ألمانيا.
ط ـ 53 إيطاليا.

2 ـ حجاج 7222 .

3 ـ روس منفيون 480.

4 ـ مهاجرون إنجليز 337 .

5 ـ سائر الركاب 35604 أشخاص .

تجارة مصر مع روسيا :ـ

تجارة مصر المباشرة مع روسيا ، بدأت تتزايد منذ عام 1870م أثناء الحرب الفرنسية الألمانية، ولا سيما ابتداءً من عام 1876م عندما أسس البارون "كنووب" فى الإسكندرية "بيت أمبورغر وشركاه للتجارة الروسية" ، التى توفى رئيسها "إيفان أمبورغر"ـ المأسوف عليه ـ فى أواخر عام 1881م ، ويبقى الأمل بأن تواصل هذه الدار وجودها فى مصر ، تحت اسم آخر ولكن تحت العلم الروسى.

ازدادت تجارة مصر مع روسيا من حيث التصدير أو بالتحديد من حيث تصدير القطن ، من الإسكندرية إلى أوديسا مباشرة عام 1880م صدرت منها إلى روسيا كمية من القطن ، أقل مما فى العام السابق له ، لأنه تبين أنه كانت توجد عندنا احتياطيات كبيرة منه ، بقيت من الأعوام السابقة ، ولكن فى الأشهر الستة الأولى من عام 1881م صدرت من الإسكندرية إلى روسيا كمية أكبر بكثير مما كان خلال عام 1880م كله.

إضافة إلى القطن ، يصدر إلى روسيا من مصر : "التمر ، الأرز ، البن ، الحناء ، الفول ، الخضار ، الفواكه ، الجلود".

ويستورد من روسيا إلى مصر ، القمح على الغالب ، ثم الطحين ، والخيول ، والأبقار ، والزبدة ، والأجبان ، والدهن ، والحرير ، والحبال ، والألواح ، والسروج، وعدد الخيل ، استيراد الخيول والأبقار ، الذى توقف تماماً خلال أعوام 1870 – 1878 ، عاد الآن يتزايد بنطاقات واسعة جداً ، ولكن من دواعى الأسف أن هذه التجارة يتعاطاها اليهود وحدهم تقريباً ، الذين لا يوحون بأية ضمانة

للنزاهة والذمة.

وعلى العموم، كما يتبين من الجدول الذى أوردته أعلاه حول حركة تجارة مصر فى عام 1881م، تحتل روسيا المرتبة الثانية، أى أنها تلى انجلترا مباشرة، ومن المؤكد أن روسيا تتخلف كثيرا من حيث تجارة الاستيراد عن فرنسا والنمسا وحتى إيطاليا، ولكن ينبغى الأمل بإننا، مع تطور أسطولنا التجارى سنحتل فى مصر المرتبة اللائقة بنا، بالنسبة لاستيراد البضائع أيضاً.

البند (4) – المالية :

إن مالية مصر فى وضع جيد للغاية بفضل إدارة البلاد بصورة شريفة ومقتصدة من جانب الحكومة، ومن جراء تخفيض نسبة الفوائد المئوية، التى تدفعها الحكومة بموجب الديون الأجنبية إضافة إلى ذلك يجرى تحصيل الإتاوات، بصورة صحيحة، وفقط بعد إنتهاء جنى المحصول، أى عندما تصبح الأموال متوفرة لدى جميع المزارعين.

تبلغ الميزانية المقررة لعام 1882م :

المداخيل 8746586 جنيهاً مصرياً، المصروفات 8463968 جنيهاً مصرياً، الرصيد المفترض بقاؤه 282588 جنيهاً مصرياً.

المصروفات الضرورية :

(أ) على إدارة البلاد 3688378 جنيهاً،

(ب) الإتاوة للباب العالى 6788486 جنيهاً

(جـ) على تسديد فوائد الديون الخارجية 3760997 جنيهاً.

المصروفات الاستثنائية المفترضة لعام 1882م ـ 540000 جنيه :

تحديداً :

على وزارة الحربية 100.000.

على وزارة الأشغال العامة 170000.

على سكك الحديد 70000.

على السودان وهرر والبحر الأحمر 100000.

على المصروفات الطارئة 100000.

البند (5) – الإدارة :

يدير مصر الخديو "محمد توفيق الأول" بواسطة حكومة شبه دستورية، ومجلس نواب تم تشكيله فى نهاية العام الماضى، وفى سبتمبر (ايلول) 1881م استبدلت حكومة "رياض باشا"، بحكومة "شريف باشا"، التى تنتمى بدرجة معينة إلى الحزب القومى، ولكن "شريف باشا" استقال الآن، والحكومة الحالية، "لمحمود باشا وعرابى بيه"، حكومة قومية صرف، وتحظى بتأييد الجيش بالدرجة الأولى الذى يعتبر نفسه بمثابة مثقفى البلاد. المراقبان : الإنجليزى والفرنسى لا يتمتعان رغم وجودهما كذلك فى عداد الحكومة، بذلك النفوذ، الذى كانا يتمتعان به على عهد "رياض باشا"، أو "شريف باشا".

جرت الانتخابات إلى المجلس فى شهر نوفمبر (تشرين الثانى) الماضى بصورة صحيحة، غير أن

الاهتياج العام للعقول لدى سكان أفريقيا العرب ، ولحد ما الخوف من الجيش ، جعلا النواب ، الذين يعارضون أى تدخل أوروبى كان فى شئون البلاد الداخلية ، "ليبيراليين" تماماً.

علاقات السلطة المركزية مع الممثلين الأجانب ودية على ما يبدو ، ولكن السلطات المحلية لا تتصرف دائماً بصورة صحيحة حيال الأجانب.

الحالة الصحية فى الأقليم حسنة جداً ، فجميع الإجراءات ، التى اتخذها مجلس الوقاية الصحية الدولى فى الإسكندرية ضد الكوليرا ، التى اجتاحت الهند والحجاز ، بدت عملية جداً ، بحيث أن ـ الكوليرا ـ ، رغم عدد الحجاج الكبير الذين اجتازوا مصر، لم تنتشر إلى أبعد من الفيجة (نقطة الحجر الصحى على البحر المتوسط عند حدود مصر) .

البوليس : شأنه فى الزمن السابق أيضاً ، متوسط النوعية فى كل مكان .

اجتمع مجلس النواب فى أواخر العام ، ولكنه سوف يعقد جلساته حتى 16 من مارس ، مجمل اتجاهه ليبيرالى ، وموجه ، بالدرجة الأولى ، ضد التدخل الأجنبى فى الإدارة الداخلية .

المحاكم المختلطة : تعمل وفق الأسس السابقة ، تم تمديد وجودها مؤقتاً لمدة عام واحد ، كما أن اللجنة القضائية الدولية لم تنعقد فى الخريف لاعتبارات سياسية، ولكن من المفترض عقدها فى أكتوبر (تشرين الأول) من العام الماضى .

إصلاح المحاكم العربية ذاتها تقدم شوطاً بعيداً ، خللل العام المنصرم ، ولكن لم يتم بعد وضعه قيد التنفيذ ، بسبب النقص فى عدد الأشخاص المحضرين حقوقياً.

دائرة الاختصاص القضائى لا تزال موجودة ، لأجل النظر فى دعاوى جنائية، وبعضها دعاوى بوليسية ، ولأجل الدعاوى المدنية بين رعايا دولة بعينها ، ولكن من المرغوب فيه لو أحيلت جميع هذه الدعاوى إلى إختصاص المحاكم المختلطة ، التى يضم قوامها عناصر مهيأة للشئون القضائية، أكثر بكثير من القناصل والموظفين القنصليين .

البند (6) ـ الإصلاحات :

الإصلاح المالى ، الذى بَشّر به عام 1880 ، ووضع قيد التنفيذ نهائياً خلال عام 1881م ، وجلب فائدة كبيرة للبلاد ، وتبين فقط فى واقع الأمر أن الإشراف "الانجلو فرنسى" ، الذى تكلف ثمناً باهظاً ، كان غير لازم على الإطلاق ، لأن الصندوق الدولى للتسديد والمفوضين الأجانب ، الذين يديرون عقارات الدولة، والعقارات العائدة لأسرة الخديوى السابق "إسماعيل باشا"، يؤمّنون بشكل كاف مصالح أصحاب الأرصدة المصرية ، فى حين أن المرقبين العامين: " الإنجليزى ، والفرنسى" ، يجرحان عزة نفس العرب ويثيران سخط السكان المحليين الشديد عليهما ، بانهما يتدخلان فى الشئون السياسية والإدارة الداخلية معتبرين نفسيهما شبيهين بالمعتمدين الإنجليز فى الهند .

فإذا لم يتم وضع حد لذلك فيمكن التنبؤ بحدوث إضطرابات شديدة وبتحرك السكان العرب ضد الأوروبيين .

إن الإصلاح القضائى كما أسلفت : ، انتهى إنجازه من الناحية النظرية ولكن لم يباشر بعد بتطبيقه .

الإصلاح العسكرى ، وضع حيز التطبيق جزئياً فقط ، ولكن فى ظل الحكومة الحالية ،

التى تتألف غالبيتها من العسكريين ، وكما تدل جميع القرائن سوف يطبق إلى حد كبير فى العام الجارى .

البند (7) ـ العمليات الحربية :

فى العام الماضى زيد تعداد الجيش المصرى بمقدار 3000 شخص ، وثمة افتراض ، بأنه سيزاد مقدار ثلاثة آلاف أخرى ، وتعداد القوات غير النظامية فى "السودان ، وهرر ، ودارفور ، والبحر الأحمر" من المفترض زيادته أيضاً سواء بمناسبة الحركة الدينية الجارية فى "السودان" ، أم من جراء الاستعدادات العسكرية فى الحبشة ، التى لم تعقد فى يوم من الأيام صلحاً نهائياً مع مصر .

قسم كبير من "الضباط الأتراك والشراكسة" ، تم إقصاؤهم من الخدمة ، واحتل العرب جميع المراكز العسكرية العليا .

القانون العسكرى للخدمة الإلزامية بالنسبة لجميع المصريين ، الذى وضع عام 1880م ، لم يوضع بعد قيد التنفيذ .

الأسطول الحربى يوجد فى نفس الوضع البائس الذى كان يوجد فيه فى العام الماضى .

البند (8) ـ التعليم العام :

فى زمن إدارة البلاد من جانب الخديو "إسماعيل باشا" ، تطور التعليم العام ، بخطوات سريعة إلى الأمام ، ولكن اعتباراً من زمن التدخل الأجنبى ، ومن جراء التدخلات الكبيرة فى جميع مجالات الإدارة الداخلية ، يسير التعليم العام إلى الوراء ، بل إلى الأمام ، وبالمناسبة نقول : إنه فى غضون عام 1881م أسست الجمعية الخيرية العربية مدرسة جديدة فى القاهرة ـ لأجل الأولاد العرب الفقراء ، كما أن وزير التربية والتعليم الحالى غير موجود فى المنصب اللائق به اطلاقاً ، والمستشارون الأوروبيون سرحوا من العمل ، ومجمل التعليم موجود الآن فى أيدى عرب متعصبين دينياً لحد ما ويدينون بأباطيل شرقية مختلفة .

ازداد عدد المدارس الأجنبية ، بإنشاء بعض "مؤسسات يسوعية" ، لأن المراقب الفرنسى السيد "بلينيير" يبسط رعايته بصورة سافرة على "اليسوعيين" ، الذين ملأوا البلاد منذ ذلك الزمن ، الذى لم يسمحوا لهم فيه بتعليم الشبيبة فى فرنسا .

مدرسة "هابيت" ، الموجودة تحت رعايتنا ، تزدهر باستمرار ، ففى عام 1881م كان يؤمها "303 تلامذة ، بينهم : 126 يونانيا ، و27 عربيا ارثوذكسيا ، و3 أرمن ، 15 قبطيا ، و6 عرب كاثوليك ، و3 بروتستانيين ، و106 مسلمين ، و7 يهود" . يود أولياء الأمور لو يجرى تعليم اللغة الروسية ، ولكن من الصعب جداً إيجاد مدرس روسى فى مصر يجيد التكلم باللغة العربية ، أو اليونانية أو حتى بالفرنسية .

المدير الجديد لدار الآثار المصرية السيد "ماسبير" و يجرى أعمال حفريات كثيرة ، وهو يعمل ـ على العموم ـ بنجاح كبير ، وقد سمح أيضاً لأشخاص آخرين بالحفريات ، ولكن بشرط أن يقدموا للمتحف جزءاً من الآثار القديمة التى يعثرون عليها .

البند (9) ـ الأديان :

عقول السكان المسلمين مهتاجة بعض الشئ ، فى كل أرجاء شمال أفريقيا من جراء حركة العرب فى "تونس والجزائر" .

ويلاحظ بعض الإستياء من الأوروبيين، ولا سيما من الذين يشغلون مناصب هامة فى الادارة المركزية ويتلقون رواتب مرتفعة جداً، ولكن لم يلاحظ بعد حتى الآن تعصب دينى حقيقى.

- الكنيسة القبطية- تعرضت لملاحقات شديدة فى زمن حكومة "رياض باشا"، فقد أجبروا قساوستها على العمل قسراً فى خدمة الدولة، ولم يكتفوا بمنع بناء كنائس جديدة، بل وحتى منعوا تصليح الكنائس القديمة، وتعرض الأساقفة الأقباط للملاحقة، ونهبت بعض الأديرة علناً، من جراء ذلك كله طلب الأقباط رعايتنا، الأمر الذى تشرفت بابلاغ الحكومة عنه فى الوقت المناسب ابتداءً من عهد حكومة "شريف باشا"، صاروا يتركون الأقباط وشأنهم، ومن المرجح أن الحكومة الحالية سوف تتصرف بالطريقة نفسها، لا سيما وانه يوجد بين النواب بضعة أقباط أغنياء، وبالتالى ذوى نفوذ داخل البلاد، أرى من المناسب أن أضيف إلى ذلك أن الإنجليز يبذلون الجهود لكسب مودة الأقباط، ويعملون لنشر الماسونية فى أوساطهم، إذ يقبلونهم فى عداد أنصار المحافل الانجليزية. و علاقات الكنيسة القبطية مع الكنيسة الحبشية حسنة جداً، فالمطران والأساقفة، الذين أرسلوا إلى الحبشة من القاهرة، يكتبون من هناك أنهم حظوا باستقبال حافل وأن السكان المحليين يكنون لهم الاحترام.

الأرمن فى مصر: يعيشون منذ زمن بعيداً فى تشاجر دائم، مع بعضهم البعض ومع رجال دينهم على السواء، إنهم يتشكون دائما تارة، إلى مطران القدس وتارة إلى بطريرك القسطنطينية الذى أرسل لهم منذ بضعه أشهر خلت، قسيساً رفيع المنصب لأجل إدارة الرعية المصرية، ولكن الأمور لا تزال تسير بشكل عسير لأن أنصار القسيس السابق، وكذلك الكثيرين من أعدائه السابقين أصبحوا غير راضين عن الكاهن الجديد للكنيسة الأرمنية فى القاهرة.

رجال الدين الأرمن وبعض الدنيويين سواء بسواء، يوجهون إلىَ أحياناً طلباً بالتدخل فى شئونهم الكنيسة وأنا- بالطبع- لا أرفض أبداً طلبهم بالشفاعة لدى الحكومة المصرية، ولكننى لا أوافق على التدخل فى إدارتهم الداخلية، فوق أننى أمنع نواب قنلصلنا من القيام، بذلك، لأن شئون الأرمن الكنيسة قذرة، وقائمة فقط على مَنْ الذى سيتسنى له، الاستفادة من مداخيل الطائفة الأرمنية: أريس رجال الدين ام أحد الأحزاب التى ينقسم إليها الأرمن المحليون.

تبلغ مداخيل "الكنيسة الأرمنية"، فى القاهرة، حتى 1500 جنيه مصرى، ولكن القسم الأكبر، من هذه النقود، يذهب إلى تسديد فوائد مئوية ضخمة لديون الطائفة تفوق 5000 جنيه مصرى.

وإن السبب الرئيسى للإدارة السيئة، لشئون الكنيسة الأرمنية، فى مصر، يكمن فى الميثاق العضوى للمجلس الإدارى، وفى طريقة انتخاب أعضائه: فإن جميع أعضاء الرعية الأرمنية القاطنين فى مصر، يتمتعون بحق الاشتراك فى الانتخابات، وبأن ينتخبوا، ولذا فإن معظم أعضاء، المجلس، ينتمون عادة إلى الطبقة الدنيا من السكان، ولا يحق لرئيس الرعية الدينى، إتخاذ أية تدابير كانت بدون موافقة المجلس، أما إذا تعدى سلطته، وحتى لو كان ذلك لصالح الطائفة، فإن المجلس يرفع شكوى إلى بطريرك القسطنطينية، الذى يحيل الرئيس الدينى إلى المحكمة الكنيسة، ويستدعيه من مصر. يجدر "ببطريرك القسطنطينية"، تغيير مثياق الطائفة الأرمنية المصرية، وإسناد إدارة شئون الكنيسة الأرمنية المحلية، إلى مجلس يتألف من

أشخاص ميسوري الحال، وشرفاً، ومخلصين للكنيسة، على أن يعين رئيساً له رجل دين، رفيع المقام معروف، بدرجة ما وسط الأرمن، بحياته المثالية وبإخلاصه لمصالح الأمة.

الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية توجد في الفقر، أكثر مما في الغنى، الامكانية الوحيدة، لإنهاضها هي حمل الحكومة الرومانية، إن لم يكن، على أن تعاد إليها العقارات العائدة، "لبطريركية الإسكندرية"، والتي احتجزها الأمير "كوزا"، فعلى الأقل على تقديم مبلغ سنوي معين لحاجاتها، في الوقت الحاضر تعيش "بطريركية الإسكندرية" فقط، على هبات بعض اليونانيين، وتبرعات مجمعنا الكنسي الأقدس. ولا تتلقى هذه الكنيسة، هنا أية هبات من اليونان، بل وفي روسيا أيضاً، يتبرع لها أشخاص عاديون بمبالغ قليلة جداً من الأموال، أما إذا أرسلت أموال إلى مصر من روسيا، فإن قسمها الأكبر يذهب إلى "دير سيناء" الذي سيزداد يسرا، في المستقبل القريب نظراً لكون حكومتنا، وهبت الدير العقارات التي تعود ملكا لها في القفقاس، وتزمع على أن تعيد له أيضاً العقارات المحتجزة في بيسارابيا.

عدد الحجاج الروس، الذين يمرون عبر الإسكندرية، يتزايد عاما إثر عام، ولكن معظمهم يذهب إلى القدس، وقلائل جداً يذهبون إلى سيناء: 87 شخصاً عام 1880م و 60 شخصا عام 1881م.

بالمناسبة نقول إن جميع هؤلاء الحجاج ينتمون إلى الطبقة غير الميسورة من السكان ولا يقدمون ربحاً كبيراً، لا لبطريركية الإسكندرية ولا لدير سيناء "الدعاية البروتستانية، والدعاية الكاثوليكية"، سواء بسواء لا تحظيان بعدد كبير من الأنصار في أوساط المسلمين، ولكنهما يعملان بنجاح وسط فقراء اليهود واليونانيين والأقباط الذين يلجئون إليهما بغرض المنفعة المادية.

البند (10) - الجالية الروسية والوكلاء القنصليون:

في الإسكندرية:

أ - الرعايا الروس 52، ب - الأشخاص الموجودون تحت رعايتنا 68.

في القاهرة:

أ - الرعايا الروس 36، ب - الأشخاص الموجودون، تحت رعايتنا 33.

في سائر المدن والمحافظات: أ - الرعايا الروس 20، وب - الأشخاص الموجودون، تحت رعايتنا 31 - المجموع 240 شخصا، باستثناء الذين يقطنون مصر مؤقتاً.

دور التجارة الروسية الرئيسية: في الإسكندرية "أمبورغير وشركاه"، التي يجري حالياً تصفيتها بسبب وفاة "أمبورغير، انطونيادس بسترس، عاشقيان، سياغ وكورداخي"، في القاهرة: "غريغوري ديليا، بوغوس كارابيتوف وعلي بابا"، في السويس: "كوستا"، في طنطا: "كورداخي ابن الأخ".

الحجاج المسلمون، ذو التبعية الروسية يمرون عبر مصر بأعداد كبيرة عادة، ولكن في العام الماضي، كان عددهم أقل بعض الشئ، لأنهم احتجزوا في موانى روسيا، وحتى في القسطنطينية بسبب الكوليرا في الحجاز.

في الوقت الحاضر يوجد في مصر الوكلاء الروس التاليون: "قنصل واحد، نواب قنصل، و5

وكلاء قنصليين".

وفي العام الماضي استحداث منصب نائب قنصلية جديد في "الإسماعيلية ووكالة واحدة في الزقازيق".

نشعر أيضاً بضرورة استحداث وكالة في كل من : 1 - "جرجا" لأجل السياح، 2 - "سواكن" لأجل التجارة في البحر الأحمر، ومع السودان، 3 - مساوة لأجل الحصول على معلومات من أثيوبيا.

البند (11) - الأحداث :

إن أكثر ما تميز به عام 1881م هو الحركة العسكرية في البلاد : ففي "فبراير، ويوليو، وأغسطس، وأخيراً سبتمبر"، قامت القوات بما يشبه الانقلابات الحكومية، التي أسفرت عن استبدال وزراء الحربية في فبراير وأغسطس، وأخيراً تغيير كل الوزارة في سبتمبر، في مطلع العام الجاري، استبدلت حكومة "شريف باشا"، بمساعدة القوات، بحكومة عسكرية بحته، والآن ينبغي الأمل بأن الهدوء، سيستقر لمدة طويلة، إذا بقيت "إنجلترا وفرنسا"، بطبيعة الحال هادئتين ولم تشأ غرس الأوضاع الأوروبية، في مصر بالقوة، وإرسال إدارييها، الفاشلين.

في شهر ديسمبر (كانون الأول)، الماضي اجتمع مجلس النواب، الذي بدأ يظهر بعض الاستقلالية، بل وحتى معارضة سافرة للخديو الموجود، تحت نفوذ "إنجلترا وفرنسا"، ولكل تدخل أجنبي في الإدارة الداخلية للبلاد.

وبالإجمال فإن عقول العرب مهتاجة جداً، وهم يعملون على الالتفاف حول "عرابي بك"، الذي يعتبرونه قائداً، لهم، رغبة منهم في الحصول على دستور، وحريات ممكنة، ويعقدون عليه كل الآمال في تحقيق أمنيتهم، بالتخلص من الوصايا الأجنبية إضافة إلى "عرابي بك" يحظى "محمود سامي باشا"، العقيد "طلبة"، وبعض النواب، أيضاً بثقة الأمة، والفلاحون، أي المزارعون، مهتاجون أيضاً ولا يذعنون حتى لأوامر الرئاسة المحلية.

الخديو "محمد توفيق الأول"، شخص لين القناة، يتحاشى شتى ضروب الانزعاج، وهو، بطبيعته، متعصب دينياً، ولكنه، إذ يتخوف من إنجلترا وفرنسا اللتين أجلستاه على العرش، باجبارهما السلطان على تنحيته "إسماعيل باشا"، يوجد تحت نفوذها كلياً، ولا يتصرف بطريقة معادية بعض الشئ للأوروبيين، إلا عندما يرغمه على ذلك بالقوة، وما يسمى بالحزب القومي. وهو، في قرارة نفسه، إلى جانب هذين الأخيرتين، وحتى إذا تشكى أحياناً للممثلين الأجانب من اضطهاد القوميين، فإنما يفعل ذلك فقط، بهدف عدم حرمان نفسه من التأييد الأجنبي.

بالنسبة للباب العالي يحاول الخديو الحفاظ على أفضل العلاقات معه، وهو يبلغه بكل ما يحدث، في البلاد ويطلب منه النصائح دائماً. أما إذا كان الصدر الأعظم، لا يلبي طلبات الخديو في كل مرة فإن هذا، إدراكا منه لضعفه يتهم في ذلك، إما "إنجلترا وفرنسا"، وإما "الحزب القومي"، والقوات التي ليس له نفوذ كاف عليها.

لا يتدخل "توفيق باشا" إطلاقاً، في الإدارة الداخلية، فهو يوقع دون ما اعتراض على المراسيم، التي تضعها الحكومة. الحكومة الحالية هي الرابعة منذ مغادرة "إسماعيل باشا" البلاد، وهي أكثر شعبية من الثلاث السابقة وإذا بقيت انجلترا وفرنسا هادئتين، فهي ستبقى قائمة وتجلب

فائدة للبلاد كما تدل كافة القرائن.

لم يعد للسلطان نفوذ كبير فى مصر، وإذا كانت ثمة علاقات للحزب القومى فإنما هى بالأحرى مع الحكومات التركية العاملة فى كل شمال أفريقيا، بهدف إثارة التعصب الدينى الإسلامى ضد الأوروبيين.

البند (12) - الوكلاء الأجانب :

من بين الوكلاء الأجانب، يضطلع بالدور الأول فى مصر، ابتداء من عام 1877م ممثلو "انجلترا وفرنسا"، فالوزير البريطانى المطلق الصلاحية، السيد "ماليت" موجود هنا، منذ بضعة أعوام، وهو حسن الاطلاع على الشرق، ونفوذه قوى للغاية بسبب العدد الهائل من الموظفين الانجليز الموجودين على رأس جميع المصالح الهامة، والذين ليسوا، فى واقع الأمر، سوى عملاء انجليز، فضلاً عن ذلك، فإن المراقب العام الفرنسى، إذ يرى أنه لا يستطيع الاتكال، على أحد فى بلاده، بسبب التغيرات الدائمة للحكومة فى فرنسا، يقف على المكشوف، إلى جانب، إنجلترا، ويقوم بدور أداة فى يد السيد ماليت.

يتمتع المندوب البريطانى بنفوذ كبير، على الخديو، لأن إنجلترا أجلسته على العرش، ولكن "الصدر الأعظم" ذاته قلما يؤبه به فى البلاد، وليس للسيد "ماليت" نفوذ على الوزراء الحاليين، لأنهم جميعاً من الحزب القومى ومعادون للتدخل "الانجلو فرنسى" فى شئون مصر الداخلية، ولكن يوجد بين الموظفين كثيراً من الأشخاص المخلصين للسيد "ماليت"، لأنه وظفهم فى مختلف الوزارات، فى عهد "رياض باشا"، ليس للمندوب البريطانى، أى وزن فى مجلس النواب أو وسط القوات الموجودة، على رأس الحركة بالمناسبة، منذ زمن غير بعيد غيرت إنجلترا نمط تصرفاتها فى مصر، وبدأ السيد ماليت يغازل "الحزب القومى وعرابى بك" والقوات بوجه عام. ومنذ زمن بعيد يغازل "ماليت" الأقباط ولكن هؤلاء لا يثقون بالإنجليز. وتمارس إنجلترا تأثير عليهم، وعلى العرب المسلمين بواسطة المحافل "الماسونية" التى يعمل عملاؤها على تجنيد أنصار عملاء لهم، فى البلاد واعدين إياهم بحماية بريطانيا العظمى، ولكن بشرط أن يتعهدوا أثناء أداء اليمين بالعمل إلى جانبها دائماً.

زميلى الفرنسى، السيد "سينكيفيتش"، رجل ذكى، وسبق، له أن خدم فى الشرق، ولكن وضعه عسير جداً، لأسباب عديدة.

1- إنه فى مصر منذ وقت غير بعيد.

وليست له هنا أية صلات.

2- سبق للسيد "بلينيير" بدسائسه، إن غير أربعة قناصل فرنسيين فى مصر، ولذا فمن الصعب على السيد "سينكيفيتش" الوثوق به، ولكن ليس فى إمكانه فى الوقت نفسه ألا يكون على علاقات جديدة معه.

3- الموظفون الفرنسيون العاملون فى مصر وكل الجالية الفرنسية هنا (باستثناء زمرة السيد بلينيير القليلة العدد، بالطبع)، يتأسفون كثيراً على سلفه، البارون رينغ، الذى "أى بلينيير" أستغل اشتراك البارون "رينغ" فى القوات المصرية التى كانت توجد فى وضع، لا مخرج منه، وسرحها المراقبون لا بقصد التوفير الضرورى، بقدر ما بهدف رفع سعر الأرصدة المصرية،

وتضرر بشكل الضباط، الذين سدت في وجوههم سائر المناصب، بسبب تدفق الأجانب، إلى جميع مجالات الإدارة.

4 ـ السيد "سينكيفيتش" من أصل بولندي ولذا فإن الفرنسيين هنا لا يثقون به كلياً. وأخيراً:

5 ـ الفرنسيون الموجودون في الشرق، ينتمون لأحزاب سياسية مختلفة وأكثرهم هنا "بونابريتون وشرعيون" معادون، بدرجة ما، للمندوبين الجمهوريين في الخارج الوكيل الدبلوماسي الفرنسي يعمل سوية مع زميله الانجليزي طبقاً لتعليماته، ولكنه لا يتمتع على الإطلاق بأهمية معادلة لأهمية زميله، وأظن أنه يعترف، في قرارة نفسه كما اعترف سالفوه، بأن نمط تصرفات الحكومة الفرنسية الحالية يقود مباشرة إلى تحطيم السمعة الفرنسية في الشرق قاطبة.

الوكيل الدبلوماسي الإيطالي السيد: "مارتينو" وصل إلى مصر في نفس السنة معي (عام 1866م)، وإذ ولأنه عاش هذه المدة الطويلة في البلاد، اكتسب علاقات كثيرة للغاية، وهو يشاطرني رأيي تماماً، بصدد الشئون المصرية وبوصفه عميداً للسلك الدبلوماسي، فهو يتمتع ببعض النفوذ، على الخديو، وعلى الحكومة الحالية، التي يتعاطف هو معها. القنصل العام الألماني البارون "رأورما"، مرتبك تماما، بينما شرع الوكيل الدبلوماسي النمساوي الجديد البارون "كوسبيك" يلعب دوراً ما، لأنه، باعتباره قد عمل حوالي 20 عاما في القسطنطينية، مطلع جيد على الشئون الشرقية وأوصى به السلطان والوزير الأعظم إلى الخديو بعبارات حارة، وهو غالباً ما يجتمع بي وينشد، على العموم، تأييدنا.

البند (13) ـ نشاط القنصل:

طبقاً للتعليمات التي تلقيتها، أتتبع كل ما يجري في البلاد، ولكنني لا أتدخل في إدارتها الداخلية، في الشئون العامة، أتضافر مع أندادي من "ألمانيا والنمسا وإيطاليا". ليس في وسعي أن أبقى على الحياد تماماً، باعتباري ممثلاً لإحدى الدول الكبرى، بل وفي رأي العرب، الدولة الأولى بين الدول المسيحية، التي تحارب وحدها، من حين لآخر، ضد تركيا وتبقى منتصرة "الشراكسة والأتراك والأقباط واليونانيون" (باستثناء الذين يفتشون هنا عن منافع مادية وليست شريفة دائماً، يتملقون لي وأخيراً، الحزب القومي نفسه يكن له ثقة كبيرة، لأنه يرى أننا لا نتدخل في شئونهم الداخلية، وإننا نرغب فقط في الحفاظ، على علاقات صحيحة للحكومة المصرية مع الباب العالي دون أن نؤيد إطلاقاً دسائس الأجانب.

البند (14) ـ الخاتمة:

إن كل ما لم يتسع المجال لذكره في هذا التقرير، سوف أرسله في تقريري عن عام 1882م الجاري.

التوقيع: "إيفان ليكس"



تقييم العلاقات التجارية بين روسيا ومصر في أواخر القرن التاسع عشر*

الإسكندرية ـ (مصر) :

الإسكندرية هي ميناء مصر الرئيسي للتصدير والإستيراد ، على السواء، الذي تجري من خلاله كل تجارة مصر الخارجية تقريباً ، ولايبقى سوى 10 % من الدورات التجارية من نصيب جميع سائر المرافئ الصغيرة الواقعة في "بورسعيد ، والسويس ، ودمياط ، ورشيد" ، وغيرها . ولاغرابة في أن مدينة الإسكندرية اتسعت وهي تعتبر الآن مركزاً تجارياً هاما ، وسكنها حتى 100 ألف من الأوروبيين ...

إن الدقيق والحبوب تصل إليها من روسيا بصورة دائمة تقريباً ، بكمية غير كبيرة ، وهذه المنتجات ضرورية للأوروبيين ، اللذين لا يأكلون خبزاً مصنوعاً من الدقيق المحلي .

في الأعوام الماضية كان يجري استيراد كمية كبيرة جداً من المواشي إلى مصر ، ولاسيما من روسيا ، ولكن إستيرادها يقل عاماً بعد عام ، ومرد ذلك إلى تطوير تربية الماشية في مصر نفسها .

كان يدفع لقاء إيجار المبنى الجديد (لأجل وكالة الشركة الروسية في الإسكندرية) المريح جداً 80 جنيهاً مصرياً فقط ، وهو إيجار رخيص جداً .

من المفروض حسب الميزانية دفع 5032 روبلا على معاشات سائر المستخدمين (باستثناء الوكيل العام للشركة الروسية السيد براسينو) ، وهذا المبلغ لم يزد مع ازدياد العمال ، ولكن السيد "براسينو" وجد من الممكن توظيف مستخدم آخر براتب 420 روبلا ، خصيصاً للإشراف على مخزن البضائع الجمركي لتسليم المشحونات .

الأعمال موزعة في الوقت الحاضر على النحو التالي : السيد "بتروبولو" يشرف على المشحونات الواصلة إلى هنا ويتقاضى 1200 روبل ؛ السيد "أفبرينو" يشرف على المشحونات الصادرة إلى الخارج ويتقاضى 1228 روبلاً ؛ السيد "روزنبرغ" يتقاضى 900 روبل ، ويتعاطى جميع أعمال المحاسبة والمراسلات الفرنسية؛ السيد "سبيسي" يتقاضى 600 روبل ويشرف على بطاقات الركاب، وهو مسئول المراسلات الإنجليزية ؛ السيد ميكاليوف أمين المخزن يتقاضى 420 روبلاً ويشرف على مستودع الفحم ، ويراقب الأعمال في الجمرك ، في الوقت نفسه ، تسليم المشحونات . وهاتان الوظيفتان يستحيل التوفيق بينهما في الوقت الحاضر ، ومن الضروري وجود شخصين لأجل ذلك، واحد في مستودع الفحم ، والاخر لدى مخزن البضائع الجمركي .

جميع المستخدمين جدد ـ باستثناء السيد "أفبرينو" الذي يعمل في الوكالة منذ 27 عاماً ،

* من تقرير إلى مدير الشركة الروسية للملاحة والتجارة من "ميللر" بعد إيفاده إلى وكالات خط الإسكندرية في إبريل ـ مايو 1893 م .

وهم يفلحون فى كل شئ، السيد "بتروبولو" يجيد اللغة الروسية.

ثم "القواص المسن" الذى يتقاضى 414 روبلاً، أما المستخدم لدى الوكالة فيتقاضى 210 روبلات.

و 60 روبلا الباقية فى الميزانية يتلقاها المتقاعد الشيخ سيد أحمد.

أعمال الشحن والتفريغ:

منذ سنتين وبواخر الشركة الروسية تلقى المرساة عند الكورنيش الجميل، عند المرطم الذى خصص فيه للشركة 95 متراً لقاء 6.5 جنيهات للمتر الواحد، أى ما يعادل فى السنة حوالى 4000 روبل ذهباً. هذا المبلغ كبير، ولكنه يعوض بأسباب الراحة والسرعة، التى تجرى فيها حالياً عمليات الشحن والتفريغ، مكان الرسو مريح تماماً، والسيئة الوحيدة هى انه قصير بعض الشئ لباخرة طويلة مثل "تشيخاتشوف". عملية التفريغ تجرى بوسائل الشركة أو المتسلمين، ولكن على حساب المتسلمين، على كل حالٍ، أما عملية الشحن فتجرى بوسائل المتسلمين فقط.

ينحصر المصروف فى استئجار عمال العنابر والمواعين إذا احتيج لهم لأجل الإسراع فى أعمال الشحن، يتعاطى المقاول محمود تقديم المواعين و عمال اليومية.

خصص الجمرك لمشحونات الشركة الواصلة إلى هنا مخزن بضائع منفرداً بالمجان تماماً، وهو افضل مخزن جمركى.

الضرائب:

تصاحب دخول البواخر إلى الإسكندرية مصاريف كبيرة جداً، وإليكم مم تتألف فى كل مرة هذه المصاريف بالنسبة للباخرة من قياس:

	"تشيخاتشوف"	و"روسيا"
للميناء	466.68 روبلاً	223.86 روبلاً
للمنارة	78.16 روبلاً	52.99 روبلاً
للمرشدين	17.24 روبلاً	17.24 روبلاً
للقنصلية	165.72 روبلاً	81.90 روبلاً
المجموع	727.80 روبلاً	391.99 روبلاً

مستودع الفحم :

فى الإسكندرية تتزود البواخر بالفحم المجلوب خصيصاً من "كرديف".

خلال عام 1892م سلم منه لبواخر الشركة من المستودع 7320 طناً فقط ، أو 446520 بوداً .

شحن الفحم من المستودع إلى الباخرة يكلف قليلاً جداً : أقل من - كوبيك للبود الواحد - ، بالإضافة إلى المستودع فى الإسكندرية يوجد مستودع مواد غير كبير حيث يجرى حفظ دهان " باتنت" لأجل البواخر .

بورسعيد :

يبلغ عدد سكان مدينة بورسعيد حالياً ، التى بنيت فى أواخر الستينات عند مدخل قناة السويس حوالى 30 ألف نسمة ، وهى مبنية على قطعة من اليابسة، أنشئت بصورة اصطناعية وتحيط بها ، من جهة بحيرة كبيرة ، ومن جهة أخرى البحر والصحراء ، وهى على هذا النحو ، منفصلة تماماً عن القسم الخصيب من أراضى مصر ، وتبعد 80 كيلومتر عن الإسماعيلية ، التى هى أقرب نقطة إليها تتصل بورسعيد من خلالها بمصر الداخلية ؛ إن هذا الموقع خلق حياة مميزة تماماً لبورسعيد .

هذه المدينة لا تنتج شيئاً على الإطلاق ، وهى لم تستخدم حتى الوقت الحاضر كميناء تصدير من مصر ، وجميع مواد استهلاك المدينة تجلب إلى هنا من جميع بلدان العالم ، إن لبورسعيد بحد ذاتها غرضين رئيسيين :

اولاً :محطة فحم ترسو عندها جميع بواخر المحيطات ، التى تعبر قناة السويس ، وهنا بالذات تتزود هذه البواخر بكل ما هو ضرورى لمواصلة الملاحة .

ثانياً : هنا تجرى عمليات إعادة نقل و إعادة شحن المشحونات من بواخر إلى أخرى .

وفى الوقت الحاضر ، ونظراً لتشغيل الحركة ليلاً عبر القناة ، أصبحت بواخر المحيطات تتوقف لمدة قصيرة جداً فى بورسعيد ، حوالى ثلاث ساعات فقط ، إلا أن ذلك ينعش التجارة كثيرا فى بورسعيد ، بحيث إن المدينة تستمر فى النمو شيئاً فشيئاً . ظلت الحكومة المصرية مدة طويلة ترفض جميع مقترحات مد خط سكة حديد إلى بورسعيد خوفاً من جعل هذه النقطة منافساً خطيرا للإسكندرية ، التى تتركز فيها كل تجارة مصر التصديرية .

ومع ذلك ، وبعد جهود حثيثة تسنى لشركة قناة السويس فى العام الماضى الحصول على إذن بمد خط سكة حديدى من الإسماعيلية على إمتداد قناة السويس حتى بورسعيد على أرض كانت تعود سابقاً لهذه الشركة .

وهذا الخط يعتبر جاهزاً فى الوقت الراهن ، وينتظر افتتاحه فى الخريف ، ولكن هذا الخط ضيق السكة ، وسمحت الحكومة المصرية بأن ينقل عليه ركاب وبريد وطرود بريدية فقط، أما المشحونات فلا يحق للشركة نقلها على هذا الخط .

إذن ، لقد ربطت ببورسعيد الآن بواسطة سكة حديد ، بمصر الداخلية، ومن المحتمل أن تنعش حركة نقل الركاب نشاطها ، غير ان ذلك لن يجعل منها بعد ميناء تصدير لمصر .

نشاط الشركة الروسية :

كانت دورات وكالة الشركة الروسية فى بورسعيد خلال الأعوام الخمسة الماضية على النحو التالى :

في التصدير

العام	عدد الركاب	التفريغ لأجلهم	كمية المشحونات بالبودات	النولون المستحصل	مجموع المستحصل
1888	801	4 234.58	361 795	31 248.22	35 482.80
1889	952	7 601.70	208 035	26 872.14	34 473.84
1890	1 215	7 682.10	109 454	12 645.77	20 273.87
1892	634	4 014.76	280 199	22 208.85	27 223.61

في الإستيراد

العام	عدد الركاب	التفريغ لأجلهم	كمية المشحونات بالبودات	النولون المستحصل	مجموع المستحصل
1888	1 250	5 681.43	215 100	28 018.96	33 700.39
1889	990	5 144.56	246 116	279 965.16	33 109.72
1890	744	5 732.86	291 887	29 681.68	35 414.54
1891	746	5 647.75	256 000	21 795.84	27 443.41
1892	939	4 817.26	169 085	16 540.61	21 357.87

علاوة على ذلك نُقل إلى بورسعيد من المواشى :

عام 1887	4635 رأساً
عام 1888	3949 رأساً
عام 1890	35 رأساً
عام 1891	346 رأساً
عام 1892	1757 رأساً

إن التدنى الكبير فى عام 1892م لعدد الركاب المنقولين من بورسعيد ، مرده إلى التغيير غير الموفق للأسبوع فى رحلة رجوع البواخر الدورية ، الأمر الذى سنشرحه بالتفصيل فيما بعد .

إن مد خط سكة حديد سيمارس- على الأرجح- تأثيراً على زيادة حركة الركاب عبر بورسعيد .

مشحونات التصدير : تتألف فقط من مشحونات إعادة النقل المرسلة من "الصين واليابان واستراليا والهند والخليج العربى" حسب الطلب إلى الموانئ التى تعرج عليها بواخر "الشركة الروسية" ، أما مشحونات الاستيراد فتتالف جزئياً من مشحونات إعادة النقل ، و جزئياً من المشحونات المخصصة لتجهيز بورسعيد وجميع محطات قناة السويس ، حتى مدينة السويس حصرياً ، يندرج فى عداد الفئة الأخيرة من المشحونات الدقيق والأخشاب والماشية .

يتبين من فحص أرقام دورات الوكالة أن التصدير من بورسعيد ، الذى وصل عام 1888م إلى 361 ألف بود ، هبط عام 1890م إلى 109 آلاف بود ، وعاد فارتفع عام 1892م إلى 280 ألف بود .

إن المستوى المرتفع لهذا النقل عام 1888م يفسر بالكمية الكبيرة لمشحونات إعادة نقل "الشاى" المنقولة عبر بورسعيد إلى روسيا ، التى تقلصت كثيراً عام 1890م بسبب ازدياد رحلات الأسطول الطوعى الروسى ، وكانت فيما بعد ، فى عامى 1890 م و1891 م ، غير ملائمة بالنسبة لبورسعيد ؛ لأنه كان يوجد خط الإسكندرية وحده فقط ، الذى كانت بواخره محملة بالمشحونات أكثر من طاقتها بحيث لم يكن فى إمكانها أخذ مشحونات إلى بورسعيد ، وفيما بعد ، عام 1892م ، أصبح الوضع طبيعياً لحدٍ ما ، بصدد تصدير المشحونات ، رغم أن السيد "برون" يؤكد أنه لو كان جدول مواعيد السفريات أكثر ملاءمة لكانت كمية المشحونات المصدرة أكبر ، أما استيراد المشحونات إلى بورسعيد عام 1892م ، فلم يكن موفقاً جداً ، لأن استيراد الدقيق من روسيا تقلص كثيراً ، بسبب الحظر السابق ، علماً بان قناة السويس كلها كانت فى الماضى تتزود بالدقيق الروسى فقط تقريباً .

أما انخفاض عدد رؤوس المواشى ، إبتداءً من عام 1889 م ، المستوردة إلى ببورسعيد فمرده إلى عدم التعريج على ميناء الإسكندرية ، الذى كانت تذهب إليه كمية كبيرة جداً من المواشى إلى بورسعيد .

من بين المشحونات المصدرة من بورسعيد ، يذهب الشاى وحده إلى روسيا ، أما القسم الأكبر من بقية المشحونات فيذهب إلى "بيروت ، وأزمير ، والقسطنطينية" .

توجد لدى السيد "برون" اتفاقية خاصة مع وكلاء شركات أجنبية ، حول إعادة النقل المتبادلة للمشحونات ، وهو يتفق معهم أيضاً بشأن أجور النقل ، وأقدم إتفاقية للسيد "برون" معقودة مع المدعو "ستيبليدون" ممثل ثلاث شركات إنجليزية كبيرة ، وهى : شركة "هال لاين" ، التى تقوم برحلات إلى الهند ، وشركة "هولت لاين" ، التى تقوم برحلات إلى "الصين واليابان وجزيرة جاوا" ، وشركة "برسيان غالف لاين" ،التى تقوم برحلات إلى الخليج العربى؛ ومن ثم تجرى مبادلة الشحونات الأسترالية ، مع شركة "لويد الألمانية" ، والسيد "برون" نفسه وكيل لها ، وكذلك مع شركة "اوريانت لاين" ، جميع هذه الشركات تتعامل بأجور النقل ، التى نعمل بها وهى تستطيع أخذ المشحونات إلى جميع الموانئ . التى تزورها بواخر الشركة الروسية .

نظراً للتقلبات المتكررة فى أجور النقل وبغية المنافسة ، وتوفير صورة أكثر نجاحاً تقدم هذه الشركات الأجنبية لوكلائنا الحق فى إستلام مشحونات بأجور نقل اختيارية إلى المكان المقرر ، بشرط أن يصار إلى إقتسام أجرة النقل المتحصلة ، مع الشركة الروسية بنسبة معينة. مثلاً : بالنسبة للمشحونات الذاهبة إلى "بومباى" تبلغ حصة شركة هال لاين 60 % من مجمل أجرة النقل المحصلة ، وحصة الشركة الروسية الـ 40 % الباقية بغض النظر عن الميناء الذى اخذ منه الشحن.

وبالنسبة للمشحونات الذاهبة إلى "شانغهاى" تحصل الشركات الأجنبية على 70 % والـ 30 % الباقية من كل أجرة النقل ، تتلقاها الشركة الروسية. وبالنسبة للشحونات الذاهبة إلى البصرة (فى الخليج العربى) تحصل هذه الشركات على 75 % لأن أجرة النقل إلى هناك أعلى بكثير دائماً ، وإلى بغداد 80 % ، وهلم جرا .

هذا النظام لا يصادف أية خلافات ، وبفضل علاقات السيد "برون" الممتازة مع ممثلى الشركات الأجنبية تسير الأمور بنجاح تام ، وبفضل هذه العلاقات أيضاً ، يتسنى الإبقاء فى بورسعيد على اجور نقل مرتفعة جداً . وعلاوة على ذلك وجد السيد "برون" بطريق الصدفة كميات إضافية من المشحونات، التى تصل على بواخر أخرى بالمناسبة نقول انه يصعب جداً بالحصول على مشحونات كهذه ؛ لأنه يتسنى دائماً للسيد "برون" ، الذى لا تتوفر البواخر لديه إلا مرة كل أسبوعين ، إقناع الحمالين بإنتظار وصول بواخرنا ، سيما وانه يعرج على بورسعيد عدد كبير من البواخر المستعدة دائماً لأخذ المشحونات بأجور نقل متدنية جداً .

وعلى العموم فإن مسألة اجتذاب المشحونات فى بورسعيد صعبة جداً ، ويبدو لى اننا مدينون كثيراً بنجاح قضيتنا إلى المكانة الفريدة للسيد "برون"، الذى يتمتع بنفوذ شديد فى بورسعيد لا بالنسبة لشئون شركتنا فقط .

مبنى الوكالة :

يقع مكتب الوكالة فى المبنى الخاص للشركة الروسية ، الذى شيد عام 1872 م على قطعة أرض اشترتها من شركة قناة السويس . و عن هذا العقار، الذى يبلغ ثمنه حسب الميزان التجارى 5029.17 روبلاً ، يساوى الآن ضعف هذا المبلغ على اقل تقدير إذا قارناه مع الأسعار الحالية للمبانى المجاورة . إن هذا المبنى يوجد بحالة جيدة تماماً ، ولاينفق على تصليحه سوى نقود زهيدة : ففى عام 1890 م انفق 24.20 من الروبل ، وفى عام 1891م – 49.14 من الروبل ، وفى عام 1892م ـ 47.20 روبل .

تدفع الشركة رسوماً بلدية على هذا المبنى قدرها 112.50 روبلاً سنوياً . ويوجد فى هذا المبنى مكتب الوكالة فى ثلاث غرف كبيرة ، وغرفة إنتظار كبيرة للمسافرين ، وفى الطابق العلوى شقة السيد الوكيل .

يوجد لدى هذا المبنى مخزن ينفع جداً الشركة ، لأجل حفظ مشحونات "الشاى" المخصصة لإعادة نقلها ، والتى من غير الملائم إبقاؤها على متن المواعين. وبين هاتين البنايتين تقع حديقة صغيرة ، وجميعها توجد فى حالة ممتازة ونظافة رائعة.

قوام الوكالة :

يعمل السيد "برون" وكيلاً منذ تاريخ افتتاح الوكالة تقريباً في بورسعيد ، وهو يتقاضى 2500 روبل و 1500 روبل من النسبة المئوية المضمونة للمكافأة ، التي لم يتسن له في يوم من الأيام الحصول على أعلى من هذه الضمانة . وهو يعمل أيضاً قنصلاً روسياً وألمانياً ووكيلا لشركة لويد الألمانية والأسطول الطوعي الروسي . وبالنسبة للشركتين الأخيرتين ينحصر نشاط السيد "برون" ، بالدرجة الرئيسية ، فقط في تزويد البواخر بالفحم وإجراء جميع الشكليات للبواخر في بورسعيد ، وعليه ، فإن هذه الأشغال لا تلحق الضرر أبداً بمصالح الشركة الروسية ، بل على العكس تزيد نفوذ السيد "برون" في عالم التجارة ، الأمر الذي يمكن لقضيتنا أن تربح منه .

يعمل "غافوتي" كاتب حسابات منذ أكثر من 20 سنة ، وهو يمسك جميع الدفاتر ويتعاطى المراسلات ، ويتقاضى راتباً قدره 750 روبلاً في السنة. كاتب الحسابات السيد "كيت" يبيع التذاكر ، ويحرر الكوبونات (الرخص) وبوليصات الشحن ، وجميع التقارير المتعلقة بالمشحونات، ويتقاضى 660 روبلاً في السنة .

يعمل السيد "زاندوناتي" مستلماً للمشحونات ، وهو يتقاضى 600 روبل في السنة ، والمنصب الثاني لمستلم المشحونات ، الذي يبلغ راتبه حسب الميزانية 600 روبل أيضا ، لايزال شاغرا ، ويبحث السيد "برون" لهذا المنصب عن شاب يتكلم الروسية . فضلاً عن هؤلاء المستخدمين يوجد لدى الوكالة مستخدمان براتب 270 روبلاً لكل منهما ، و "قواص" يتقاضى 180 روبلاً ، وحارس يتقاضى 150 روبلاً .

بما أن السيد "برون" يستفيد من مساعدة هؤلاء الأشخاص للقيام بأعمال جانبية لا تخص شئون سفارتنا ،فهو يدفع لهم من جيبه الخاص رواتب إضافية تصل إلى 2055 روبلا في السنة للجميع . الحصة الرئيسية من هذه الجور الإضافية يحصل عليها السيد غافونتي ، معاون السيد برون ، الذي يترك إنطباعا في النفس بأنه مستخدم مرموق جداً .

أعمال الشحن والتفريغ :

تجرى أعمال التفريغ والشحن في بورسعيد بوسائل شركة "دوك وانتريبو"، التي تملك أرصفة حديدية ممتازة في عددٍ من المواعين الكبيرة ، علماً بأن الشركة الروسية تدفع لقاء تفريغ المشحونات في الجمرك المرسلة إلى بورسعيد 3 فرنكات للطن الواحد . هذا في حين أننا نأخذ من المستلمين 3 فرنكات و50 سنتيما ، ومن هذه العملية تبقى للشركة الروسية سنوياً حتى 300 روبل هذا كربح صافٍ . ولقاء إعادة شحن المشحونات من باخرة إلى أخرى تأخذ شركة "دوك وانتريبو" 3 فرنكات للطن الواحد ، إذا جرت إعادة الشحن مباشرة من باخرة إلى باخرة ، أما إذا جرت إعادة الشحن من الباخرة إلى المخزن؛ ومن ثم من المخزن إلى الباخرة فانها تاخذ 5 فرنكات للطن الواحد ، وإذا رغبت فيما بعد الشركة الروسية في إبقاء المشحونات على متن المواعين أكثر من 48 ساعة ، فإنها تدفع على الطن محسوباً لليوم الواحد :

لدى إعادة الشحن من طن إلى 100 طن 3 فرنكات .

لدى إعادة الشحن من 101 طن إلى 250 طناً 2.25 فرنك .

لدى إعادة الشحن من 250 طناً إومن فوق 1.75 فرنك .

العادة المتبعة في بورسعيد هي أن تدفع لقاء إعادة شحن المشحونات تلك الشركة الملاحية التي تسلم الشحن لباخرة شركة أخرى ، وبما أن شركتنا تستلم من المشحونات المعاد نقلها كميات أكبر بكثير مما تسلم هي ، فإن عملية إعادة الشحن تجري في معظم الأحيان على حساب شركات أخرى . علماً بأنه يحدث أحياناً انحراف عن هذه القواعد العامة ، عندما تتفق الشركات مسبقاً على نظام إعادة نقل المشحونات . فبموجب اتفاق الشركة الروسية مع شركة "لويد الألمانية" تجري عملية إعادة الشحن على حساب الشركتين بنسبة تعادل حصة أجرة النقل ، التي تتلقاها كل شركة .

وعلى العموم يجري السيد "برون" الحسابات مع الشركات الأجنبية بوضوح ودقة تامتين ؛ وفور إعادة نقل دفعات المشحونات تضع الوكالة حساباً مفصلاً عن الدفعة المعنية ، وفي الحال يدفع الوكيل ، مستلم المشحونات ، للشركة الأخرى جميع المدفوعات المستحقة لها .

المدفوعات الإضافية تمارس في حالاتٍ نادرةٍ للغاية .

الشركات الأجنبية :

تؤم بواخر الشركة الروسية بورسعيد 52 مرة في السنة ، وسفن شركة «ميسا جيري ماريتيم» العاملة على الخط السوري ،تؤم بورسعيد 52 مرة أيضاً في السنة ،وبواخر شركة "لويد" تؤمها 104 مرات في السنة ؛ لأنها تقوم برحلات أسبوعية ذهاباً وإياباً . وبواخر الشركة الخديوية ، تؤم بورسعيد أسبوعياً في طريق العودة فقط من (مرسين إلى الأسكندرية) ،وبواخر شركة « بل ازيا مينور » تعرج عليها بصورة منتظمة. ووكالتا شركتي « ميسا جيري ماريتيم» ولويد المحيطات ، التي تصل عليها مشحونات إلى بواخرهما عابرة المحيطات، التي تصل عليها مشحونات كثيرة لأجل الموانئ السورية ولأجل ازمير والقسطنطينية ، ولذا فإن المنافسة من جانب هاتين الشركتين ليست محسوسة كثيراً . ولكن البواخر الإنجليزية الكثيرة العدد، التي تجلب الفحم إلى بورسعيد وتضطر لمغادرتها خالية الوفاض ، مستعدة دائماً لقاء "نولون زهيد" أن تحمل إلى اى مرفأ كان جميع المشحونات الموجودة هنا في هذا الوقت . ففي عام 1892م قدمت لبورسعيد 390 باخرة فحم من هذا النوع، وتتسم بأهمية خاصة لأجل مكافحتها الاتفاقات الموجودة المتعلقة بإعادة نقل المشحونات .

السيد "برون" بالمناسبة ، يعمل بصورة رائعة في هذا الميدان لأن أجور النقل التي يضعها أعلى بكثير نسبياً من أجور نقل الآخرين .

قناة السويس :

ختاماً لوصف دورات نشاط بورسعيد لا يجوز الصمتُ بصدد نشاط قناة السويس .

في الجدول المرفق طيهِ يمكن للمرء أن يرى بالتفصيل حركة البواخر عبر القناة في عامي 1891م و 1892م مع الإشارة إلى أسماء البلدان ، التي تنتمي إليها هذه البواخر ، وحمولتها ، وعدد الركاب المنقولين .

وقد أشير هنا فقط إلى أن اكبر حركة عبر القناة كانت فى عام 1891م عندما عبرتها 4207 باخرة ، تحمل 8698777 طناً صافياً أو 12217986 طناً قائماً . ومقابل عبور هذه البواخر قبضت شركة قناة السويس 83477778 فرنكاً . وتنتمى هذه البواخر إلى بلدان مختلفة تشغل روسيا بينها المرتبة الـ 11 . وفى عام 1891 م عبرت القناة 21 باخرة روسية تحمل 39022 طناً صافياً أو 64544 طناً قائماً .

كان عام 1891 م ، بالمناسبة عاماً مؤاتياً جداً ؛ لأن عدداً قليلاً من البواخر الإنجليزية ، بسبب القحط فى روسيا ، عبرت القناة إلى الشرق الأقصى بحثاً عن العمل . وكان عام 1892 م أقل توفيقاً؛ ففى هذا العام عبرت القناة 3559 باخرة تحمل 7712028 طناً صافياً او 10866401 طن قائم ودفعت لقاء عبور القناة 74476586 فرنكاً . شغلت روسيا المرتبة العاشرة بين شتى البلدان البالغ عددها 17 بلداً ، وعبرت القناة 22 باخرة روسية تحمل 43750 طناً صافياً او 74533 طناً قائماً .

بعد عام 1891 م وجدت شركة قناة السويس من الممكن تخفيض التعريفة من 10 إلى 9 فرنكات للطن الواحد ، وهى بالإضافة إلى ذلك ، تستوفى 10 فرنكات من كل راكب كما فى السابق ، وأورد هنا على سبيل المثال حساب رسوم السويس على عبور القناة من جانب باخرة «ساراتوف» التابعة للاسطول الطوعى الروسي :

لقاء 2946 طناً بسعر 9 فرنكات للطن	26519.76 فرنكاً
لقاء 1493 راكباً سعر 10 فرنكات للشخص	14930 فرنكاً
لقاء 10 أولاد سعر 5 فرنكات للشخص	50 فرنكاً
مجموع ما ذفع	41499.76 فرنكاً

كان قد تقرر فى عام 1891 توسيع القناة كثيراً وتعميقها بهدف زيادة قدرتها على التمرير . ووزعت هذه الأعمال على بضع سنوات ، وقد وصل العمق فى الوقت الحاضر إلى 25 قدماً وتم توسيع قسم من القناة ، غير ان شركة القناة وجدت من الممكن فيما بعد السماح للبواخر مبحرة فى القناة ، ونظراً لذلك ازدادت كثيراً قدرتها على التمرير ، التى كانت كبيرة أصلاً ، ولذا أرجئ لبعض الوقت استمرار العمل فى توسيع القناة .

إلى عامين مضيا طالب الإنجليز بأن تمنع عبور القناة "بواخر الصهاريج المملوءة بالكيروسين" إذ اعتبروها خطرة على البواخر الأخرى ، ومن جراء ذلك نشات دعوى قضائية ربحتها ـ بالمناسبة ـ شركة القناة فى العام الفائت .

عبرت القناة حتى الوقت الحاضر ثمانية بواخر صهاريج مملوءة بكيروسين روسى ، وقد فرضت على عبورها جملة من القواعد ؛ لا يحق لها ان تبحر ليلاً ، وترافقها باخرة قطر خاصة

مزودة بمضخات قادرة ، فى حال وقوع حادث طارئ، على ضخ الكيروسين إلى باخرة ترسل فيما بعد إلى البحر ، وعلاوة على ذلك خصص فى بورسعيد حوض خاص لوقف بواخرنا .





مدينة بورسعيد عام 1880

156 عام على ميلاد
أخر قناصل الإمبراطورية الروسية فى مصر
(الكسى الكسندروفيتش سميرنوف)

أ. د. جينادي جاريا تشكين*

كانت أول مرة أتعرف فيها على إسم " ألكسى الكسندروفيتش سمير نوف " منذ حوالى ربع قرن عندما كنت أقوم بمراجعة بعض وثائق أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية بموسكو، كان من بين ما وجدته فى هذا الأرشيف أوراقا شخصية لسميرنوف ومن بينها وصيته والتى تشير إلى أنه مدفون فى المقابر اليونانية الأرثوذكسيه للقديس جيورجى فى مصر العتيقة. أخذت فى البحث عن هذه المقبرة فترة طويلة انتهت بتحديد موقعها فى 4 يناير 1999م فى اليوم التالى لإنتهاء أعمال ندوة دولية تحت شعار " روسيا والبلدان العربية ... مساهمه مشتركة فى عالم متعدد الاقطاب ".



ألكسي سميرنوف
قنصل الامبراطورية الروسية
1905 ـ 1924

كانت سعادتى كبيرة بالعثور على المقبرة وكانت تبدو هكذا: يعلوها صليب مكسور ملقى على قطعة من المرمر مسحت الغبار لأجد عام ميلاد سمير نوف محفوراً عليه 1857م. دق قلبى وخفق بشدة، قلبت الصليب على وجهه الأخر لأجد اسم ألكسى الكسندروفيتش وتحت الاسم والتاريخ كانت العبارة التالية ألكسى سمير نوف ولد فى 14سبتمبر 1857م وتوفى فى 5 فبراير 1924.

كان هذا بعض ما تبقى من "سميرنوف"... فمن هو "ألكسى الكسندروفيتش سميرنوف"؟

ولدفى ـ سانت بطرسبورج ـ. وأنهى دراسته فى كلية اللغات الشرقية فى جامعة العاصمة.

وفى أكتوبر 1881م عين "سمير نوف" موظفاً فى القسم الآسيوى بوزارة الخارجية الروسية، وفى فبراير 1885م تسلم مهام العمل كمساعد للسكرتير فى السفارة الإمبراطورية فى القسطنطينية. ومنذ 1891م أصبح السكرتير الثانى للسفارة فى العاصمة التركية، وفى

مارس 1897م نُقل إلى وظيفة سكرتير أول ، وفى ديسمبر 1902م مَنح رسمياً لقب " كمارجير " من القصر القيصرى فى روسيا وفى سنة 1903م أصبح مستشاراً .

فى إبريل 1905م عُين "سميرنوف" قنصلاً عاماً ورئيساً للمفوضية الروسية فى القاهرة وبفضل جدارته فى وسط الدبلوماسيين الأجانب فى مصر أنتخب عميداً للسلك الدبلوماسى فى القاهرة عام 1908م حتى عام 1923م .

وإذا وضعنا فى الإعتبار أن سميرنوف كان قد عُين فى القسم الآسيوى لوزارة الخارجية الروسية عام 1881م يمكننا أن نقول وبثقة كاملة بأنه وبشكل مباشر إنشغل بمشاكل مصر حين إندلعت الثورة العربية والاحتلال لمصر، حيث كان الإهتمام بالغاً فى كل الدوائر الاجتماعية والدبلوماسية على السواء بالأحداث التى تمر بها مصر .

ترأس سميرنوف البعثة الدبلوماسية الروسية فى مصر بعد هزيمة روسيا فى الحرب الروسية اليابانية ، وقد وجهت الحكومة القيصرية ـ وبسرعة ـ البحرية وقوات الجيش إلى الشرق الأقصى عن طريق قناة السويس ، ولكنه وطبقاً لمعاهدة القسطنطينية عام 1888م كانت قناة السويس مغلقة أمام السفن البحرية للبلدان المتحاربة . وأمام بروز هذه المشاكل المعقدة تطلب الوضع ان يبذل القنصل العام أقصى الجهد والطاقة ، كما أن بعض الدوائر الإسلامية ذات التوجه والتعاطف مع تركيا الفتاة عقدت له مهمته ، إذ كانت تشجع بحماس إنتصار اليابان ، والذى يرمز بالنسبة لهم إنتصار الشرق المستعبد على الغرب .

تصادفت بدايات عمل "سميرنوف" فى القاهرة مع نهوض حركة التحرر المصرية التى أشعلتها أحداث دنشواى .

كان أمراً صعباً أن يبدأ ممثل الدوبلوماسية الروسية نشاطه فى ظروف الحملة المعادية لبريطانيا ، والتى كان من جرائها أن تتجه هذه الروح ضد كل أشكال الوجود الأجنبى فى وادى النيل .

بيد أن "سمير نوف الدبلوماسى المجرب" الذى لا يكل خرج من هذا الوضع الصعب بالتدريج، وقد عرف البلاد عن قرب وإكتسب لنفسه شهرة ، وبذلك وضع لنفسه سياسة ثابتة لا تتغير للعلاقات الدبلوماسية الروسية تجاه مصر. لقد ساندت روسيا مصر منذ عصر ـ على بك الكبير ـ ، وكان قرار الإمبراطورية الروسية بإنشاء القنصلية الروسية العامة فى الإسكندرية بمرسوم الإمبراطورة إكاتيرينا الثانية عام 1784م تأكيداً لدعم مساعى مصر فى الحصول على أكبر قدر من الاستقلال .

وبذل " كامر جير " سميرنوف ، بدوره ، قصارى جهوده من أجل دعم وتأييد مصر فى تحقيق أهدافها النبيلة . وقد عبر "سميرنوف" عن موقف روسيا ضد إستبدال نظام الإحتلال الإنجليزى بنظام مستعمر آخر ، إذ اعتبر أن الوقت غير مناسب لذلك ، وأن مثل هذا الاستبدال يساعد خطة الإنجليز لفرض سلطتهم المطلقة على وادى النيل ، وقد أوصى الحكومة أن ترفض الاقتراح البريطانى بالحصول على المضايق مقابل الموافقة على ضم مصر لبريطانيا العظمى ، وبمثل هذه المواقف العديدة والحازمة المتوالية لممثل الدبلوماسية الروسية فى القاهرة، إستطاعت مصر إلى حد كبير أن تحافظ على مكانتها السياسية المستقلة عن الإمبراطورية العثمانية حتى الحرب العالمية الاولى .

مع بدء الحرب العالمية الأولى بدأت تنهال مهام جديدة على السفير "سميرنوف" فى مصر ، حيث وصل مئات من الجرحى والأسرى الروس وقد توفي كثيرٌ منهم فى معسكرات الإسكندرية ، حيث جرى دفن رفاتهم فى المقبرة الإنجليزية الحربية فى الشاطبى .

أصبح السفر إلى روسيا آنذاك مستحيلاً خلال زمن الحرب ، كما أن الأصدقاء لم يستطيعوا الحضور إلى مصر ، وأصبح الأمر بالنسبة "لسميرنوف" أكثر وحشة حيث بات وحيداً ، وعندما وافته المنية كان قد ترك وصيته ، حيث لم يكن له أسرة ولا أطفال ، وقد ترك كل ماله المتواضع لأخوته البنات وأخيه وأولادهم .

تقبل "سميرنوف" نبأ ثورة فبراير البرجوازية فى روسيا ، ولكنه لم يعترف بثورة أكتوبر وروسيا السوفيتية . لقد أدت الحرب العالمية الأولى وثورة اكتوبر إلى تمزيق العلاقات الدبلوماسية وتقليص وتجميد العلاقات والروابط التقليدية بين روسيا ومصر .

واجه "سميرنوف" أصعب فترة فى عمله فى مصر وأصبح بالفعل أباً للجالية الروسية هنا . حدث ذلك مع هزيمة الجيش الأبيض فى شبه جزيرة القرم . وفى الفترة من يناير إلى مارس 1920م ، فاق عدد الذين وصلوا من المهاجرين الروس أكثر من 4 آلاف شخص واستمروا فى الزيادة حتى بلغوا 10 آلاف فرد . وكان هؤلاء المهاجرون يعملون كسائقين للتاكسى ، وعربات النقل وسائقين للقطارات - وميكانيكيين - ومدرسين للغات وللرياضيات والموسيقى . وعملت بعض الروسيات مربيات فى المنازل للمسيحيين الأغنياء ، كما كانوا يعملون كموسيقيين وفنيين وكممثلين وحلاقين وصحفيين وعملوا فى شركات الدخان وغيرها .

ولقد ترك بعض المهاجرين الروس آنذاك آثاراً واضحة فى الثقافة المصرية لا سيما علماء المصريات "جولينيشيف ، فيكنتييف ، لوكيانوف" وغيرهم . إن لوحات الفنانين الروس ما زالت وحتى الآن تزين المعارض والمتاحف فى مصر ، وقد قدم ممثلو الهجرة الروسية البيضاء منفعةً ملموسةً لوطنهم الثانى بمساهمتهم فى البعثات الأثرية والجيولوجية التى كانت تجرى آنذاك .

فى سنة 1920م افتتح الأطباء الروس العيادة الروسية التى كان يديرها المدير السابق للعيادة الروسية التابعة لجامعة موسكو البروفيسور "فاجنز" ، كانت هذه العيادة تقدم الخدمات الطبية لألف مريض فى العام ، ولقد تقدم الأطباء بتقرير حول المسائل العلمية ونظموا المؤتمرات وقدموا العلم للكوادر الطبية المصرية ، كما قدم "سميرنوف" الكثير من المساعدات للهيئة الطبية لهذه العيادة وللعديد من المواطنين الآخرين ، وكثيراً ما تألم من مشكلة البطالة والعاطلين ، وفى أوضاع أخرى كانت تظهر مشاكل حتى فى حالة وجود أعمال لهؤلاء المهاجرين إذ كان يجب عليهم تقديم إقرارات عن هويتهم السياسية ، إذ أن سلطات الإحتلال الإنجليزى كانت ترى فى كل روسى منهم أنه من "البولشفيك" (شيوعى) .

ساءت الحالة المادية والنفسية للروس فى مصر وبشكل ملموس بدءاً من 6 أكتوبر 1923م عندما رفضت اللجنة الإنجليزية المصرية منح الحيثية القانونية للسفارة الروسية ، وخاطب "سميرنوف" سلطات الإحتلال الإنجليزى وسفارات الدول الأخرى والسلطات المركزية للمهاجرين فى باريس والمنظمات الدولية وحكومة الولايات المتحدة الامريكية ، ولكن دون جدوى . عندئذ تحولت الوكالة الدبلوماسية إلى بعثة روسية وبعدها إلى جمعية المواطن الروسى وفيما بعد إلى ناد روسى فقط .

كان تعداد الجالية الروسية فى نهاية العشرينيات لم يكن ليتجاوز 600 فرد، إذ ترك معظمهم البلاد متوجهين خارجها ، كان الوقت يعمل لصالح روسيا السوفيتية التى بدأت الدول الغربية تعترف بها منذ منتصف النصف الاول من العشرينيات ولذلك غيرت اللجنة الإنجليزية المصرية فى القاهرة موقفها فى علاقتها بالمهاجرين الروس.

إن حديثنا لن يكتمل عن "ألكسى سميرنوف" مالم ننوه عن نشاطاته الأدبية فى أعماله سواء فى النثر أم فى الشعر ، لقد جذب تمكنه الفنى اهتمامات المعاصرين وكتب أحدهم يقول فى 1908م أن روايات وقصص "ألكسى سميرنوف" دراسات شعرية منمقة ومتعمقة عن الشرق.

لقد بدأت أعماله فى الثمانيات من القرن التاسع عشر ، فخرجت إحدى كتاباته الأولى "أسبوعان على الجبل المقدس " عام 1887م ، نشرت فيه دراسات "سميرنوف" عن وجوده فى-جبل أفون- ، والذى وصف فيها السكرتير المقبل للسفارة الروسية فى القسطنطينية بشكل حى وبدراية كبيرة أمور وحياة قاطنى-دير أفون- .

ومن قصصه المشهورة : "الظلمة التى كانت " والتى صدرت عام 1909م، وتدخل فى هذه المجموعة المختارة قصص "نتاشا فيدما" (الرجل ذو الوشاح الأبيض - الليل - فى العمق الازرق) ، حيث نلمس فيها "سميرنوف" الأديب ذا الخبرة والتجربة ينغمس فى العالم الداخلى لأبطاله حتى يصل إلى طابعه النفسي المجسد وبواعث ذلك .

أصيب "سميرنوف" قبل وفاته بعامين بمرض السكر ، وذلك نتيجة لوجوده فى جو من الرطوبة والحرارة لمدة طويلة. وقد قاوم هذا المرض ، ولسوء حظه عندسيره فى شوارع القاهرة المزدحمة بالناس وهو راكب دراجته صدمته سيارة أحدثت له كسراً فى إحدى قدميه وأجريت له عملية فى عيادة الأطباء الروس بالقاهرة وتمت العملية بنجاح ، إلا أن النتيجة فيما بعد لم تكن طيبة لأن مرض السكر عاق الجرح ان يلتئم وبسرعة تعقدت حالته الصحية وحدث تسمم فى الدم تسبب فى الوفاة .

توفى ألكسى الكساندروفيتش 18 نوفمبر 1928م فى شقته بشارع شيخ أبو سبعة رقم 14 بحى عابدين- المعروف - فى القاهرة .

فى 20 فبراير 1924م دفن "سميرنوف" فى مدافن الأرثوذوكس للقديس "جيورجى" فى القاهرة القديمة ، وحسب وصيته ، تم الدفن فى قبر بسيط دون ذكر بيانات عن هويته وفى 19 نوفمبر 1916م كتب فى وصيته يقول : أنا لا أعارض على الإطلاق ان يدفن رفاتى إلى الأبد فى مصر ، وقد تركت فى وصيتى المبالغ اللازمة للجنازة وشراء مكان المقبرة والشاهد للسيد جورج بك لطف الله أقرب الاصدقاء المصريين لى ، وأطلب أن تكون مراسم الدفن بسيطة وأرجو ألا تضعوا الأكاليل وألا تلقى الكلمات. وأما الشاهد فيجب أن يكون بسيطاً- لوحاً من البلاط عليها صليب حجرى مع كتابة هذه العبارة " ألكسى سميرنوف ولد فى 14 ديسمبر 1857م وتاريخ الوفاة وعبارة " يارب هذه إرادتك " .

هكذا أنهى "سميرنوف" حياته بشكل بسيط ومأساوي .

إنه الابن البار لروسيا - الدبلوماسى البارز ، والقنصل العام فى مصر على امتداد عشرين عاماً، عمل طوالها الكثير من أجل مواطنيه فى هذا البلد ، وكذلك من أجل بناء وتنمية العلاقات المصرية الروسية كواحدٍ من أكثر الدبلوماسيين الروس نباهةً وذكاءً وثقافةً .



التعاون العلمي والثقافي بين روسيا ومصر في بدايات القرن العشرين

رسالة "سميرنوف" إلي "رشدي باشا" بالرجاء بتقديم عون لباراطينوف وبوشويف الموفدان إلي مصر لدراسة نظام زراعة القطن .

رسالة وزير الأشغال العامة في مصر "إسماعيل سري باشا" إلي "سميرنوف" بصدد موافقته علي تسليم "يبانتشين" نسخاً من وثائق تتعلق بمسائل الري .

القاهرة 18 من أكتوبر 1911م :

معالي الوزير:-

نظراً لكون الإدارة العامة لتنظيم زراعة الأرض والحراثة في روسيا قد أوفدت إلي مصر - لمدة ثلاثة أشهر ، لدراسة الظروف التاريخية والإقتصادية لزراعة القطن - المستشار الوزاري "باراطينوف" والموظف في وزارة الزراعة المهندس الزراعي "بوشويف" .

أتشرف بأن أطلب منكم أن تتكرموا بالإيعاز للهيئات المختصة بتقديم عون لطيف إلي السيدين "باراطينوف وبوشويف" ، وتسهيل تأدية المهمة الموكلة إليهما .

أشكركم سلفاً علي خدمتكم الطيبة في هذه القضية وأغتنم الفرصة لكي أؤكد لكم مجدداً ، حضرة معالي الوزير علي فائق احترامي لكم .

رسالة "سميرنوف" إلي "رشدي باشا" بالرجاء بتقديم عون "لباراطينوف وبوشويف" الموفدين إلي مصر لدراسة نظام زراعة القطن .

أرشيف سياسة روسيا الخارجية . ملف القنصلية العامة في مصر ، الإضبارة 820 المستند 574 ص 117 باللغة الفرنسية) .



الكسي الكسندرفيتش سميرنوف
قنصل الامبراطورية الروسية في مصر



رئيس وزراء مصر إسماعيل رشدي باشا
في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني

القاهرة في 15 يناير 1912م :

حضرة المبعوث :ـ

فور إستلامي رسالة وكالتكم الدبلوماسية المؤرخة في 31 من أكتوبر 1911م تحت رقم 167 أبلغت وزارة الأشغال العامة بأن المستشار الوزاري "باراطينوف" والمهندس الزراعي "بوشويف" قد كلفا من الإدارة العامة لتنظيم زراعة الأرض والحراثة في روسيا بدراسة الظروف التاريخية ، والاقتصادية لزراعة القطن في مصر ، وطلبت في الوقت نفسه أن تقدم الوزارة المذكورة عوناً للموظفين الآنفي الذكر في أداء المهام الموكلة إليهما .

أبلغني زميلي في وزارة الأشغال العامة جواباً على ذلك : بأن السيدين المذكورين تلقيا بعد حديث مطول حول المسائل الزراعية التي تهمهم مع المدير العام لإدارة الزراعة نسخاً من جميع المطبوعات وغيرها التي تصدرها الوزارة المذكورة .

وإنني إذ أحيطكم علماً بذلك أغتنم الفرصة لأؤكد لكم مجدداً حضرة المبعوث على فائق إحترامي لكم.

رشدي باشا

رسالة "رشدي باشا" إلي "سميرنوف". بشأن الإستعداد لتقديم العون "لباراطينوف وبوشويف".

القاهرة في 12 من فبراير 1913م.

حضرة الوكيل الدبلوماسي :-

عطفاً علي الرغبة التي أعربتم عنها في رسالتكم المؤرخة في 26 من أكتوبر من العام الماضي تحت رقم 157 أتشرف بأن أقدم لكم طيه نسخاً من الوثائق المتعلقة ببعض مسائل الري التي طلبها السيد المهندس "يبانتشين".

تشتمل هذه الوثائق علي قوائم الزراعة المتناوبة، وخرائط لخمسة قطاعات ري في مصر السفلي، حيث يسري مفعول نظام الزراعة المتناوبة في غضون جزء من السنة.

كما ترفق بذلك نسخ عن برامج الزراعة المتناوبة لقطاعات الري في أسيوط والفيوم، والقطاع الرابع في مصر العليا.

وتفضلوا حضرة السيد الوكيل الدبلوماسي بقبول فائق احترامي.

إسماعيل سري باشا

رسالة وزير الأشغال العامة في مصر "إسماعيل سري باشا" إلي "سميرنوف" بصدد موافقته علي تسليم "يبانتشين" نسخاً من وثائق تتعلق بمسائل الري.

15 من مايو 1913م.

إن هيئة رئاسة جمعية الإخصائيين في العلوم الطبيعية لدي جامعة يورييف الإمبراطورية إذ تبلغكم بأن الجمعية أوفدت العضو الدائم الفعلي للجمعية "غريغوري غريغورييفيتش سوماكوف" إلي فلسطين ومصر لإجراء أبحاث في مجال علم الحشرات ترفع إلي معاليكم رجاء بالتكرم بتقديم العون للسيد "سوماكوف" وتفضلوت بقبول إمتناننا سلفاً.

الرئيس (توقيع)

السكرتير (توقيع)

رسالة جمعية الإخصائيين في العلوم الطبيعية إلي "سميرنوف" بشأن تقديم عون "لسوماكوف" في إجراء أبحاث في مجال علم الحشرات في مصر.

كلكوتا في 5 من ديسمبر 1913م

أسمح لنفسي بأن أضع تحت الرعاية اللطيفة لمعاليكم مواطننا المهندس "فالنتين فاسيليفيتش تشيكوف" المسئول عن ري سهب الجوع.

لقد أنهي السيد "تشيكوف" لتوه جولة مديدة في أرجاء الهند للإطلاع على المجاري في- البنجاب- والمحافظات المتحدة. علماً بأنني قدمت له كل عون ممكن بناء على أمر من وزارة الخارجية.

بتوقيع المهندس "تشيكوف" الوصول إلي القاهرة في تاريخ 16 أو 17 من يناير (كانون الثاني) حسب التقويم الجديد، وهو يرجو مني القيام بمسعى لديكم كي تتكرموا بتقديم العون الضروري له في جولته في أرجاء مصر للإطلاع على منشآت الري.

أغتنم الفرصة راجياً منكم، سيدي الكريم قبول فائق احترامى وولائى.

نابكوف

رسالة قنصل روسيا العام في- كلكوتا- "نابوكوف" إلي "سميرنوف" بشأن تقديم عون إلي المهندس "تشيكوف" في الإطلاع على منشآت الري في مصر.

28 مارس 1914م

قام معهد علم النفس والأعصاب في العام الفائت بتنظيم جولة علمية إلي بلدان الشرق. وقد أسفرت الجولة عن نجاح تام.

رغم أنهُ كانت توجد تحت تصرف المشاركين في الجولة مبالغ محدودة جداً فقد قدموا مجموعات ثمينة إلي المعهد، وإلي المتحف- الأثنوغرافي- التابع- لأكاديمية العلوم الإمبراطورية التربوي- التابع لمؤسسات التعليم العالي. إضافة إلي ذلك ألقي المشاركون في الجولة عدداً من الخطابات والمحاضرات العلنية.

إن مجلس المعهد إذ يعزو نجاح الجولة بدرجة كبيرة إلي مساعدتكم الساطعة التي تجلّت في مسعاكم لتخفيض أجور السفريات بسكك الحديد المصرية، وللشروط المسهلة لمشاهدة معالم مصر، يعرب المجلس لكم عن شكره الصادق الذي عبرنا عنه في الإجتماع العلني للمعهد، الذي عقد مؤخراً ونشرناه في التقرير السنوي الذي سيرسله لكم- من كل بد- ديوان المعهد بعد طبعه.

وإني إذ أرى من واجبي إحاطتكم علماً بذلك أرجو قبول صادق احترامى.

القائم بأعمال رئيس المعهد

البروفيسور غوغيل

رسالة القائم بأعمال رئيس معهد علم النفس والأعصاب "غوغيل" إلي "سميرنوف" بالشكر على مساعد الجولة العلمية الروسية إلي بلدان الشرق.



جاجارين والفضاء

جاورجيوس العظيم .. 110 دقائق قلبت الدنيا



منذ 50 عاماً طاف نبأ نشرته وكالة "تاس" السوفيتية بالعالم أجمع ، وجاء في النباء :" قام الاتحاد السوفيتي في 12 ابريل عام 1961 بإيصال اول سفينة فضائية تدعى "فوستوك - 1" إلى المدار حول الارض ، ويقود تلك السفينة الفضائية الرائد الجوي يوري جاجارين مواطن الاتحاد السوفيتي" .

وبالرغم من أن الاتحاد السوفيتي لم يعلن مسبقا عن إطلاقات فضائية مخطط لها فان وكالات الأنباء العالمية انتظرت في ذاك اليوم وقوع هذا الإنجاز العظيم. إلا أن نبأ إطلاق الإنسان إلى الفضاء فاجأ العالم كله، فقطعت محطات الاذاعة والتلفزيون برامجها لتنقل هذا النبأ المدهش والمثير ، وبدأت الصحف العالمية في إعادة ترتيب صفحاتها الأولى لتكتب عنه .

ظل "يوري" في الفضاء- 110 دقائق- فقط . لكنها هزت الدنيا ، ووصفت صحيفة ديلي "أكسبريس" البريطانية يوري جاجارين بانه "جاورجيوس" العظيم علماً أن إسم يوري باللغة الروسية يعني جاورجيوس بالإنجليزية . وكتبت صحيفة "تايمز" الأمريكية أن رواد الفضاء سيتذكرون دوما لفظي "فوستوك" و"يوري جاجارين" بشكر وإمتنان .

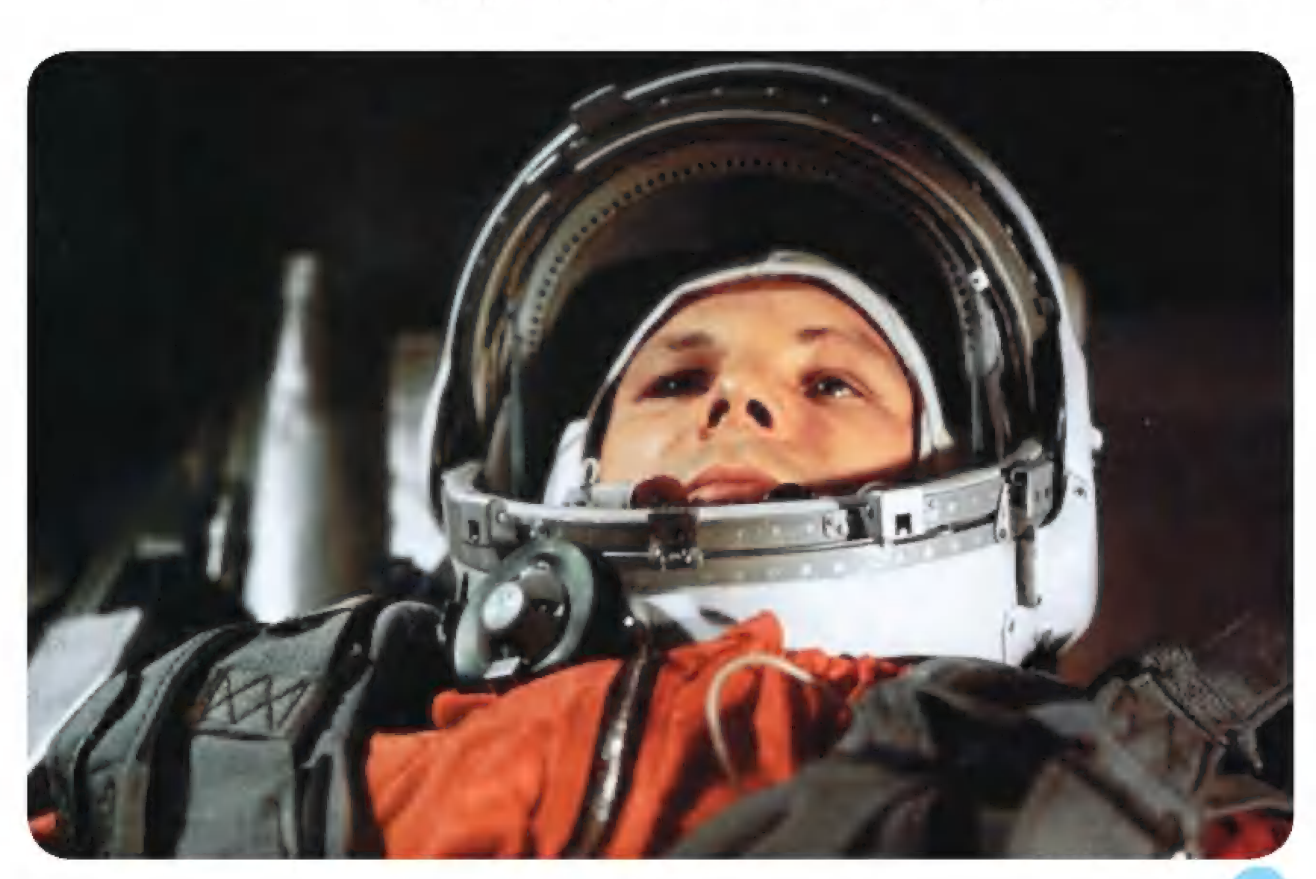
فلماذا غدا يوري جاجارين بالذات أول رجل فاتح للفضاء الكوني؟ لماذا أصبح رمزاً لفجر العصر الفضائي؟ قالت زوجته "فالينتينا جاجارينا" مرة أن إبنتها التي وَجه اليها هذا السؤال في مؤتمر صحفي وجدت نفسها عاجزة عن الاجابة عليه. وسألها مراسل لاحدى وكالات الانباء الامريكية قائلا :" يمكنني الافتراض انكم استطعتم حساب المدار الفضائي وصنع مركبة فضائية. فكيف استطعتم حساب كولومبوس الكون هذا بشجاعته وجماله وذكائه وطيبته وتأهيله وكنيته النبيلة وسيرة حياته الرائعة ؟

كان "جاجارين" طفلاً لا يختلف عن بقية الأطفال في قريته . شب في مدينة- ساراتوف- ثم عاصر الحرب وشاهد المعارك الجوية الرهيبة التي شنها الألمان فصمم أن يصبح طياراً ليدافع عن وطنه ، وعندما كبر إنضم لنادي الطيران في مدينة "ساراتوف" وامتلأت غرفته بنماذج الطائرات " الياك " ثم "الميج" ، وكان يوري كثير القراءة و كان مما قرأ كتاب " من الأرض إلى القمر"



للكاتب الكبير جول فرن. لقد كان يوري يضع هذا الكتاب تحت وسادة نومه ويقرأه ثم يعود ويقرأه مدققاً في كل سطر فيه. بعد أن تقدم في تعليم الطيران عرف أنه لا سبيل للوصول إلى هدفه إلا بدخول كلية الطيران فتقدم للإختبار ونجح في دخول الكلية سنة 1957.

في عام 1959 تخرج في كلية الطيران ـ برتبة ملازم ـ وأصبح ضمن قوة طياري الاتحاد السوفيتي، وقبل إرسال يوري إلى الفضاء كان على العلماء أن يدرسوا تأثير الفضاء على الرجل وكذلك تأثير الجاذبية وإنعدامها، وتأثير الصوت والحرارة والسرعة ...الخ. وكان العلماء يجرون التجارب على "يوري" وزملائه، وكان يوري يتميز عن زملائه بصحته الجيدة وبسرعة البديهة لديه وهدوء أعصابه، مما جعله يتفوق عليهم جميعاً، وفي مارس: أستدعِيَ يوري إلى موسكو وكان ذلك بعد إختيار العلماء له، وقد كان يجهل حتى ذلك الوقت انه أختير لهذه المهمة التاريخية.





يتحدث ألكسندر بالينكو المدير العام للمراكز الروسية للعلوم والثقافة بالقاهرة والاسكندرية في الذكرى الخمسون على صعود رائد الفضاء يوري جاجارين للفضاء

في اليوم الموعود ارتدى يوري ملابسه الخاصة ، وأكمل ربط الأحزمة وقناع الأكسوجين وصعد إلى الكابينة التي كان مرسوماً عليها بالحروف الحمراء الكبيرة رمز الاتحاد السوفيتي ، وتقدم الطبيب الخاص وأخذ آخر البيانات الصحية للرائد الذي سوف ينتقل بعد ثوانٍ للفضاء الفسيح وسجلها في السجل الخاص، لقد كان كل شيء على ما يرام .

في يوم الأربعاء 12 أبريل 1961 وفي الساعة السابعة والدقيقة الأربعين صباحًا انطلق الصاروخ حاملاً أول رجل إلى خارج الأرض. كان هذا الرجل البطل هو "يوري جاجارين" وبعد قليل كان يوري يدور حول الأرض وهو يسير بسرعة 30 ألف كيلومتر في الساعة.

لقد عاد يوري إلى الأرض بعد رحلته حول العالم الخارجي. ـ عاد البطل ـ عاد بعد أن فتح للعالم آفاقاً جديدة .

طاف "يوري" بعد ذلك العالم ، ولكن هذه المرة على الأرض لا في القضاء وقوبل في كل مكان بالهتاف والترحيب ، قوبل كما يقابل الفاتحون ، لقد فتح للعالم أجمع دنيا جديدة ، فتح الفضاء وحقق أول خطوة نحو سفر الإنسان إلى الفضاء ، والوصول إلى الكواكب الأخرى . لقد كان يوري مثلا حيًا لما يجب أن يكون عليه الشباب من طموح وإيمان وقوة ، فاستحق كل تقدير .

الكاتب المصري أحمد الخميسي يتذكر ...
انطباعات كاتب مصري
عن رحلة أول رائد فضاء إلى رحاب الكون

"جاجارين في قريتي"



يوري جاجارين في حديث مع الكاتب المصري الراحل عبد الرحمن الخميسي عند زيارة جاجارين مصر.

هذا هو عنوان القصيدة التي كتبها الشاعر والأديب المصري عبدالرحمن الخميسي في عام 1962 لدى زيارة ـ يوري جاجارين ـ إلى مصر بعد رحلته الاسطورية في الفضاء، وقد بقيت هذه الزيارة في ذاكرة الكاتب د. احمد الخميسي نجل الشاعر الذي كتب بهذه المناسبة يقول :

ذات صباح ، منذ خمسين عاما بالتمام والكمال، هتف شاب روسي في السابعة والعشرين من عمره "فلننطلق " ! كان ذلك في السابعة والدقيقة الأربعين من صباح يوم الأربعاء 12 أبريل 1961 . وربما لم تسمع البشرية بعد صيحة أجمل من هذه الصيحة " فلننطلق " ، ففي تلك الكلمة القاطعة احتشدت كل أحلام الإنسانية المتحفزة للطيران، ليس في السماء ، بل إلي ما هو أبعد من السماء . وكانت الكلمة إشارة ، انطلقت بعدها المركبة الفضائية " فوستوك ـ 1 " حاملة الشاب الروسي يوري جاجارين في دورة حول الأرض أشبه بالمعجزة . وفي مارس 1968 توفي جاجارين عن أربعة وثلاثين عاما فقط . رحل "يوري جاجارين" ، مثلما يرحل كل كائن بشري ، ولكن بقيت كلمته " فلننطلق"، وعلى حد قول عالم الصواريخ الشهير "سيرجي



يوري جاجارين وزكريا محي الدين مطار ألماظة 5 ـ 2 ـ 1962 قاعدة القوات الجوية مصر



كـرولوف" فإن " جاجارين فتح لسـكان الأرض الطريـق إلي العالم المجهول، لكن الأهم أنه منح البشـريـة الثقـة في قدراتها وطاقاتها " ! وعلى حد تعبير رائد الفضاء "الأمريـكي آرمسترونج" فإن جاجارين" دعانا جميعا إلي الفضاء" أي أنه دعانا إلي استجلاء كل مجهول ، وكشف كل لغز ، والثقة في أنه ما من مستحيل أمام إرادة العقل البشري .

حين عاد "يوري جاجارين" إلي الأرض ، أخذت الوكالات تتناقل صوره، فأحبه الناس وعشـقوا فيه بسـاطة الفلاح الروسي ، وبسـمته الدافئة . ومنح لقب بطل الاتحاد السوفيتي ، ثم تقرر أن يقوم بجولـة خـارج روسـيا ، وزار بالفعل ثلاثين دولة عـام 1962 ، وكـانت ـ مصر ـ إحـدى المحطات التي توقـف فيها ، حيث اسـتقبله في مطار ألماظة "زكريا محيي الديـن"، والتقى ـ بجمال عبد الناصر ـ ، و وضـع علـى صـدر إبنه عبـد الحكيم شـارة رواد الفضاء ، وفي ذلـك الوقت كـتب الكثيرون في الصحافـة المصرية باعجاب وتقدير عن تلـك الرحلة ، والتقي جاجارين بعدد كبير من الكتاب والشعراء كان من بينهم والدي الكـاتب الراحل عبد الرحمن الخميسي ، ومازالت الذاكرة تحتفظ بقصيدة كتبها عبد الرحمن الخميسي ونشرت حينذاك بجريدة الجمهورية هي " جاجارين في قريتي " ويصور فيها ذهول الناس مما جرى قائلا :

جاجارينُ فى قريتى يسألونَ :

وكيف نبلِّغهُ حُبّنا . . ؟ وكيفَ نَزُفُّ إليه التَّهانى ؟

ونحملهُ فوق أعناقنا؟ نُريد نراهُ . . . نُقبِّله . .

نُهدهدُه بين أحضاننَا ونعقدُ من زَهراتِ الربيع

على رأسهِ تاجَ إعجابنَا

وطفلٌ تساءل : هل مثْلُنا ؟

جاجارين يمشى على قدَمينْ؟ وفى وجهه يا تُرى مُقلتان؟

وأنفٌ، ويسمعُ بالأذُنينْ؟

وقهقه كلٌّ، فقال الصغيرُ: وهل شفْتمو جاجرينَ؟ وأينْ؟

وقيل له : مثْلُنا . . غيرَ أنَّ بطولتَه حَدَثُ العالمَين

وأطرقَ فى صمتهِ شيخُنا ، وأومأ لى، ثم قال بأذْنى :

"أتعرفُ أنَّ لدىَّ جوالاً من القمح؟ قلت : وما أنت تَعنى؟"

فقال : "سأرْسله فى غد إليه هدَّيةَ شيخ مُسنّ"

وأطرقَ فى صمته ، ثم قالَ : "أُحسُّ كأن جاجارين ابنى!"

في الرابعـة والثلاثـين من عمره رحل يـوري جاجاريـن عـن عالمنا ، ودفن رماد رفاته عند سـور الكرملـين ، وبعـد خمسـين عاما تتبنى الأمـم المتحدة يوم رحلتـه 12 أبريل يومـا عالمياً لارتياد الفضـاء، يومـا عالميـا للاحتفـال بالصيحة الأجمـل: " فلننطلـق" لنفـض مغاليق الأسـرار كلها،

فلننطلق . الآن يحضرني خلاف صغير بين الأديبين الروسيين العملاقين : "ليف تولستوي" و"أنطون تشيخوف" ، فقد كان "تولستوي" كثيرا ما يكرر أن الإنسان لا يحتاج لأكثر من متر من الأرض يدفن فيه ، أما تشيخوف فقد رد على ذلك بقوله : متر من الأرض تحتاجه جثة ، أما الإنسان فيلزمه الكون كله ! جاجارين هو كل إنسان لا ينفعه لا متر واحد ولا حتى الأرض كلها ، فيحلق أعلى ، وأعلى ، أبعد ، وأبعد ، سابحا في الكون اللانهائي . لهذا أصبح اسم ذلك الشاب الروسي اسماً لكل البشر، وصيحته الجميلة " فلننطلق " صيحة للبشرية كلها .

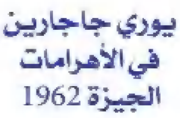


يوري جاجارين وزكريا محي الدين
قصر القبة ـ القاهرة ـ 5 ـ 2 ـ 1962



يوري جاجارين
في بورسعيد
1962





يوري جاجارين
في الأهرامات
الجيزة 1962



يوري جاجارين
في مطار الماظة
1962



يوري جاجارين
والرئيس عبد الناصر.
القاهرة 1/ 2/ 1962



يوري جاجارين
وسفير الاتحاد السوفيتي
بالقاهرة فلاديمير
ياكوفيلفيتش
في ضيافة الرئيس
جمال عبد الناصر
وأسرته بمنزله.
القاهرة 1/ 2/ 1962

مصر تراقب إنفصال كبسولة رواد الفضاء بالمركبة سيوز*

روسيا تدعو مصر لانشاء مركز دائم لمراقبة المركبة الفضائية سيوز



الساعة الرابعة وخمس وعشرون دقيقة صباح الرابع والعشرين من مايو 2012 حطت كبسولة المركبة الفضائية سيوز بقرية على بعد عدة كيلو مترات من مطار بيكانور الفضائى - بجمهورية كازاخستان - بعد 24 دقيقة و 15 ثانية من إنفصال هذه الكبسولة عن المركبة الفضائية سيوز فوق ساحل البحر الأحمر حاملة على متنها 3 رواد فضاء: "كاترين جريس ، وباولو أنجيلو والروسى كاندراتيف ديمترى" بعد بقاءٍ بالفضاء الخارجى دام 159 يوماً منذ 15 ديسمبر من العام السابق .

قبل هذا اليوم وعلى مدى - أربعة أيام - كانت لجنة فنية روسية من مؤسسة الأقمار الصناعية الروسية "إنيرجيا" قد قدمت لإحدى المدن الساحلية المصرية للإعداد لهذا الحدث الهام .حول مهام اللجنة ، وطبيعة ما قامت به من أعمال ، وقيمتها العلمية ، كان اللقاء مع "أناطولى فوفك" النائب الأول لكبير مهندسي المؤسسة الذى انضم للجنة فى أعمالها والذى تحدث (لأنباء روسيا) عن مهمة اللجنة قائلا :

بداية... وقبل كل شئ فإننى أتوجه بشكر صادق وعظيم للأصدقاء المصريين الذين أتاحوا لنا فرصة ضخمة للقيام بهذا العمل على الأرض المصرية، فبغض النظر عن قيمته العلمية الكبرى - والتى يدركها الأصدقاء المصريون - إلا أن طبيعة الأحداث السياسية الجارية الآن

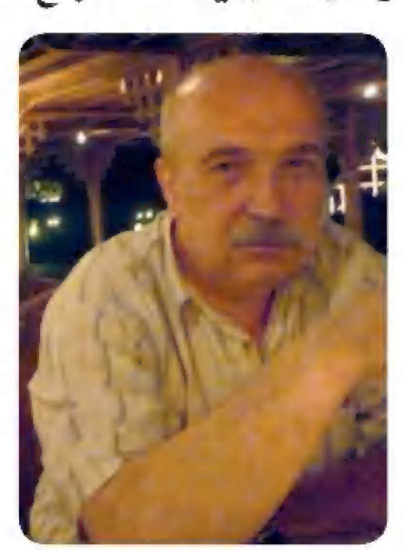
* المصدر : مجلة " أنباء روسيا " - الطبعة العربية - العدد (25) السنة الخامسة - يونيو 2011

بمصر كان يمكن أن يكون مبرراً – وسيكون مقبولاً – لرفض أن نقوم بهذا النشاط فى هذا الوقت. إلا أن مصر وهى ترتفع فوق أزماتها – أكدت مرة جديدة لنا ولدول العالم المتقدم – أن احترامها ، وتقديرها للعلم هو موقف ثابت.

هذا أولاً ...

ثانياً ... ما نحن بصدده الآن هو – فعلاً حدث تاريخى علمى هام . وسأشرح لماذا. الأقمار الفضائية ؟ – سواء أكانت مأهولة أو غير مأهولة – هى مجموعة معقدة من الأجهزة والنظم تتكامل فيما بينها لأداء مهامها ، ولكى نضمن هذا الأداء على أعلى مستوى يلزم علينا متابعة حال هذه الأجهزة والنظم بشكل مستمر حتى يمكن الاطمئنان لعملها ، وتوقع ما يمكن أن يحدث من مشاكل: – كنقص الوقود عن معدلاته الطبيعية ، أو ارتفاع الحرارة أو الضغط ، علاوة على قياسات الضغط فى كبسولة رواد الفضاء ، ودرجات الرطوبة ومستويات الهيليوم بالبالونات وضغط النتروجين وحالة الحزام الناسف لمنطقة فصل الكبسولة ، أو تعطل المكونات الإلكترونية عن العمل وغيرها كثير . هذه المتابعة كانت تتم على أيام الإتحاد السوفيتى السابق عن طريق بواخر ضخمة مزودة باجهزة "تليمترى" ضخمة كانت تستخدم لإرسال واستقبال إشارات وترددات تسمح لنا بأن نحللها لنعرف منها كل المعلومات التى تجعلنا قادرين على الحكم على أداء أجهزة ونظم المركبة الفضائية – أو القمر الفضائى – لعملها ، ناهيك عن توقع ما قد يجدُ على هذا الأداء من طوارئ.

يستطرد "أناطولى فوفك" : منذ تفكك الإتحاد السوفيتى إنهارت منظومة "البواخر التليمترية" لمتابعة أداء المنظومات الفضائية ، فقد رفعت الدولة يدها عن تمويل هذا "العمل البحثى العميق" والذى كان يتكلف مبالغ طائلة ، فضلاً عما شكلته أجهزة المتابعة هذه من أعباء لضخامتها وتعقيدها فى العمل . منذ ذلك الحين وحتى وقت قريب عجزنا بشكل شبه كامل عن التواصل الآني والرصد القريب لأداء منظوماتنا الفضائية . لأول مرة و منذ ذلك التاريخ نحن الآن فى مصر ، وبمعدات تمثل أحدث المعدات التكنولوجية – لايتعدى وزنها كيلو جرامات محدودة – نقوم بالاتصال بالمركبة الفضائية الدولية سيوز عند مرورها فوق السواحل المصرية لنراجع الحالة الفنية الالكترومغناطيسية لكل أجهزتها ونظمها ، فضلاً عن القيمة العالية لهذه المعلومات والتى تمكننا من قراءة مستقبل عمل هذه الأجهزة والنظم مما يجعل عطب أيها أمراً بعيد المنال.



أناطولي فوفك
النائب الأول لكبير مهندسي مؤسسة الاقمار الفضائية الروسية إنيرجيا خلال مشاركته في أعمال رصد المركبة سيوز من مصر

فى اليوم الرابع والعشرين من مايو 2011 ، وفى الساعة 4:25 صباحاً مرت المركبة الفضائية الدولية – يستكمل الحديث البروفيسيور "فاديم كرافيتس" مدير برنامج التليميترى للمركبة سيوز – المركبة الفضائية سيوز فوق ساحل البحر الأحمر على ارتفاع 120 كيلو متر على بعد 280 كيلو متر، ولمدة 4 ثوان كاملة تم التواصل مع المركبة ورصد حالة أجهزتها، كما شهدنا انفجار الحزام الناسف الذى ربط المركبة



فيتالي لوبوتا - رئيس مؤسسة إنيرجيا
أثناء لقائة طاقم رواد الفضاء قبيل رحلتهم

الفضائية بالكبسولة التى عاش بها رواد الفضاء الثلاثة على مدى 159 يوماً .

لقد إنفصلت الكبسولة المقلة لرواد الفضاء بنجاح فوق السواحل المصرية ، إذ إنفجر الحزام الناسف فى كل أجزائه فى نفس الوقت - واستمرت الكبسولة فى الطيران حتى هبطت بعد 24 دقيقة و15 ثانية برواد الفضاء الثلاثة "كاترين وباولو وديمـترى" فى مطار بيكانور الفضائى سالمين . لقد حققنا مهمتنا بنجاح كبير ، والتقدير واجب للمصريين الذين أتاحوا لنا هذه الإمكانية.



أعمال اللجنة الفنية لرصد حالة أجهزة المركبة الفضائية "سيوز" وكذا مراقبة لحظة إنفصال كبسولة رواد الفضاء عن المركبة شهدها وفد ممثل

للسفارة الروسية بالقاهرة ، وشارك فى أعمالها الدكتور : حسين الشافعى مستشار وكالة الفضاء الروسية.

حول مدى ما يمكن لمصر الاستفادة المباشرة منه فى مثل هذه الاعمال - أوضح الأكاديمى "فاديم كرافيتس" - أن دول العالم- جُلها- إن عاجلاً او آجلاً ستدخل مجال الفضاء ، ومصر دولة رائدة فى العالم العربى تلعب فيه الإتصالات والبث الفضائى دوراً متصاعداً ، وسوف نرحب - بالتعاون المشترك بيننا وبين مصر - فى إنشاء مركز دائم للإتصال بالمركبة الفضائية سيوز ، وبغيرها من الأقمار يكون مقره الدائم مصر ، لاسيما وأنه من المخطط أن تكون أعمال الرصد والمتابعة للمركبة الفضائية "سيوز" - من خلال الأراضى المصرية - بشكل شبه دورى بواقع مرتان كل عام ... فى أواخر مايو وسبتمبر.



المجموعة الفنية لرصد حالة المركبة الفضائية سيوز ومراقبة إنفصال كبسولة رواد الفضاء ويتوسطهم د. حسين الشافعى مستشار وكالة الفضاء الروسية

مجموعة عمل مصرية - روسية ترصد الاستعداد للفصل*

وكالات الأنباء العالمية تنقل هبوط الكبسولة بأمان فى "كازاخستان"



برقية (1)

من مركز التحليقات الفضائية بموسكو
إلى رواد الفضاء بالمركبة الفضائية الدولية

يتم فتح قنوات الإرسال بالمركبة الفضائية الدولية سيوز يومى 27/6 ، 29/6 الساعة 9.30 صباحاً بتوقيت جرينتش لإجراء عمليات الإختبار ات النهائية مع مركز الرصد والمراقبة بشرم الشيخ قبل فصل كبسولة رواد الفضاء .
سنخطركم بنتائج الإختبارات .

مركز التحليقات الفضائية
موسكو
21/6/2012
08 : 30 : 00

برقية (2)

من مركز التحليقات الفضائية بموسكو

تمت عمليات الإختبارات النهائية لأجهزة فصل كبسولة رواد الفضاء من المركبة الفضائية الدولية سيوز بنجاح من محطة المراقبة والرصد لأعمال الفصل بمدينة شرم الشيخ يومي 6/ 27 ، 6/ 29 الفصل لكبسولة الفضاء سيتم في الموعد المحدد الساعة 45 : GTM 07 .
بالتوفيق

مركز التحليقات الفضائية
موسكو
29/6/2012
08 : 50 : 10

فى الوقت الذى كان فيه المجتمع المصرى بأكمله مشدوداً لمتابعة مراسم حلف اليمين للرئيس المصرى المنتخب محمد مرسي ، ويلهث للحاق بتطورات سيناريو الحكم المدنى الجديد لمصر ، كانت أنظار العالم تراقب حدثاً آخر كبيراً تجرى وقائعه أيضاً بمصر لكن على سواحل شواطئ البحر الأحمر بها.

كانت وكالات الفضاء الأمريكية "ناسا" والروسية "روس كوسموس" والأوربية "EKA" ، ومركزى التحليقات الفضائية بموسكو، وهيوستن قد رفعت من حالات الطوارئ بها للتجهيز لأعمال الاختبارات النهائية للمركبة الفضائية الدولية سيوز المقرر إجرائها يومى 27 ، 29 يونيو لإكتشاف مدى جاهزتيها لتنفيذ أعمال فصل كبسولة رواد الفضاء بها ، والمقرر لها الساعة 45 : 07 بتوقيت جرينتش صباح الأول من يوليو الجارى.



سيرجي سامبيروف كبير خبراء الراديو بمؤسسة إنيرجيا - حفيد رائد الفضاء السوفيتي الشهير سامبيروف

الأكاديمي فاديم كرافيتسوف مدير برنامج التليمتري ضمن المجموعة الفنية المراقبة لإنفصال الكبسولة

* المصدر : مجلة " أنباء روسيا " - الطبعة العربية - العدد (28) السنة السادسة - يوليو 2012



مركز التحليقات الفضائية بالعاصمة الروسية موسكو أثناء متابعة قياسات شرم الشيخ لفصل كبسولة الفضاء

هبوط الكبسولة المقلة لرواد الفضاء تم بنجاح فى الساعة الثامنة وأربع عشرة دقيقة وخمسون ثانية بتوقيت جرينتش . على بعد 140 كيلو متر من مدينة - جيركازجان بجمهورية كازاخستان - وبعد قرابة النصف ساعة من انفصال الكبسولة المقلة لهم والذى تم رصده من مدينة شرم الشيخ .

أعمال البحث عن موقع هبوط الكبسولة المقلة لرواد الفضاء شاركت فيها 15 مروحية .

قائد مجموعة "رواد الفضاء الروسى إليج كونونينكو والأمريكى دونالد بيتيت والهولندى أندريه كيبيرس" كانوا قد بدأوا رحلتهم فى الحادى والعشرين من ديسمبر 2011 .

رواد الفضاء الثلاثة كانوا قد استقبلوا منذ إلتحاقهم بالمركبة شاحنتين روسيتين "بروجريس" ، كما شاركوا فى الأعمال المخطط لها فى إطار البحوث العلمية . رائد الفضاء "إليج كونونينكو" حلق خارج المركبة الفضائية الدولية لمدة وصلت إلى 6 ساعات و15 دقيقة .

طاقم رواد الفضاء مكث فى الفضاء 192 يوماً و18 ساعة و 58 دقيقة .

يذكر أن ثلاث آخرين من رواد الفضاء مازالو بالمركبة الفضائية الدولية فى انتظار انضمام ثلاث رواد جدد لهم .

مركز الرصد والمراقبة للتجارب ورصد فصل كبسولة رواد فضاء المركبة الفضائية الدولية

بمدينة شرم الشيخ كان قد بدأ نشاطاته بأعمال رصد إنفصال كبسولة رواد الفضاء فى الرابع والعشرين من مايو 2011 ، وذلك بمجموعة عمل روسية من مؤسسة الصواريخ الفضائية الروسية "إينرجيا" بمعاونة الدكتور "حسين الشافعى" مستشار مؤسسة "إنيرجيا" بالشرق الأوسط.

مدير البرنامج الروسى للتليمترى (القياسات الفضائية) للمركبة الفضائية الدولية الأكاديمى "فاديم كرافيتس" أعرب عن التقدير الكبير والشكر العميق - للمشير محمد حسين طنطاوى- رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة بجمهورية مصر العربية (السابق) . الذى قدم دعمه الكامل لأعمال الرصد والمراقبة التى تتم من مدينة شرم الشيخ ، وأكد - فى حديث خاص لأنباء روسيا - أن الدعم المصرى لهذه الأعمال إنما يؤكد الاهتمام المتزايد لمصر بمجال الفضاء ، وهى الدولة الرائدة فى العالم العربى الذى تلعب فيه الاتصالات والبث الفضائى والاستشعار عن بعد دوراً متصاعداً.

المشير محمد حسين طنطاوى رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة بجمهورية مصر العربية السابق قدم دعمه الكامل لمراقبة إنفصال كبسولة رواد الفضاء من شرم الشيخ

من الجدير بالذكر أن أعمال الرصد والمراقبة لإنفصال والتحام الكبسولات الفضائية تجرى مراقبتها أربع مرات كل عام ، مرتين بجزيرة - كريت - لعمليات إلتحام كبسولات رواد الفضاء ، ومرتين بسواحل شرم الشيخ لعمليات فصل الكبسولات.

نتائج القياسات التى تجرى من خلال مركزى الرصد و المراقبة يجرى نقلها - عبر الانترنت - فى نفس الوقت إلى مركزى مراقبة التحليقات الفضائية بموسكو وهيوستن .



الخبراء الروس والمصريون أثناء تركيب أجهزة القياسات التي تمت لعملية فصل كبسولة رواد فضاء المركبة الفضائية الدولية



السد العالى

قصة بناء الهرم الرابع . . .
"السـد العالي" *



* شارك في إعداد هذا الملف : أ.عبد الله فهيم السعدنى - الباحث بمركز تاريخ مصر المعاصر - دار الكتب والوثائق القومية

استطاع شعب مصر أن يتحدى ضغوطاً دولية هائلة ، وأن يبنى السد الذى يزيد عن حجم الهرم الأكبر سبع عشرة مرة ، ورغم أن الهرم كمعجزة معمارية وهندسية يظل قائماً كمقبرة للملك خوفو ؛ إلا أن السد العالى سيبقى كمعجزة هندسية "مصدر حياة لملايين الأرواح الحية".

وبينما تثور الأقاويل عن الطريقة التى بنى بها خوفو ورجاله الهرم الأكبر وهى "السخرة" وفقاً لمقاييس ذلك العهد، لكن أحداث التاريخ المعاصر تؤكد كيف كانت طريقة بناء السد نموذجاً يحتذى لإيقاظ وتعبئة كل طاقات البناء والإبداع والخبرة لدى مختلف فئات الشعب المصرى من ـ عمال ، وفنيين ، ومهندسين ، واداريين ـ ، واكتساب أرقى الأساليب التكنولوجية. كان بناء السد العالى وما صاحبه من تحدى ومواجهة وانتصار، يمثل نموذجا مجسماً لبناء مصر الوطنية المستقلة فى مواجهة امبراطوريات قديمة وجديدة ، سعت ولا تزال تسعى للحيلولة دون قيام مصر الوطنية المستقلة فى هذا الجزء من العالم، واستخدمت فى سعيها المتواصل كل أسلحتها ابتداء من الدبلوماسية والاقتصاد، وانتهاء بالغزو المسلح .

كان السد العالى مشروعاً وطنياً ، اهتم بتعبئة الشعب المصرى وبمعونة مخلصة وغير مشروطة من الاتحاد السوفييتى ، وكان بداية الطريق الحقيقى للوصول إلى صياغة مصرية تحقق أهداف الثورة المصرية الوطنية فى كل مجالات عملها أنها تتويج لمحاولات وثورات وطنية لم يسعدها الحظ فى أن تنتزع لمصر حقها الطبيعى فى بناء حياتها المستقبلية. وكان "عبد الناصر" قد استوعب أعظم أحلام ومنجزات (عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول) كما استخلص بعض دروس انكساراتهم التى لا تنسى .

من هنا تستحق "ملحمة السد" أن تروى لا كمجرد إنجاز اقتصادى وهندسى غير مألوف ، ولكن كأول وأبرز معالم الطريق الطويل الشاق لبناء اقتصاد وطنى مستقل. وهو الأساس القوى لتحقيق أهم أهداف الثورة الوطنية والاجتماعية ضد كل أعدائها .

لم يخترع "هيرودت" فى القرن الخامس قبل الميلاد عبارته الشهيرة "مصر هبة النيل"، لكنها كانت مجرد ملاحظة لمؤرخ ، فبدون النهر العظيم لم تكن لتنشأ على الضفتين أمة فى فجر الحضارة المبكرة . وبسبب النهر والنزاع بين الفلاحين على مياه الرى قامت سلطة مركزية تبنى وتحمى منشآت الرى وتشرف بنفوذها على توزيع المياه وفض المنازعات حولها ، ومن أجل ضرورة التكهن بموعد وصول الفيضان سنوياً ابتكر المصريون القدماء "التقويم الشمسى" الذى قسموا فيه العام إلى 365 يوماً وطوروا مبادئ الفلك. وتوالت الاختراعات وفقاً للحاجات الملحة لشعب مصر. فقياس مستويات النهر المختلفة أوصلت المصريين إلى اختراع الرياضيات ، والحاجة إلى الاحتفاظ بسجلات النهر حتمت تطوير الكتابة .

أما الحاجة إلى وحدة الوادى التى تميزت بها سياسية مصر إلى يومنا هذا فهى التى أدت إلى قيام أول حكومة اتحادية تضم المملكتين أو "الوجهين" القبلى والبحرى منذ أن وحدهما "مينا" عام 3400 ق. م. ، وكان نهر النيل هو الرابط بينهما . ولا يمكن النظر إلى مصر بمعزل عن النيل، وهو كل حياة مصر ، وما لا يصل إليه النيل يظل صحراء مجدبة. وليس هناك شعب آخر فى التاريخ يعتمد كلية على مصدر واحد كما يعتمد الشعب المصرى على النيل . فمن بين 386000ميل مربع هى مساحة مصر ، لاتتجاوز المناطق الخضراء والماهولة أكثر من 15000ميل

مربع ، وعلى هذه المساحة المحدودة عاش سبعة ملايين من السكان فى سبعينيات القرن التاسع عشر (1870) وكان يعيش عليها 21 مليون نسمة عندما قامت ثورة 23 يوليو 1952 . وكان من المقدر وفقا للدراسات الإحصائية أن يصل العدد إلى 40 مليون نسمة بعد عام 1980 . فنسبة كثافة السكان فى وادى النيل هى أعلى نسبة فى العالم حيث تبلغ مابين 600 إلى 800 نسمة فى الكيلو متر المربع، ولذا فإن نصيب الفرد من السكان من الأراضى المزروعة هو بالتالى أقل نصيب فى العالم .

ورغم الاحتياج إلى كل قطرة من مياه النيل لمواجهة زحف الصحراء والتوسع فى إنتاج الغذاء لهذه الملايين ، إلا أن نظام تدفق المياه فى نهر النيل كان يؤدى إلى ضياع حوالى 60 % من جملة المياه سنويا مع ما يسببه اندفاع مياه الفيضان فى بعض السنوات من كوارث للسكان والبيوت والمحاصيل ، وبالتالى كانت مشكلة الرى والكفاح ضد فيضان النيل شغل المصريين الشاغل منذ فجر التاريخ . ويُقال إن سداً عملاقاً شُيِّدَ على يسار النهر لحماية المنطقة الغربية فى عهد مينا (3000 ق . م) ، كما أقام حكام الاسرة الثانية عشر سداً على يمين النهر، حيث استخدموا ـ بحيرة قارون ـ لتخزين مياه الفيضان والاستعانة بها فى مواسم الجفاف .

وقد ظل الرى بواسطة الأحواض سائداً حتى بداية القرن التاسع عشر، عندما شُيِّدت القنوات الكبيرة (الرياحات) ، ثم تبعها بعد ذلك إنشاء القناطر على فروع النيل المختلفة منذ عام 1861م حتى عام 1955م ، لكن هذه السدود أو القناطر لم تكن تتجاوز فى الارتفاع ما بين (2) إلى (4) أمتار ولم تكن جزءاً من خطة شاملة طويلة الأمد لتنظيم مياه النهر، وتوفير أفضل استخدام لها . ورغم ذلك فإن بناء هذه القناطر استغرق 65 عاماً ، كما أن تعلية خزان أسوان القديم بعد الانتهاء من بنائه عام 1902 تمت على مرحلتين حتى عام 1934م . ، ورغم أن خزان أسوان يُعد إنجازاً هائلاً فى ذلك العهد إلا أنه أقيم بشكل خاص لخدمة كبار ملاك الأراضى الزراعية الأغنياء ، وبهدف خدمة محصول القطن الذى يغذى مصانع " لانكشاير" البريطانية لكن حاجات مصر تجاوزت طاقات الخزان القديم . فهو كما اعترف المهندسون البريطانيون قاصر عن استيعاب أكثر من مخزون عام واحد من المياه ، مما يجعل كل ثروة مصر من المحاصيل الزراعية تحت رحمة حجم الفيضان المتقلب من عام لآخر ، فضلاً عن الحاجة الملحة التى بدأت تواجه مصر للتوسع الزراعى والخروج من مأزق تزايد السكان وثبات مساحة الأرض . ولذلك كانت هناك وسيلتان :

• الأولى : هى بناء مجموعة من السدود على طول نهر النيل ترتكز على بحيرة فيكتوريا كخزان للتحكم .

• والأخرى : كانت فكرة إنشاء ـ السد العالى ـ داخل الأراضى المصرية، و فكرة بناء السد كانت في الأصل فكرة مصرية ، الذى وضع خطوطها الأولى "أدريان دانينوس" (مهندس مصرى من أصل يونانى) .

قدم "دانينوس" مشروعه وتبنته حكومة الثورة خلال بضعة شهور من الدراسة . كان الاختيار الأول مرفوضاً منذ البداية فلم يكن أحد على استعداد لأن يقبل إخضاع مياه النهر ـ وحياة مصر كلها بالتالى ـ لنظام يسيطر عليه الآن الإنجليز عند بحيرة فيكتوريا . وكان "سير وليم ويلكوكس" المهندس البريطانى الذى بنى الخزان القديم يرى : أن بحيرة فيكتوريا هى مفتاح مصر ، وأن من يسيطر على البحيرة يمسك بمصائر مصر فى قبضته . وعلى العكس

من ذلك تماماً سيؤدى مشروع ـ السد العالى ـ إلى عدم جدوى أى إجراء معاد ، كالذى أشار إليه "ويلكوكس" وطالب به نائب فى مجلس العموم البريطانى عام 1956م ، عندما كانت بحيرة فيكتوريا لا تزال تحت سيطرة البريطانيين .

كان السد العالى : هو المشروع الحيوى الوحيد الذى يمكن أن يساهم فى توفير الغذاء لمصر إلى أن تتمكن من إنشاء دولتها الحديثة فتوفر بذلك الضمان الحقيقى للاكتفاء الذاتى والرخاء.

وبعد دراسة لمدة ـ عامين ـ قدمت شركة "هوشتيف ودورتمند" الألمانية الغربية مشروعاً لبناء سد يمكنه أن يختزن 130 ألف مليون متر مكعب من المياه مما يتجاوز طاقة الخزان القديم بست وعشرين مرة . وقدّرت تكاليف إنشاء السد والمشروعات التمهيدية والتكميلية من رى واستصلاح الأراضى وتعويض سكان النوبة وغيرها بحوالى 415 مليون جنيه استرلينى . وقدّرت المعونة الخارجية اللازمة لمصر بحوالى ثلث هذا المبلغ على شكل مهمات ومعونة فنية . كان المشروع رغم تكاليفه مربحاً على أى مستوى إذ قدرَ العائد السنوى للرى والملاحة والكهرباء بحوالى 255 جنيه استرلينى ، أى أن كل التكاليف يمكن تغطيتها خلال أقل من عامين . وذلك بخلاف عمليات التصنيع التى ترتبط بالسد بعد إنشائه .

وفى نفس الشهر الذى وقّع فيه ـ عبد الناصر ـ اتفاقية الجلاء مع بريطانيا ، أكملت شركة "هوشتيف" مشروعها ، الذى دعمّته أيضاً بموافقة مجموعة معروفة من الخبراء الأمريكيين والأوربيين . وبدأ البنك الدولى دراسة ما أسماه بقدرة مصر الاقتصادية على تحمُل تكاليف المشروع، ومدى الفوائد التى يحققها بعد إتمامه . أما مصر فلكى تؤكد قرارها لتنفيذ المشروع؛ فقد اعتمدت فى يونيو عام 1955م مبلغ 8 مليون دولار للقيام بالأعمال التمهيدية. وانطلقت شرارة البدء ببناء الطرق وخطوط السكك الحديدية ومساكن العاملين فى المنطقة المحددة لبناء السد .

وفى أغسطس من نفس العام أصدر البنك الدولى تقريراً مبدئياً لصالح الاقتصاد المصرى وقدرته على تنفيذ المشروع مما دفع العمل التمهيدى لخطوات أبعد . وبدا أن كل الأمور الخاصة بالمعونة الخارجية قد سُوّيت وأنه ليست هناك صعوبة فى الحصول على القروض الأجنبية والمعونة الفنية كما أعلن وزير الانتاج القومى فى ذلك الوقت .

وبالفعل حُددت العلامات البيضاء على الضفاف الصخرية للنهر الموقع النهائى للسد.. وأعلنت الشركات ـ الألمانية الغربية والفرنسية والبريطانية ـ عن تشكيل "كونسورتيوم" فى سبتمبر سنة 1955م للتقدم بعروض مشتركة لتنفيذ المشروع .

وظهر كما لو أن هناك خطأً ما فى التقدير أو التحليل . ذلك أن كل المشروعات الاقتصادية الكبرى والتى تغير وجه المجتمع و تنقله إلى مرحلة التصنيع لا تحظى أبداً بموافقة الرأسمالية الغربية ولا تستثير حماسها .

وقد كان جوهر الصراع بين مصر ـ كدولة شبه مستعمرة ـ وبين الرأسمالية الأوروبية والأمريكية هو أن تظل مصر مزرعة للمواد الخام وسوقاً للاستهلاك أو مجالاً حيوياً للشركات الصناعية الأجنبية . وكانت البورجوازية المصرية تنتزع بمعارك طويلة ومريرة بعض الفتات من أنياب الرأسمالية الغربية لتواجه بعدئذ منافسة قاتلة داخل السوق المصرى نفسه .فقد فشلت فى مصر كل المحاولات لإقامة محطة لتوليد الكهرباء فى أسوان لتطوير صناعات الغزل والنسيج

والأسمدة منذ عام 1912م ، رغم أن مصر لا تنتج أى أنواع الطاقة ورغم أن خزان أسوان القديم يعد مورداً هاماً (ومعطلا) لإنتاج الكهرباء بأرخص الأثمان .وحتى عندما حصلت مصر على شئ من الاستقلال عام 1937م تجمد مشروع كهربة الخزان بإيعاز من القوى التى كانت تملك مصائر مصر فى ذلك الوقت .ولم يُنفذ المشروع إلا بعد قيام الثورة .

لذلك فقد بدا من الغريب للوهلة الأولى أن يتحمس الغرب لمشروع فى ضخامة ـ السد العالى ـ بما له من أبعاد اقتصادية واجتماعية خطيرة كأول خطوة أساسية نحو مصر المستقلة اقتصادياً وسياسياً على الطريق الوحيد الصحيح . فقد كانت الخطة أن تظل مصر بلا صناعة وبلا جيش أيضاً . ولذلك فقد كان من بين أبرز أهداف الثورة تصنيع البلاد وإقامة جيش وطنى قوى .

ومنذ بدايات الثورة أكدت الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة بما لا يدع مجالاً للشك أن المهمة الأولى التي يجب أن تنهض بها الثورة هى تسليح وتنظيم جيش وطنى ، وإلا فإن كل ما يمكن أن تبنيه مصر للتنمية من مصانع ومدارس ومستشفيات ـ يظل نهباً للإسرائيليين ـ وتحت رحمتهم .

وعندما كانت الاستعدادات تجرى للاحتفال بعيد الثورة فى يوليو 1956م، تذكر الوثائق أن الصحفي ـ محمد حسنين هيكل ـ التقى بالرئيس "عبد الناصر" الذى قال له : إن موضوع خطابه سيكون " إن مصر ستبنى السد العالى حتى لو اضطررنا إلى بنائه بالمعاول " . فكتب هيكل : إن عبد الناصر كان لا يزال فى حالة تفكير عميق يبدو فيه أثر الغضب المكبوت ، وقال لى : "إن "دالاس وإيدن" كانا يخدعانا طوال الوقت . فقد ضغطا علينا من أجل الصلح مع إسرائيل ، وضغطا علينا لدخول الأحلاف، وطالبا بتمديد امتياز شركة القناة! ولكن كل ما أرادا تحقيقه هو زيادة نفوذ بلديهما" . وأستدرك الرئيس قائلا: "لكننا سنبنى السد العالى بأنفسنا وسنفعل كل شئ لجعله حقيقة واقعة" .

أعلن "عبد الناصر" تأميم القناة فى خطابه الشهير ، وانتزع بضربة واحدة حقوق الشعب المصري المهدرة ، وانتقم فى نفس الوقت لكل الإهانات التاريخية والمعاصرة ، واسترجع مصدراً مصرياً لتمويل مشروع السد العالى ، الذى أرادت الولايات المتحدة أن تقايض به على استقلال مصر .ونشبت الحرب ، بحجة حماية القناة المصرية من "مغتصبيها " المصريين . رغم أنهم كانوا يعدون لهذه الحرب ويستعدون لغزو مصر حتى لو لم يؤمم عبد الناصر القناة ، وخرجت مصر من حرب السويس أو العدوان الثلاثى ، الذى تم بتواطؤ من الولايات المتحدة لأمريكية ، وهى أكثر تصميماً على بناء السد العالى والاقتصاد الوطنى باندفاع أكبر ، وبأسلوب أفضل وبرؤيا أكثر وضوحاً .

"عبد الناصر" انتحى بالقائد "تشى جيفارا" جانباً وأسرَ إليه . عندما قابله فى القاهرة :

" لقد خضنا معركة من أجل السد العالى . كانت هناك رومانسية الثورة بأسرها والرومانسية الكاملة لمعركة كبرى ضد ثلاث دول . لقد تعرضت السويس للغزو بسبب السد العالى . ولكن كان علينا ، بعد انتهاء القتال ، أن نعكف على المهمة الحقيقية ، وقد اعتاد " دالاس" أن يقول لنا : إننا سنلعن اليوم الذى قررنا فيه بناء السد ، بسبب التضحيات التى سيفرضها على الشعب المصرى ، ولكن هذه هى الثورة . إن هذه التضحيات هى الثورة . الثورة هى العمل يوماً بعد يوم لحفر الأسس الصخرية ، وبناء الانفاق ، وتركيب الآلات ، فهذا ما يغيِّر المجتمع . إن قمة الفاعلية الثورية هى تجنيد الناس للقبول بالتضحيات اللازمة للبناء على الدوام" .

كان الاتحاد السوفييتى فى الحقيقة أول دولة عرضت على مصر تقديم المعونة لبناء السد العالى فى أكتوبر 1955م وكان هذا العرض ، إلى جانب صفقة الأسلحة ، هو الذى أثار - واشنطن ولندن - للتقديم بعرضهما المعروف لكن "عبد الناصر" لم يحاول استخدام العرض السوفيتى" لابتزاز" الغرب وإن كان قد أشار إليه فى حديثه مع مراسل نيويورك تايمز فى 2 أبريل 1965م بعد أن تجمعت لدى عبد الناصر كل الأدلة على نكوص الغرب عن وعوده، ومع ذلك كان حريصاً فى حديثه مع مراسل الصحيفة المذكورة أن يحدد أنه لا يذكر العرض السوفيتى للمعونة كتهديد أو تهويش ، " إن العرض السوفيتى كان عرضاً عاماً ، ونحن كحقيقة لم ندرسه بعد".

وفى 27 ديسمبر 1958م وقعت مصر والاتحاد السوفيتى على الاتفاقية التى تعهد الاتحاد السوفيتى بموجبها بتقديم المعونة الاقتصادية والفنية لمصر لبناء المرحلة الأولى من السد العالى، وبعد أقل من شهرين تم التصديق على الاتفاقية وشرع الاتحاد السوفيتى على الفور فى تنفيذ تعهداته . وبدأت الهيئات السوفيتية المختصة تعد الدراسات الأولية الخاصة بالمشروع ، ففى مارس عام 1959 قدمت أول جماعة من الخبراء السوفييت إلى القاهرة حيث زارت الموقع المقترح للسد فى أسوان ودرست بعض الأمور الفنية على الطبيعة .

يقول البروفيسور "كومزين" كبير الخبراء فى بناء السد العالى : "بعد أن تعرفنا على المنطقة التى سيقام فيها السد ؛ اقتنعنا بكل وضوح بأن مشروع شركات أوروبا الغربية تغرقه سلسلة من التفاصيل غير الضرورية ، والتى تستنفذ جهداً ومالاً كثيراً".

ويضرب البروفيسور "كومزين" مثلين للتعديلات التى أجراها السوفيت على المشروع الغربى: - الأول خاص بالأنفاق - والثانى خاص بالمحطة الكهربائية - . فقد صممت "الشركات الغربية" مشروع لانفاق تصريف المياه يبلغ طولها 15 كيلو متراً . بينما اقترح الأخصائيون السوفيت بناء ممرات مكشوفة لتصريف المياه لا يزيد طولها عن حوالى 2 كيلو مترات ، مع ستة انفاق ستوضع فيها البوابات لتنظيم المياه . وحدد المشروع الغربى إنشاء محطة كهربائية طاقتها حوالى 2 مليون كيلو وات على ضفة النيل اليسرى ، مما يقتضى القيام بالعمل على كلتا ضفتى النهر. بينما اقترح المصممون السوفيت بناء محطة طاقتها 2.1 مليون كيلو وات على الضفة اليمنى للنهر وعلى قناة التصريف المكشوفة ، ووفروا بذلك حوالى 13 مليون جنيه مصرى . وقام المشروع السوفيتى من البداية على أساس اتاحة الفرصة فى عام 1964م للحصول على بضع مليارات من الأمتار المكعبة من النيل للرى ، مما يعنى إرهاصة تحقيق عائد من مشروع السد قبل الانتهاء من إتمامه بست سنوات .

كان الوفد المصرى برئاسة "موسى عرفة" وزير الأشغال قد عاد من زيارة للاتحاد السوفيتى بعد أن التقى بالخبراء السوفيت ، وزار المشروعات السوفيتية المماثلة ، وشاهد نموذجاً مجسماً لتصميمات الخبراء السوفيت للمشروع المصرى . ، وبعد ان تحدث بالتفصيل عن مشاهداته أعلن بان مصر قررت دعوة الخبراء الغربيين للنظر فى المشروع السوفيتى . ، وتلقفت بعض صحف الاثارة الغربية تصريحات الوزير المصرى بطريقة سياسية لا علاقة لها بمشروع يناقش على أساس اقتصادى وفنى . ، وكان الهدف واضحاً منذ البداية ، فمادام الغرب لم يبنِ السد العالى ؛ فلا يجب أن يبنيه أحد .

ووصل إلى القاهرة وفد من الخبراء السوفيت برئاسة "كومزين" وعضوية "ماليشيف" نائب رئيس المهندسين فى مؤسسة "هيدروبروجيكت" (رئيس مهندسى تصميم سد أسوان) و "كاراتاييف"، و "جوركوف"، وذلك لمناقشة المشروع السوفيتى النهائى مع نظرائهم الغربيين والمصريين. وعلى مدى شهر لم يهدأ الجدل والنقاش فى وزارة الأشغال واللجنة العليا للسد العالى. حيث اشترك فيه أبرز الخبراء الأجانب من الغرب والشرق .

وفى النهاية اعترف الخبراء الغربيون ومن بينهم ـ ك. ترازجى، وشتراوب، و. أ. ستيل (الولايات المتحدة)، م. بروس (ألمانيا الغربية)، اكوين، وى ايشى (فرنسا) ـ بأفضلية المشروع السوفيتى. وأعلن خبراء آخرون إنه إذا كان الاقتراح السوفيتى بسد الحاجز الحجرى بالرمال على عمق 25 مترا تحت الماء ناجحا، فسيكون ذلك شيئا جديدا فى تبسيط وتقصير بناء سدود كبيرة كهذا السد .

وبعد أن تم الإتفاق بين الجميع صدّق الرئيس عبد الناصر على المشروع فى 26 يونيو 1959م وبدأ العمل، وفى صبيحة التاسع من يناير عام 1960م ضغط الرئيس "عبد الناصر" على زر أحمر، وفى الحال تفجرت عشرات الأطنان من الديناميت ليدوى و يصم الآذان. .وكان ذلك بدء المشروع الفعلى فى إنشاء المرحلة الأولى للسد العالى بعد أعوام من الدراسات والتصميمات والتعديلات، وكان ذلك بعد أن بدأت مختلف المصانع فى الاتحاد السوفيتى فى إنتاج المعدات العملاقة الخاصة بالعمل فى السد ، وكل ما يلزم للسد بعدئذ من آلات ميكانيكية ومعدات كهربائية وحاسبات إلكترونية وغيرها .

وفى الخامس عشر من يناير عقد "نوفيكوف" وزير المحطات الكهربائية السوفيتى مؤتمراً صحفياً فى القاهرة أجاب فيه عن أسئلة حول بناء المرحلة الثانية للسد ، وأعلن "نوفيكوف": أن الحكومة السوفيتية ستنظر بعين الود إلى أى طلب من حكومة مصر لتقديم عون سوفيتى مماثل لبناء المرحلة الثانية.

خروشوف لناصر :
نواصل تقوية علاقات الصداقة

. . . وفى خلال حديثكم مع وزيرنا أ. ت. نوفيكوف أبديتم رغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة رسميا فيما يتعلق بإشتراك الإتحاد السوفيتى فى بناء المرحلة الثانية من سد أسوان العالى "

وان حكومة الاتحاد السوفيتى التى درست رغبتكم - وكان رائدها فى ذلك مواصلة تقوية علاقات الصداقة بين بلدينا - تبدى موافقتها على الاشتراك فى إنشاء المرحلة الثانية من سد أسوان على نفس الاسس التى أتفقنا عليها عندما أشترك الإتحاد السوفيتى فى إنشاء المرحلة الأولى من هذا السد

ناصر لخورشوف :
نشعر بالعرفان الكبير لمساعدتكم

أن الرسالة التى حملها إلى اليوم وزيركم أ. ت. نوفيكوف فيما يتعلق بموقف الحكومة السوفيتية من بناء المرحلة الثانية من مشروع السد العالى هى ما يعزز هذا التقدير ويوطد أسبابه ودعائمه : ذلك أن شعبنا الذى يخوض الآن غمار معركة مجيدة من أجل تطوير بلاده ورفع مستوى معيشته يشعر بالعرفان الكبير لكل يد تمتد لمساعدته فى معركته المجيدة الكبرى.

وعن طريق "نوفيكوف" عرض الرئيس ـ عبد الناصر ـ اقتراحاً بأن يعاون الاتحاد السوفيتي مصر فى بناء المرحلة الثانية. ولم يستغرق رد الاتحاد السوفيتي أكثر من بضعة أيام. قال "خروشوف" رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي يومئذ فى رسالة إلى "عبد الناصر" فى الخامس عشر من يناير عام 1960م: "أصبح السد حقيقة بكل ما ستحمله هذه الحقيقة من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية فى المستقبل".

وهكذا، وبعد آلاف الكلمات من الافتراء السياسي "المبطن بأسانيد أو أكاذيب فنية" من جانب الولايات المتحدة والغرب ضد السد العالى، تغيّر الموقف فجأة وأصبح الاشتراك في بناء المرحلة الثانية ـ على الأقل ـ من جانب ـ الولايات المتحدة وألمانيا الغربية ـ هدفا يستحق أن تبذل من أجله الجهود الدعائية والإعلامية. وكشف الرئيس "أيزنهاور" أن الولايات المتحدة مستعدة للمساهمة فى بناء المرحلة الثانية من السد العالى، كما ذكر فى حديث إلى الصحفيين! وبدأت صحف نيويورك ـ كمن يطالب بحق ضائع ـ تتحدث عن ضرورة مساهمة البنك الدولى فى تمويل المرحلة الثانية من السد، وعرضت جمهورية ألمانيا الغربية تقديم قرض بمبلغ 200 مليون مارك ألمانى؛ (حوالى 25 مليون جنيه استرلينى) للمساهمة فى المرحلة الثانية.

وارتبطت زيارة "إيرهارد" مستشار ألمانيا الغربية ـ للقاهرة بالمباحثات حول المرحلة الثانية من السد، وبعد وصول الوفد السوفيتي إلى القاهرة أسرعت ألمانيا الغربية بزيادة القرض المقترح إلى 300 مليون مارك. وحتى "دالاس" مدير المخابرات الأمريكية وشقيق وزير الخارجية، أدلى بدلوه فى الموضوع لكن بطريقة رجل المخابرات الذى يخشى من التغلغل فى أفريقيا اذا ما انفرد الإتحاد السوفيتي بالمساعدة فى بناء السد! وكان وفداً من رجال الأعمال الأمريكيين قد وصل خصيصاً فى زيارة للقاهرة فى نفس الوقت، فأعلنوا عن استعدادهم للمساهمة فى بناء المشاريع المدرجة فى خطة السنوات الخمس لتصنيع مصر! لكن خبرة السنوات الماضية المريرة وكل التاريخ المصرى الحديث لم تكن تسمح للحظة واحدة بتصديق كلمة مما قيل.

وفى أغسطس 1960م انتهت المحادثات التفصيلية الخاصة باشتراك الاتحاد السوفيتي فى المرحلة الثانية، ووقعت فى السابع والعشرون من نفس الشهر اتفاقية المعونة السوفيتية لبناء المرحلة الثانية والنهائية للسد العالى.

كانت البداية شاقة. فلم يسبق للخبراء والمهندسين والعمال السوفيت ان بنوا سداً من السدود الكثيرة التى أنجزوها تحت حرارة تصل إلى 50 درجة مئوية. ولم يسبق للمهندسين والخبراء والعمال المصريين أن بنوا شيئاً بهذا المستوى من قبل. وكانت هناك عشرات بل مئات الصعوبات التى تتعلق بالموقع وطريقة نقل المعدات الجبارة والعمل عليها، وصعوبة اللغة الأخرى بالنسبة للمصريين والسوفيت على السواء، ولكن ظمأ البنائين المصريين إلى المعرفة كان عظيماً. فكانوا يسعون لإنجاز المشروع بأسرع وقت ممكن، وما أن بدأ العمل حتى أصبحوا يديرون أعقد الآلات بأنفسهم، وفى زمن قياسى. وكان السوفيت يعملون وفقاً لأفضل تقاليدهم القومية والاشتراكية.

إن الظاهرة المشتركة بين كافة الخبراء "السوفيت" الكبار. هى أنهم جميعاً اشتركوا فى الحرب وفى بناء أضخم المشروعات المائية والكهربائية فى الاتحاد السوفيتي، ثم فى البلاد الأجنبية. وتاريخ أى فرد منهم هو نفس تاريخ الاتحاد السوفيتي.. البناء ثم الحرب فالعودة إلى التعمير.

يقول أحد كبار الخبراء "رانتشنكو" "من وجهة نظر المعيشة أو الترفيه لم يكن العمل هنا ممتعاً بأي شكل من الأشكال. إننا نعمل هنا لا تدفعنا منافع كثيرة. إسألوا إذن ما الذى أبقانا هنا؟ أننا ننظر إلى العمل هنا كمسئولية هامة على حكومتنا، ونحاول أن ننجز هذه المهمة على أحسن شكل. ونحن نفهم جيداً أهمية العمل هنا .. إننا ندرك مسئوليتنا : إن الفائدة من بقائنا هنا هى نفسها التى تعود علينا من عملنا فى بلادنا. فنحن ندرك أهمية مساعدة العرب".

وفى ظل السد ، ومن خلال العمل الدؤوب والتحدى الشاق؛ ظهر ما أسماه الكتّاب والفنانون "بإنسان السد المصرى"، و برزت إلى السطح فضائل المصريين الذين ميّزتهم طوال آلاف السنوات ، وقدراتهم على العمل والبناء ، والجَلَد بلا حدود. ولم تهزم "البيروقراطية" المصرية التقليدية ذات الخمسة آلاف عام كما هُزِمَت فى أسوان ، وعلى أيدى مصريين



إستخدام العمال للرافعات والشاحنات السوفيتية لتفريغ الأسمنت أثناء بناء سد أسوان عام 1960



الرئيسان المصري جمال عبد الناصر والسوفيتي نيكيتا خروشوف في عربة مكشوفة تخترق شوارع العاصمة - القاهرة

من كبار الخبراء الذين قضوا عشرات السنين من قبل على المكاتب ، وعلى أيدى عمال من الشباب والكهول جاءوا من أعماق الريف ومن كل قرى ومدن مصر. ويقدم ثلاثة من أدبائنا الشبان الذين قضوا بضعة شهور مع العاملين فى السد؛ نماذج عديدة للمصريين الذين خلقوا من جديد مع المشروع الجبار فذكروا أن شيئاً غامضاً مسّ روحهم جميعاً وهم الذين درسوا فى أرقى الجامعات الأجنبية تجاه العمال الذين لم يروا شكل الحروف الأبجدية قبل التحاقهم بالعمل، وذكر بعضهم " إن أخطر خبرة اكتسبتها هنا هى فن قيادة الناس وقيادة العمل وتنوع طرق التشغيل ، لن تصدق لو عرفت أن سنى 22 سنة فقط ، أنا خريج فنون جميلة إسمى "حسن توفيق" ، المرحلة الأولى

(للسد) نجحت بسبب التعبئة السياسية الشاملة التى حولت السد العالى إلى رمز قومى ومعركة وطنية ممتلئة بالتحدى والإقدام والخوف من عدم الإنجاز، بالخسارة والبطولة كحرب كمعركة حياة.. سنة 1963م كان فيه خوف من الفيضان كان هناك سباق مع الزمن، لازم قناة التحويل تكون جاهزة، وكان معروف إن فى فيضان 1964م سيكون جامداً، وكان هذا أقسى اختبار، ... لابد من الصمود أو يجرف الفيضان كل شئ وكل ما بذل من مجهود، لكننا صمدنا أمام الاختبار القاسى وحدثت تضحيات غالية وحقيقية"، وفى رواية أخرى عن النماذج المصرية الأصيلة يقول صاحبها: " أنا كنت مساعد سباك فى إسنا، إسمى سعد محمود محمد باشتغل كهربائى فى النفق". وفى الرواية الثالثة قال صاحبها: "الأول كنت فلاح، كل ما أعرفه تعلمته فى السد، كل الناس اللى شايفهم هنا فى النفق كانوا فلاحين واتعلموا".

قبل أن ينتهى بناء السد العالى كان قد إستعاد تكاليف إنشائه. وذلك كما يقول أكفأ الخبراء المصريين. وكان قد تم إغلاق مجرى النهر فى 15 مايو عام 1964، ومن ثم بدأت الاستفادة من مشروع السد العالى بتحويل "تصرفات" النهر إلى القناة الصناعية التى أنشئت بالبر الشرقى،" وجاء فيضان عام 1964 خارقاً فى الإرتفاع "كما تقول دراسة للمهندس محمد عبد الرقيب وزير الرى الأسبق" فأمكن للسد أن يحتجز كميات المياه الهائلة الزائدة عن أقصى حد تستطيع البلاد مقاومته، ولولا ذلك لتعرضت مصر لمخاطر جسيمة لا يمكن تقدير مداها "لكن فيضان الأعوام 1965 و 1966 و 1968 و 1969، كلها كانت منخفضة بشكل ملحوظ، ولولا وجود السد العالى لتعذر ملء الحياض وتعذرت الزراعة بالتالى.

وفى 9 يناير عام 1968 أحتفل بتشغيل التوربينات الثلاثة الأولى من محطة توليد الكهرباء، وفى 23 يوليو عام 1970م تم تشغيل التوربين الثانى عشر وتمت أعمال السد والستارة القاطعة.


النصب التذكاري للصداقة المصرية السوفيتية بأسوان

وفى الخامس عشر من يناير عام 1971 أحتفل رسميا بإنتهاء العمل فى المشروع بحضور الرئيس أنور السادات والرئيس نيقولاى بودجورنى ، حيث أصدرا بيانا رسمياً عن إتمام بناء السد العالى فى موعده.

مرت ما يزيد عن ـ الستة عقود ـ على أكبر قصة كفاح مشتركة بين مصر وروسيا . مرت على أهم وأعظم مشروع شهده القرن العشرون ، خمسون عاما مرت على أكبر تحدى واجهته الإرادة المصرية ضد القيود والممارسات الاستعمارية الأجنبية ، مضت على أعظم ما خلفته أواصر الصداقة الروسية المصرية من إنجازات مرت على إنشاء أعظم مشروع هندسى فى القرن العشرين، وذلك وفق تصريح المفوضية الدولية للسدود والتى أقرت بعد فحصها لـ 125 سداً فى كافة أرجاء العالم ، بأن السد العالى يعد أعظم المشروعات المائية التى أقيمت في القرن العشرين ، وأن جميع المشروعات المائية التى أقيمت خلال القرن الماضى لا تضاهى هذا الإنجاز الضخم ، كما كشف التقرير الهندسى الذى أعدته هذه المفوضية : بأن السد العالى يتمتع بالمتانة والصلابة والقوة لما يحويه من نحو 43 مليون متر مكعب من المواد الأسمنتية وحديد وصخور ومكونات أخرى تمثل جسم السد الذى لايتأثر بضغط المياه أو بأية ضغوط أخرى لاحتوائه على كتل ركامية من الحجارة المتراصة والتي تمنع نفاذ المياه، وأيضا لتميزه بالمرونة ، كما كشف التقرير قدرة السد على مواجهة أى تهديدات أو مخاطر طبيعية ، إضافة لقدرته الكبيرة على تصريف المياه حيث بمقدوره تصريف 11000 متر مكعب فى الثانية الواحدة ، مما يعد من أعلى معدلات التصريف علي مستوى العالم . ويعد هذا التقرير وحده ، أو غيره من التقارير هو المكيال الذى نقدر به قيمة السد العالى بالنسبة للمصريين ، أو بالنسبة للشريك الروسى ، المساهم في بناء السد ، والذى وضع كافة إمكانياته لخروج مثل هذا المشروع العملاق للنور ، لكن الظروف والعوامل التي بنى خلالها السد العالى هى من عظمت من مكانته لكلا الشريكين .

الرئيس المصري جمال عبد الناصر والسكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي نيكيتا خروشوف يضغطان على زر تحويل مجرى النيل بالسد العالي في مايو 1964

بناء السد العالي .. قصة كفاح

قامت القيادة المصرية المتمثلة وقتها فى شخص الزعيم ـ جمال عبد الناصر ـ ، بمحاولات مضنية للبحث عن مصادر لتمويل بناء السد العالى، فتوجهت بطلب قروض لكل من ـ البنك الدولى وانجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ـ ، لكنهم جميعاً قابلوا الطلب المصرى بالرفض وبصورة



الرئيس المصري جمال عبد الناصر والسكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي نيكيتا خروشوف على أرض مجرى النيل في مايو 1964

مهينة ، وحتى بعد قبول جمال عبد الناصر الشروط الأمريكية التي تفرض قيوداً على طلب مصر لتنفيذ عملية السد العالى ، هذا القبول الذي لم يكن سوى قبولاً استراتيجياً لكى لا يترك جمال عبد الناصر للولايات المتحدة الأمريكية أية ثغرة تبرر بها كلاً من واشنطن أو البنك الدولى وكافة الدول الغربية الأخرى التى توجهت إليها مصر بطلبات قروض، تخليهم عن المساهمة فى تمويل بناء السد العالى .

الرفض الأمريكي لتمويل بناء السد

جاء الرد الأمريكي في بيان أصدرته وزارة الخارجية الأمريكية فى 20 يوليو 1956 ليحسم الموقف بالرفض القاطع، وكان نص هذا الرفض : "إن الولايات المتحدة أصبحت مقتنعة بأن الحكومة المصرية ليس فى استطاعتها أن تقدم الدعم المالى المحلى لتمويل السد، لأن تنفيذ هذا المشروع العملاق سوف يفرض على الشعب المصرى تقشفاً لمدة تتراوح بين 12 و15 سنة ، إن الشعب المصرى لا يستطيع أن يتحمل ذلك ، ثم إن الحكومة الأمريكية لا ترغب فى أن تتحمل مثل هذه المسئولية" .

آنذاك ، لم يتوان "جمال عبد الناصر" فى الرد على الولايات المتحدة الأمريكية وسائر الدول الغربية بإعلانه تأميم شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية ، وأفصح عبد الناصر عن العرض الذى قدمه الاتحاد السوفيتى وغير المشروط وبعقود طويلة الأجل وذات الفائدة المنخفضة.

العدوان الثلاثى على مصر بعد تأميم قناة السويس :

قامت كلا من ـ انجلترا وفرنسا وإسرائيل ـ بالعدوان الثلاثى على مصر فى 29 أكتوبر 1956م، وكانت نتيجته الفشل والتوحد فى الصف العربى ، فقد قطعت الدول العربية خطوط النفط التى

تمر عبر أراضيها والمتجهه إلى إنجلترا وفرنسا ، إضافة لقيام مصر بإغلاق قناة السويس ، مما وضع انجلترا وشريكتيها فرنسا وإسرائيل في موقف لا يحسدان عليه .

ولم يختلف الموقف العالمى كثيراً عن الموقف العربى حيث احتشدت آلاف من التظاهرات المنددة بالعدوان على مصر فى عدد كبير من الدول المستقلة والدول المستعمرة أيضاً ، بل وحتى فى الدول المعتدية وخاصة انجلترا وفرنسا وبطريقة أكدت للعالم كله أن الحرب ضد مصر ، إنما هى حرب من الدول الاستعمارية ، ولم تكن بإرادة شعوب هذه الدول ، لكن موقف الاتحاد السوفيتى من العدوان الثلاثى كان الأكثر صلابة ، وعزز باتفاقية بناء السد العالى ليسطر فى سجل التاريخ صفحات خالدة من المجد المشترك مع مصر، وفور قيام انجلترا وفرنسا وإسرائيل بالعدوان الثلاثى على مصر وجه الاتحاد السوفيتى إنذاراً بضرورة إيقاف الحرب ضد مصر فوراً وكذلك ضرورة الانسحاب من كافة الأراضى المصرية وبأقصى سرعة ، والا سيلجأ الاتحاد السوفيتى لاستخدام القوة النووية ضد هذه الدول ، وقد نص هذا الإنذار على" إن لندن وباريس ليستا بعيدتين عن مدى الصواريخ النووية السوفيتية" ، كما وجه الاتحاد السوفيتى إنذاراً خاصاً إلى إسرائيل و وصفها بأنها "تعبث على نحو إجرامى غير مسئول بمصير العالم وبمصير شعبها وتبذر بذور الكراهية لدولة إسرائيل فيما بين الشعوب الشرقية وهو أمر لابد أن يترك آثاره على مستقبل إسرائيل ويشكك فى وجود إسرائيل ذاتها كدولة" وقد ساهم هذا الموقف في إحراج كل من انجلترا وفرنسا وإسرائيل .

كيف سددت مصر نفقات السد العالي ؟

فى 27 ديسمبر عام 1958 ، وقعت مصر والاتحاد السوفيتى اتفاقية لتمويل المرحلة الأولى من إنشاء السد العالى والتى شملت البدء فى إنشائه والارتفاع ببنائه إلى أن يتم تحويل المياه إلى المجرى الجديد الذى تم إنشاءه خصيصاً لهذا الغرض ، كما نصت هذه الاتفاقية على أن يمنح الاتحاد السوفيتى لمصر قرضاً قيمته 400 مليون روبل أى ما يساوى 34.8 مليون جنيه مصرى ، بأسعار غدت آنذاك بثمن بخس ، لاستيراد المعدات والمهمات اللازمة لبناء السد العالى ، و التى لا تتوافر فى مصر ، وكذلك لتغطية نفقات الخبراء السوفيت العاملين فى بناء السد وبالطريقة التى يتفق عليها الطرفان ، كما نصت هذه الاتفاقية على سداد مصر للقرض على 12 قسطاً سنوياً اعتباراً من عام 1964 بفائدة قدرها 2.5 % سنوياً .

فى 27 أغسطس 1960 تم عقد اتفاقية لإتمام تمويل بناء السد العالى ، تمنح بمقتضاها مصر 900 مليون روبل (78 مليون جنيه مصرى) لاستكمال التصميمات وتوريد وتركيب البوابات والبحوث والدراسات ووحدات التوليد الكهربائية المائية والمعدات اللازمة لمشروعات الرى وما إلى ذلك من مستلزمات .

كما نص الاتفاق على أن يتم تسديد القرض على 12 قسطاً سنوياً بالتساوى ، على أن تبدأ بعد عام من تاريخ إتمام بناء السد العالى فى وضعه النهائى وإتمام محطة القوى الجاهزة لتوليد حوالى مليون كيلو وات ، على ألا يتأخر ذلك عن أول يناير 1970 وبالنسبة لبقية الأجزاء المتبقية من المشروع ابتدء من أول عام1969 ، فسيتم سدادها بنفس شروط الدفع بعد عام من تاريخ إتمام كافة هذه الأعمال على ألا يتأخر السداد عن أول يناير 1972 ، وبفائدة 2.5 % تسرى من تاريخ استخدام كل جزء من القرض على أن تؤدى خلال الشهور الثلاثة الأولى من العام التالى

للعام المستحق فيه الدفع.

قدم الاتحاد السوفيتى لمصر المعونة الفنية والمالية لبناء السد العالى الذي أصبح رمزاً للصداقة المصرية السوفيتية، وفي عام 1960 افتتحت رسمياً أعمال بناء سد أسوان العالى. وشارك في بناء السد والمحطة الكهرمائية خمسة وثلاثون الف شخص بينهم أكثر من ألفى خبير واخصائى سوفيتي.



صورة تذكارية لبعض المهندسين والعمال الروس والمصريين على أرض مجرى النيل عام 1960



خطاب الرئيس جمال عبد الناصر
من موقع السد العالى : أثناء الاحتفال بتحويل مجرى النيل فى 14 مايو سنة 1964



أيها الضيوف .. أيها المواطنون ..

فى هذه اللحظة الحاسمة والمجيدة من لحظات النضال والانتصار. أريد أن أبدأ بالتحية إلى كل أبطالنا الذين شاركوا فى الإرادة المصرية لتعيد بناء مصر من جديد بالعمل وبالكرامة.

إلى الرجال الذين وقفوا فى مطلع القرن التاسع عشر يرفعون رؤوسهم ضد استبداد الامبراطورية العثمانية ويتحدون ظلم المماليك وطغيانهم.

إلى الرجال الذين اقتحموا طاقات أولى الفكر الثورى المصرى، وأعادوا أتصاله بمجرى الحضارة العالية فى منتصف القرن التاسع عشر.

إلى الرجال الذين ألتفوا من حول أحمد عرابى، فى أول محاولة للثورة المسلحة ضد أسرة محمد على، وضد مؤامرات الدول الاستعمارية الكبرى. وضحوا بالدماء فى معارك الاسكندرية والتل الكبير.

إلى الرجال .. والنساء .. الذين تحملوا مسئولية الثورة الشعبية سنة 1919، كانوا وقودها .. وكانوا ضحاياها وتلقت صدروهم رصاص الاستعمار من الأمام، ثم وجدوا الرجعية تسرق منهم ثورتهم وتزداد ثراء على حسابهم بها.

إلى الشباب .. الذين سقطوا فى انتفاضة سنة 1935، وهم ينادون بالدستور والديمقراطية واذا بالرجعية الحاكمة تطعنهم بتوقيع معاهدة سنة 1936.

إلى زهرة شباب مصر الذين جادوا بالدم على أرض فلسطين الحبيبة فى محاولة يائسة لعرقلة قضية المؤامرة الكبرى ضد الأمة العربية لإقامة إسرائيل وسطها قاعدة للاستعمار ونقطة ارتكاز وتهديد.

إلى الرجال الذين خرجوا فى تصميم فجر يوم 23 يوليو يغيرون مجرى التاريخ فى بلادهم على أضواء الصباح الأولى .. يدفعون رؤوسهم ثمنا لتصميمهم يفجرون الثورة ويسجلون فى التاريخ: أن الجيل المعاصر من شباب مصر، رفض أن يستسلم وتمرد على الخضوع.

إلى الرجال .. والنساء .. والأطفال الذين صنعوا معجزة المقاومة ضد العدوان الثلاثى، فى منطقة قناة السويس، وفى معارك سيناء، وبورسعيد، وفى المدن التى تعرضت للغارات ليل نهار.

إلى الجنود البواسل الذين قاتلوا دفاعاً عن ثورة الشعب العربى فى اليمن، والذين تحركوا انتصاراً لثورة الشعب العربى فى الجزائر.

إلى الجماهير الصابرة، التى تحملت معارك الحرب النفسية والحصار الاقتصادى، ودفعت التكاليف الباهظة لعمليات التطوير والبناء.

إلى الطلائع العاملة من فلاحى مصر وعمالها وعلمائها ومثقفيها الذين أداروا قناة السويس بعد تأميمها .. وأنشأوا الصناعات الكبرى وتحملوا مسئوليات إدارتها .. وأضاءوا بحماستهم وفكرهم طريق المستقبل الجديد وضاعفوا الانتاج مرة ويضاعفونه الآن مرة أخرى.

إلى هؤلاء جميعاً (قبل أى حديث) تحية النضال والانتصار.

يا رجال مصر. يا رجال مصر .ويانسائها وأطفالها، هنا أمام الدنيا كلها، رمز حي لإرادتكم وتصميمكم ومقدرتكم على العمل وعلى النداء.

هنا بهذا - السد العالى - تذكار انتصاركم على كل اعتداء، وعلى كل الصعوبات.

هنا صورة رائعة لأحلامكم، صنعها العمل الذى يحرك الجبال، ويخضع الطبيعة لإرادة الإنسان مهما دفع من الدم والعرق، ليؤكد سيطرة الإنسان بروح ربه وهداه، على الحياة لتكون

شرفاً له وليكون شرفاً لها .

أيها الأصدقاء . أيها المواطنون .. ليست هناك بقعة من الأرض تصور المعركة العظيمة للإنسان العربى المعاصر ، فى أبعادها الشاملة ، كهذا الموقع الذى نقف أمامه على سد أسوان العالى .

هنا تختلط المعارك السياسية والإجتماعية والقومية والعسكرية للشعب المصرى .. وتمتزج كأنها كتل الأحجار الضخمة ، التى تسد مجرى النيل القديم وتخترق مياهه فى أكبر بحيرة صنعها الإنسان لتكون مصدراً دائماً للرخاء .

إن فلاح مصر قضى قرون الزمان الطويلة يحلم بالأرض ، والأرض - تحاصرها الصحراء من كل ناحية ، والأرض ينهبها الاقطاع ، وثروة مصر لم تكن موجهة إلى تطوير معظم مصر ،وإنما كانت كلها تتسرب إلى جيوب كبار الرأسماليين المستغلين ، ومعظمهم من الأجانب ، يتسترون وراء قلة قشرة رفيعة من المصريين.

وصناعة مصر ، لا تتحرك لخدمة الجماهير ، وانما تخدم الطبقات المالكة، وتفرض الثمن كله ضريبة على الطبقات العاملة ، وناتج العمل الوطنى ، لا يترك بعد النهب المنظم والاستغلال فائضاً يكفى ، لخدمات التعليم والصحة والمواصلات فضلاً عن خدمات التأمينات الاجتماعية .

وحين أخذت الإرادة الثورية المصرية على عاتقها تنفيذ مشروع السد العالى ضمن الخطة الثورية الكاملة للتطوير . كان ذلك كله فى ضميرها ووجدانها . كان الطريق إلى تخليص الأرض المصرية من سيطرة الأقطاع ، وكان فى أملها أن يخلصها من سيطرة الصحراء وتضيف إليها ما يقرب من نصف مساحتها القديمة . كانت تقيم الصناعات وتبنى محطات الكهرباء وكان أملها فى كهرباء السد العالى أن تضاعف مرة واحدة بعمل واحد ، كل طاقة الكهرباء فى مصر، ما كان موجوداً منها قبل الثورة ، وما أضيف إليها بعد الثورة ولقد وقف فى طريقها كل الذين كانت ترتبط مصالحهم بالأوضاع القديمة البالية ، وقفت الرجعية ضدها للتشكيك فى المشروع ، ثم فى قدرة الشعب المصرى على تنفيذ المشروع .. ثم وقف الاستعمار ضدها ، بكل الوسائل، لا يريد لسد أسوان العالى أن يرتفع من قيمته المادية كعمل وبكل قيمته المعنوية كرمز .

ولقد حاولت قوى السيطرة والاستعمار ، وناورت ، تقدمت للمساهمة فى المشروع لتركز على مساهتمها الآمال والخطط ، ثم تتخلى بعد ذلك فجأة ، فتنهار الآمال والخطط ، وكان التدبير أن تنهار الثورة .

أيها الضيوف .. أيها المواطنون ..

إن الشعب المصرى عاش أروع لحظاته وتحدى كل هذه التقديرات الخائبة فى الوقت الذى أنتظروا فيه أنهيار الآمال والخطط والثورة ، وتراجعها جميعاً أمام المفاجأة الغادرة ، قفز الشعب المصرى إلى الأمام وضرب ضربته الخالدة ، لتأميم قناة السويس يبنى بداخلها السد العالى بأسوان.

ولم تكن تلك هى المفاجأة الغادرة الأخيرة ، فلم تمض إلا شهور قليلة حتى أقبلت أساطيل الغزو وجيوشه ، تريد أن تقتحم شواطئ مصر وأجوائها لتحطم الإرادة الثورية المصرية التى أثبتت أنها أقوى من جميع أعدائها ، كانت فى وقفتها العظيمة تمثل الحياة ، وكان أعداؤها هم أعداء الحياة .

إن الإرادة الثورية المصرية ، حَركت أصلب حوافز المقاومة المصرية ضد العدو وحركت قوى الأمة العربية ، وهزت ضمير العالم وقوى السلام فى الكرة الأرضية بأسرها ، وتمكن ذلك كله من رد العدوان وقهره ، وتحطيم آماله وخططه وبقيت الآمال والخطط المصرية حية على الأرض المصرية تناضل ببسالة لكى تحقق ذاتها .

أيها الضيوف . أيها المواطنون ..

عندما أصل إلى هذا الحد لابد من أن أشير بالتحية إلى موقف الاتحاد السوفيتى ، فى مناصرة مصر وتأييدها بالفعل والعمل ، أن الاتحاد السوفيتى وقف مع مقاومتها ضد الغزو والعدوان ولم يكتف بذلك ، وإنما مد تأييده بعدها ، إلى آمالنا وخططنا فى بناء السد العالى وقدم لنا القروض والخبرة الفنية اللازمة لمساعدتنا فى السد العالى بمرحلتيه .

أن الاتحاد السوفيتى وقع معنا إتفاقتين لقرضين ، قيمتهما معاً ، مائة مليون جنيه ، ثلثها للمرحلة الأولى التى تم تنفيذها اليوم ، والثلثان للمرحلة الثانية التى بدأ تنفيذ بعض أعمالها بالفعل مع أعمال المرحلة الأولى . ليتم السد كله بمرحلتيه سنة 1968 محققاً كل نتائجه من الأرض الجديدة ، ومن طاقة الكهرباء ومن عملية التطوير الضخمة والعميقة التى تترتب عليها أبعادها الاقتصادية والاجتماعية .

لم تكن المسألة مسألة اتفاقيات ، ولكن روح تنفيذ الاتفاقيات كانت أهم من نصوصها أن سنوات طويلة من العمل المشترك قد أقامت صرحاً للصداقة العربية السوفيتية لا يقل عن صرح السد العالى قيمة ولا رمزاً إن الأخوة بين العمال والمهندسين العرب والسوفيت ماثلة فى كل تفاصيل هذا العمل الذى هو بغير جدال من أضخم الأعمال الانسانية فى عصرنا الحديث وأشهرها على الإطلاق ، وأبعدها صيتا فى الدور الذى لعبه فى تاريخ العالم الحديث .

لقد كان ـ السد العالى ـ هو محور معركة السويس العظيمة التى كانت أبرز نقط التحول فى المجال الدولى منذ الحرب العالمية الثانية وبداية لانطلاق حركة التحرير الوطنية الهائلة فى أفريقيا .

أيها الصديق العزيز "نيكيتا خروشوف" ..

إنى أوجه إليك هذه الفقرة من خطابى وأريد أن تسمعها معك شعوب الاتحاد السوفيتى ، بل إنه يهمنى أن تسمعها الدنيا كلها معكم من هنا .

إن شعب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ لن ينسى على الإطلاق ـ ومهما طال الزمن ـ الجهد الذى بذلته شخصياً فى عملية بناء السد العالى .. لقد توليت بنفسك أكثر من مرحلة من مراحل الاتفاق على اقامته ، وكانت حماستك له دائماً قوة لها أثرها بغير جدال فيما تراه من حدث الآن.

إن شعب ـ الجمهورية العربية ـ لن ينسى على الإطلاق ـ ومهما طال الزمن ـ التعاون الودى الذى قدمته حكومة الاتحاد السوفيتى فى مراحل الاتفاق والتنفيذ .

إن شعب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ لن ينس على الاطلاق ـ ومهما طال الزمن ـ العمل الخلاق الذى قام به المهندسون والعمال السوفيت فى معاهدة الدراسة والأبحاث فى الاتحاد السوفيتى وفى المصانع السوفيتية التى كُلفت بتنفيذ الآلات اللازمة للبناء .



إن شعب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ لن ينسى على الاطلاق ـ ومهما طال الزمن ـ روح النضال والمثابرة والصبر التى أبداها المهندسون والعمال السوفيت الذين شاركونا هنا في الموقع مع أخوتهم من المصريين فى عملية البناء.

إن هؤلاء الرجال أدوا عملاً باهراً فى ظروف طبيعية تختلف عما ألفوا .. كذلك فإن زوجاتهم وأطفالهم الذين صحبوهم إلى هنا فى أسوان وعاشوا معهم هذا العمل هم شركاء للرجال العاملين ـ بالحق فى تقديرنا ـ .

إنكم جميعاً أيها الصديق العزيز : كنتم معنا فى أعز أحلامنا .. وكنتم معنا فى أكبر جهد ما هو صنعه نضالنا من أجل تطوير الحياة . أنكم بهذا الموقف أقمتم على أرض العرب .. وعلى أرض أفريقيا جسراً للصداقة بين الشعوب والقارات وأكدتم تضامن الثورات الأصيلة المكافحة كلها من أجل حياة أفضل لجماهير الشعب.

يا بناة السد العالى فى هذه المناسبة ..

باسم شعب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ أتقدم إليكم بالشكر والعرفان على العمل الكبير الذى أقمتموه.

يا بناة السد العالى ..

باسم شعب الجمهورية المتحدة أتقدم بالشكر والعرفان إلى ـ وزير السد العالى محمد صدقى سليمان ـ .. على ما بذله .. وعلى المثل الأعلى الذى ضربه فنفذ السد العالى فى أوقاته المحددة .. وكانت صحف الاستعمار تقول : أن السد العالى يتعثر فى الطريق.

يا بناة السد العالى ..

باسم شعب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ أتقدم بالشكر والعرفان إلى السيد "الكسندروف" الخبير السوفيتى .. الذى عمل بشرفٍ وإخلاصٍ حتى تحقق هذا العمل الكبير.

يا بناة السد العالى ..

باسم شعب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل فرد فيكم لأنه أدى واجبه أمام الله وأمام الوطن وأمام الضمير.

أيها الأصدقاء .. أيها المواطنون .. تحت الظلام الذى فرضته الغارات أثناء معركة السويس .. وفى الخنادق ووسط المعارك العسكرية والاقتصادية والنفسية كانت أغنية الرجال والنساء

والأطفال من أبناء مصر بأنهم سوف يبنون السد .

يا رجال مصر ونساءها وأطفالها ..

لقد تحققت المعجزة وبنيتم السد أن الله منحكم الشجاعة على الصمود ومنحكم القدرة على العمل . إننا الآن ننظر إلى المعجزة أمامنا ونقول كما قلنا دائماً بعد كل انتصار الحمد لله.

أيها المواطنون ..

سيروا على بركة الله والله الموفق والسلام عليكم .

مقتطفات من خطاب الرئيس أنور السادات
فى المؤتمر الشعبى بأسوان

إن دور الإتحاد السوفيتى فى هذا العمل العظيم لا يحتاج منى إلى مقارنة بدور سواه. ولكن المكان هنا والمناسبة الآن والجو المحيط بنا والشواغل التى تلح علينا تفرض إشارة إلى هذه المقارنة. كان هنا على هذه الأرض تعهد أمريكى بالمساعدة فى بناء السد العالى ولكن الذين قطعوا على أنفسهم هذا العهد كانوا هم الذين كسروه ونقضوه وتصوروا بذلك أنهم قادرون على أن يهزوا ثقة أمتنا بنفسها وبأحلامها وقيادتها الثورية وآمالها فى التطور والثورة.

توجه جمال عبد الناصر إلى الإتحاد السوفيتى. لم يكن الإتحاد السوفيتى مقيداً بإلتزام ولا بوعد مع ذلك تقدم وتم بناء السد العالى.

إن الوعد الأمريكى المكسور لم يكن أول وعد ولا آخر وعد قطعه ثم نقضه أصحابه .. والدعم السوفيتى لنا فى بناء السد العالى لم يكن أول ولا آخر دعم قدم لنا أو بالأصح قدم تعبيراً عن آمال الحرية والسلام للشعوب المتطلعة إليهما والمتمردة على الإستغلال الإستعمارى والقهر الإمبريالى.

إن الوعود الأمريكية المكسورة والمنقوصة فى كل ناحية لم يكتف أصحابها بكسرها ونقضها فقط ولكنهم تمادوا فيما هو أكثر من ذلك ووقفوا بالعمل موقفاً معادياً لكل ماحاولوا تزيينه بالقول ..

إن وعد أمريكا المكسور المنقوض فى السد العالى حلقة فى سلسلة مستمرة بما لايترك أمامنا إلا مجالا للإعتقاد بأن ما نحسه هو خط سياسى أمريكى مرسوم يعادى آمال الأمة العربية، ويهدد تطلعاتها المشروعة فى تطور سلمى يبنى للحياة ولا يستنزف نفسه فى الحرب.

إن كل وعد أمريكى مكسور ومنقوض يقابله - أيها الأخوة - وعد سوفيتى تحقق أو هو فى سبيل التحقيق. فى كل المجالات أمل وعمل ، فى الصناعة فى إستصلاح الأراضى فى مد شبكات الكهرباء. فى السلاح فى التدريب. فى المساندة السياسية اللامحدودة واللامشروطة لأنها واثقة من أن موقفها شركة فى الدفاع عن الحرية وفى الدفاع عن السلام.

إن السد العالى معركة تمت واكتملت بالانتصار .. والانتصار هو انتصار الأحرار .. وانتصار الإرادة ، وانتصار للجهد العلمى المنظم .. وانتصار صداقة الحرية والسلام.

إننى أريد أن أحيى مرة أخرى قيمة الصداقة العربية السوفيتية ممثلة فى الصديق "نيكولاى بودجورنى" .. وفى نفس الوقت أحيى أصالة هذه الصداقة العربية السوفيتية واستمرارها وأحيى مرة أخرى عمق مشاعرنا تجاه أخوة لنا وأصدقاء.

كما أننى لابد لى أن أشيد بالجهد المشترك للعمال والمهندسين العرب والسوفيت ذاكراً أن الأصدقاء العرب والسوفييت مازالت أمامهم منجزات أخرى.

إننى أريد أن أحيى مرة أخرى الصداقة العربية السوفيتية العظيمة مجدداً ومؤكداً أنها شركة فى الكفاح من أجل الحرية والسلام وضد الاستعمار والعدوان .. صداقة النضال .. صدقة الكفاح من أجل انتصار الحق.

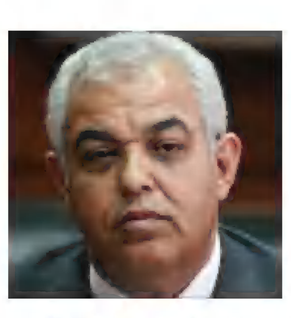


شهادات عن السد



المهندس الاستشاري
ممدوح حمزة

السد العالى سليم بنسبة 100 ٪ ولو وجهت له ضربة بقنبلة ذرية فلن يتأثر، وأضاف أن عامل الأمان فى السد 2.3 ٪ فى حين أن معدل الأمان المسموح به عالمياً 1.5 ٪، كما أنه أعظم السدود الركامية ويحتوى على ستار مانع لتسرب المياه ولا يتأثر بالزلازل . ومعدل الأمان ضد الزلازل بالسد 1.8 ٪ بينما المعدل العالمى 1.1 ٪ .



وزير الموارد المائية والرى الأسبق
الدكتور محمد نصر الدين علام

أكد وزير الموارد المائية والرى الأسبق الدكتور "محمد علام" أن الإحتفاء بالسد العالى يأتى عرفانا من أبناء الوزارة بما قدمه السد لارض الكنانة من عطاء دائم على مدى نصف قرن من الزمان وفى مقدمتها وقاية مصر من غوائل الفيضانات المدمرة والتى تكررت خلال اعوام (1964 ـ 1975 ـ 1988 ـ 1999 ـ 2000 ـ 2001) علاوة على حماية البلاد من أهوال الجفاف فى ظل توالى فيضانات ضحلة على مدار 9 سنوات ما بين عامى 1979 و 1988 تم خلالها سحب اكثر من 70 مليار متر مكعب من بنك مصر المائى «بحيرة ناصر» كما أن السد أضاف أكثر من 2 مليون فدان إلى خريطة الاراضى الزراعية ، فضلا عن انتاج الاف الملايين من الطاقة الكهربائية التى ساهمت فى تحقيق تنمية اقتصادية .

وأضاف علام : أن السد العالى يعد بمثابة المحرك الأساسى لقاطرة التنمية الشاملة والمستدامة بدءا من تحويل رى الحياض إلى رى دائم ، والمضى قدما فى تنفيذ المشروعات القومية العملاقة فى مجال التوسع الافقى بالدولة وعلى رأسها استصلاح واستزراع ما يزيد عن مليون فدان بمشروعى ـ توشكى وترعة السلام ـ والخروج من ضيق الوادى القديم إلى آفاق التعمير فى رحاب الصحراء مع مطلع الألفية الثالثة.



وزير الموارد المائية والري الأسبق
الدكتورحسين العطيفي

اكد الدكتور حسين العطيفي وزير الموارد المائية و الري الأسبق : أن السد العالي يعد من أعظم و أفضل 10 سدود عملاقة أنشأت على مستوى العالم حتي الآن وقادر علي تحمل جميع الظروف المناخية القاسية و اعلي درجات الزلازل و ان السد العالي هو الوحيد الخالي من أي نقد هندسي أو إقتصادي أو إجتماعي و ذلك شهادة و إشادة جميع المؤسسات و الخبراء الدوليين المتخصصين في انشاء السدود الكبرى نافيا ما نشرته بعض الصحف مؤخرا من وجود أي شروخ او أي عطب بجسم السد العالي أو في أحد أجزائه. و شدد العطيفي على أن السد العالي كان و لا يزال وسيظل صمام الأمان و أساس التنمية المستدامة في مصر مؤكدا انه يعيش حاليا في فترة شبابة و قادر علي الاسهام و بفاعلية و بكفاءة كبيرة علي تحقيق التنمية المستدامة المنشودة زراعيا واقتصاديا و صناعيا في مصرنا العزيزة و تحسين مستوي معيشة المواطنيين و تطبيق العدالة التي اتسمت و قامت عليها ثورة 25 يناير.



المهندس سعد نصار
رئيس جمعية بناة السد

وقد سجل المهندس سعد نصار - رئيس جمعية بناة السد العالي - : إن السد حقق الكثير من الإيجابيات منذ إنشائه، حيث يحافظ علي حصة مصر السنوية من مياه النيل والتي تقدر بنحو 5،55 مليار متر مكعب بالإضافة إلي تحويله لنحو 900 ألف فدان من ري الحياض إلي الري الدائم فضلاً عن حمايته مصر من أخطار الفيضانات المدمرة خلال الأعوام 64 و67 و75 و88 و2000 كما أنه حمي مصر من مخاطر الجفاف خلال الأعوام من 1972 إلي 1979.

وقال "اوتو كيرشمار"، استاذ الهندسة الهيدروليكية في الجامعة التقنية في دارمشتادت الالمانية : إن السد العالي في مصر واحد من أكبر ثلاثة سدود في العالم.

يبلغ طول هذا السد 3600 متر، وعرض قاعدته 980 مترًا، وعرض قمته 40 مترًا، وارتفاعه 100 متر، استخدم في بنائه 43 مليون متر مكعب من الإسمنت والحديد والمواد الأخرى.

ويتحكم السد بنحو 165 مليار متر مكعب من المياه، وبتقنية تسمح بمرور 11,000 متر مكعب في الثانية الواحدة، الامر الذي يتيح توليد الكهرباء على أعلى مستوى.

وهذا السد من النوع الركامي، ومزود بنواة صماء من الطفلة وستارة رأسية قاطعة للمياه. منسوب قاع السد 85 مترًا، ومنسوب القمة 196 مترًا. أما طوله بالمجرى الرئيسي للنيل 520 مترًا وعمق ستارة الحقن الرأسية 170 مترًا.

يبدو أن الرئيس المصري الراحل - جمال عبد الناصر - ما زال محظوظًا. فهذا الرجل الذي انحاز إلى الفقراء وتبنى بناء مشاريع عملاقة، ووضع اسساً صحيحة لعدد من المشاريع والاستثمارات الاقتصادية والصناعية كانت اللبنة الاولى لبداية نهضة طموحة، أراد بها عبد الناصر أن يحقق لمصر مكانة عالية على الرغم من التحديات والصعوبات التي كانت تواجهه في تلك الايام.

تبدو مفارقة الإحتفال بالسد العالي بعد مرور عقود عديدة على إنجازه غريبة. فبعد كل هذه السنوات، ما زالت مصر تبحث عن مشروع قومي تلتف حوله.

وعلى الرغم من أن ـ عبد الناصر ـ تحرر من القيود وانطلق كالمارد يبني بلده، نجد أن حكام مصر الجديدة يلجأون لحل الأزمة الاقتصادية بالاقتراض من صندوق النقد الدولي، ولا يبدون أي اهتمام بإقامة المشاريع الوطنية العملاقة.

وقد وصلت التكلفة الإجمالية لبناء السد العالي مليار دولار، شطب الاتحاد السوفيتي ثلثها فيما ما بعد، واقفًا إلى جانب مصر وساعدها في بناء هذا الصرح الضخم، إذ عمل فيه 400 خبير روسي و34 الف عامل مصري.

و يقول كيرشمار: "كانت سن العمال تتراوح بين 13 و 75 عامًا، وكان أجر العامل آنذاك 25 قرشًا في اليوم الواحد، اي ما يعادل يورو ونصف في ذلك الوقت الذي كان الجنيه المصري مرتفع القيمة".

يقول كيرشمار إن عبد الناصر بنى السد ليزيد مساحة الرقعة الزراعية في مصر بنسبة 25 في المئة، إضافة الى رفع نسبة زراعة المحاصيل الزراعية اثنين أو ثلاثة في السنة، ثم حماية مصر من الفيضانات التي كانت تهددها في كل عام، ومن الجفاف، والعمل على توليد الكهرباء. هذا ما اكدته التقارير الهندسية الدولية التي اجمعت كلها على أن السد العالي تفوق على 122 مشروعًا عملاقًا في العالم، بما حققه من فوائد للجنس البشري، إذ وفر لمصر رصيدها الاستراتيجي من المياه بعد أن كانت مياه النيل تذهب سدى في البحر، عدا خمسة مليارات متر مكعب يتم احتجازها.

اما بالنسبة للطاقة الكهربائية، فتوجد الكهرباء عند مخارج الأنفاق في السد، حيث يتفرع كل نفق إلى فرعين، مركب علوي وسفلي، على كل منهما توربينة لتوليد الكهرباء. عدد التوربينات 12 توربينة، وقدرة التوربينة 175 الف كيلووات، لتصبح القدرة الإجمالية للمحطة 2.1 مليون كيلووات، أي أن الطاقة الكهربائية المنتجة تصل إلى 10 مليارات كيلووات ساعة سنويا.

توفي ـ عبد الناصر ـ قبل افتتاح السد العالي في 28 (سبتمبر) 1970، الذي بقي شاهداً على أحد أهم انجازات الرجل. وعلى الرغم من محاولات التشكيك و الانتقادات التي وجهت الى السد من ناحية إضعافه خصوبة الارض الزراعية وتهجير مئة ألف نوبي في جنوب مصر بعيداً عن أراضيهم، بعدما اغرقتها مياه بحيرة ناصر التي يصل طولها إلى 500 كيلومتر وعرضها إلى 10 كيلومترات وسعة تخزينها الكلية الى 162 مليار متر مكعب، يبقى السد العالي علماً كأهرامات مصر الخالدة.

السد العالى في أرقام

- بدأ تنفيذ المشروع فى 9 يناير 1960 .
- إنتهت مرحلته الأولى فى منتصف مايو 1964 بتحويل مياه النهر إلى قناة التحويل .
- فى منتصف أكتوبر 1967 إرتفع جسم السد إلى منسوب 172 متراً ، وانطلقت الشرارة الأولى من محطة كهرباء السد العالى .
- فى منتصف يوليو 1970 إكتمل المشروع .

البيانات الفنية :

السد العالى بناء عملاق من رخام الجرانيت والرمال والطمى ، تتوسطه طبقة صماء من الطين الأسوانى ، تتصل فى الأمام بستارة أفقية قاطعة للمياه ، هو سد يقفل مجرى النيل على مسيرة نحو 7 كيلومتر إلى الجنوب من سد بأسوان القديم ويحول المياه إلى مجرى جديد عبارة عن قناة مكشوفة تتوسطها أنفاق متصلة فى نهايتها بمحطة كهرباء ، مزودة باثنتى عشرة وحدة . وتكون المياه محجوزة أمام السد العالى في بحيرة شاسعة عميقة ، تبلغ سعتها 164 من الأمتار المكعبة ، منها 30 مليار لإستيعاب الطمى بعد استمرار رسوبه لعدة قرون ، و 37 مليار لمواجهة الفيضانات العالية و 97 مليار تمثل السعة الحية للخزان التى تضمن تصرفاً سنوياً ثابتاً مقداره 87 مليار من الأمتار المكعبة يخص مصر منها 55.5 مليار ، و يخص السودان 18.5 مليار ، والباقى وقدره 10 مليارات يمكن أن يُفقد من حوض الخزان بالتبخر والتسرب .

السد :

عرض مجرى النهر عند موقع السد	520 متراً
طول السد عند القمة	3820 متراً
أقصى ارتفاع للسد	111 متراً
عرض قاعدة السد	980 متراً
عرض الطريق فوق السد	40 متراً

البحيرة :

طول البحيرة	500 كيلومتر
متوسط عرض البحيرة	11.8 كيلو متر
مساحة سطح البحيرة	5900 كيلو متر مربع
أقصى سعة للتخزين فى البحيرة	164 مليار متر مكعب

مجرى التحويل :

الطول الكلى لمجرى التحويل	1950 متراً
طول القناة الأمامية المكشوفة	1150 متراً
طول الأنفاق شاملاً محطة توليد الكهرباء	315 متراً
طول القناة الخلفية المكشوفة	485 متراً
طول النفق	282 متراً
عدد الأنفاق	6 أنفاق
أقصى تصرف يمكن تمريره بمجرى التحويل	11000 م3 /ث2
القطر الداخلى للنفق	15 متراً

محطة توليد الكهرباء :

مجموعة القوة المركبة	2.1 مليون كيلوات
عدد الوحدات الكهربائية	12
قوة كل وحدة	175.000 كيلوات
الضاغط التصميمى	57.5 متر

المزايا الاقتصادية :

المعروف أن مشروع السد العالى يعد من المشروعات الفذة ذات الأغراض المتعددة ، فهو لا يوفر الماء للتنمية الزراعية فحسب ، ولا يوفر الطاقة الكهربائية للتنمية الصناعية فحسب ، ولكنه - بالإضافة إلى ذلك - يحمى البلاد من كوارث الغرق لو دهمها فيضان كفيضان عام 1878 ، أو كوارث الجفاف لو دهمها صيف كصيف عام 1914 . وفيما بين الثروة الشاذة فى الإرتفاع والشاذة فى النضوب تأتى فيضانات لا تقوى البلاد على مجابهتها لولا وجود السد العالى .

ويمكن ان نُجمل مزايا السد العالى فيما يلى :

- التوسع الزراعى أفقياً فى مساحات جديدة جملتها نحو 1.3 مليون فدان .
- تحويل أراضى الحياض بالوجه القبلى إلى نظام الرى الدائم فى مساحات جملتها نحو 973.500 فدان .
- ضمان احتياجات الرى لجميع الأراضى المزروعة فى كافة السنين مهما قل الإيراد الطبيعى للنهر .
- ضمان التوسع فى زراعة الارز كل عام .
- وقاية البلاد وقاية كاملة من أخطار الفيضانات العالية أو المنخفضة .
- تحسين الصرف فى الأراضى الزراعية .
- توليد طاقة كهربية تقدر بنحو 10 مليار كيلوات ساعة فى السنة .
- تحسين اقتصاديات محطة كهرباء سد أسوان .

التسلسل التاريخي
لعبد الناصر والسد العالى

24 اكتوبر 1953	اجتماع لمجلس قيادة الثورة يحضره نائب الرئيس " البكباشى جمال عبد الناصر " وعدد من ضباط القيادة تم خلال الاجتماع بحث تنفيذ المشروعات الكبرى منها مشروع السد العالى .
18 نوفمبر 1953	نائب الرئيس "البكباشى جمال عبد الناصر" يجتمع مع بعض أعضاء مجلس الانتاج لبحث مشروع السد العالى .
18 يوليو 1954	رئيس الوزراء جمال عبد الناصر يقوم بزيارة تفقدية إلى مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان وأعمال البحث فى مكان إقامة السد العالى.
10 اكتوبر 1955	رئيس الوزراء جمال عبد الناصر يقوم بزيارة تفقدية إلى مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان وأعمال البحث فى مكان إقامة السد العالى.

التاريخ	الحدث
2 نوفمبر 1955	الرئيس جمال عبد الناصر يرأس اجتماع لجنة التخطيط لبحث مشروع السد العالى ومسألة تمويله ، ويستقبل فى مكتبه بدار الرئاسة السيد "إبراهيم عبد الله الفضل" سفير السعودية.
3 ديسمبر 1955	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع فى مكتبه بدار الرئاسة بقائدي الجناح : جمال سالم نائب رئيس الوزراء و حسن إبراهيم وزير الإنتاج ؛ لبحث مسألة تمويل السد العالى والمباحثات الخاصة بالبنك الدولى.
9 ديسمبر 1955	"أيزنهاور" يبحث مشروع السد العالى فى اجتماع سرى مع كبار مستشاريه.
13 ديسمبر 1955	البنك الدولى للإنشاء والتعمير يوافق مبدئياً على إقراض مصر 200 مليون دولار لتمويل مشروع السد العالى، وموافقة الحكومة الأمريكية على إقراض مصر مبلغاً مماثلاً
15 ديسمبر 1955	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع فى مكتبه بدار الرئاسة بالسير "همفرى تريفيليان" السفير البريطانى فى القاهرة، ويتباحث معه بشأن مسألة السودان . كما يستقبل السيد "هنرى بايرود" السفير الأمريكى ويتباحث معه بشأن تمويل السد العالى.
22 ديسمبر 1955	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع بالدكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية والاقتصاد، ويستعرض معه نتائج مباحثاته فى أمريكا وبريطانيا عن مشروع السد العالى.

1 يناير 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع بالسفير البريطانى فى القاهرة السير "همفرى تريفليان"، حيث تناولا رأى مصر فى المباحثات الأخيرة التى جرت فى واشنطن ولندن بين مصر وكل من أمريكا وبريطانيا لتمويل مشروع السد العالى.
8 يناير 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع بالسيد "يوجين بلاك" مدير البنك الدولى للإنشاء والتعمير بحضور الدكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية؛ وذلك لبحث موضوع تمويل السد العالى.
30 يناير 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع بوزير المالية عبد المنعم القيسونى ووزير الإنتاج حسن إبراهيم؛ وذلك لبحث موضوع تمويل السد العالى، ويجتمع برؤساء البعثات الدبلوماسية المصرية فى الدول العربية؛ لبحث نتائج مؤتمر سفراء مصر بالبلاد العربية.
6 فبراير 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع بالدكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية والاقتصاد؛ لعرض نتائج مباحثاته مع السيد "بلاك" مدير البنك الدولى لتمويل السد العالى.
9 فبراير 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع بالسيد "يوجين بلاك" مدير البنك الدولى؛ لبحث تمويل السد العالى، وقد حضر الاجتماع عدد من المسئولين المصريين ومسئولين من البنك الدولى.
13 فبراير 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع بعضو مجلس إدارة البنك الدولى للإنشاء والتعمير ـ الباكستانى "محمد شعيب" ـ لبحث تمويل السد العالى، وقد حضر الاجتماع عبد المنعم القيسونى وزير المالية.

التاريخ	الحدث
2 ابريل 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يُدلى بحديث إلى صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية؛ تناول فيه العرض السوفيتى لتمويل السد العالى، والصراع العربى-الإسرائيلى.
18 مايو 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يدلى بحديث إلى محطة إذاعة كولومبيا الأمريكية تناول فيه مسألة تمويل السد العالى.
20 يوليو 1956	بيان من الخارجية الأمريكية يؤكد انسحاب الولايات المتحدة من الاشتراك فى تمويل السد العالى، والبنك الدولى يسحب عرضه للتمويل أيضاً.
24 يوليو 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يلقى كلمة أثناء افتتاح معمل تكرير البترول بالقاهرة، يفند فيها مزاعم واشنطن بشأن مشروع السد العالى وتمويله.
1 أغسطس 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يقرر استئناف العمل فوراً فى الأعمال التخطيطية اللازمة لمشروع السد العالى.
18 أكتوبر 1956	الرئيس جمال عبد الناصر يدلى بحديث لجريدة "نيويورك تايمز" تناول مساعدة روسيا لمصر لبناء السد العالى، وأزمة قناة السويس.

13 يناير 1958	الرئيس جمال عبد الناصر يصدر قراراً جمهورياً باعتماد أحكام اللائحة العامة لهيئة السد العالى.
18 يناير 1958	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل وفداً من مؤسسة الصناعات الثقيلة فى ألمانيا الغربية، ووفداً يابانياً إقتصادياً، وقد حضر المقابلة المهندس سمير حلمى سكرتير هيئة السد العالى.
23 أكتوبر 1958	الرئيس جمال عبد الناصر يأمر بالبدء فى مشروع السد العالى بعد أن أعلن "خروشوف" أن الاتحاد السوفيتى سيقدم قرضاً 400 مليون روبل للمساهمة فى تمويله.
29 أكتوبر 1958	الرئيس جمال عبد الناصر يصدر قراراً جمهورياً بإنشاء اللجنة العليا للسد العالى.
11 نوفمبر 1958	الرئيس جمال عبد الناصر يصدر قانوناً باختصاصات اللجنة العليا للسد العالى ، ويستقبل السيد "أميليو كوريتس جيل" رئيس جمهورية المكسيك السابق.
29 نوفمبر 1958	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد "بيتر نيكيتين" نائب رئيس لجنة العلاقات الاقتصادية الخارجية بالاتحاد السوفيتى، والسيد "ريتشارد جيتنار" الممثل التجارى لألمانيا الشرقية فى الدول العربية، ويستقبل بعثة الخبراء الروس للسد العالى.

الحدث	التاريخ
الرئيس جمال عبد الناصر يشير إلى أن مشروع الوادى الجديد سوف يكون له الأولوية الثانية بعد مشروع السد العالى.	24 ديسمبر 1958
الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد "أميتر نيكتين" رئيس وفد الخبراء السوفيت فى مباحثات السد العالى؛ بحضور السفير السوفيتى بالقاهرة ، كما يستقبل السيد مصطفى حمدون وزير الإصلاح الزراعى للإقليم السورى.	28 ديسمبر 1958
الرئيس جمال عبد الناصر يتبادل الرسائل مع "نيكيتا خروشوف" رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى؛ بمناسبة توقيع اتفاقية بناء السد العالى.	1 يناير 1959
منظمة اليونسكو توافق بالإجماع على مشروع إنقاذ آثار النوبة من الغرق بمياه السد العالى التى ستغمر المنطقة بعد تنفيذ المشروع.	11 يونيو 1959
الخبراء العرب للسد العالى ينتهون من تحديد موقفهم النهائى من التعديلات التى اقترحها الخبراء الروس لإدخالها على المشروع.	24 يونيو 1959
الرئيس جمال عبد الناصر يصدق على التصميم الذى تم الأخذ به للسد العالى؛ وهو التصميم السوفيتى فى شكله العام مع إدخال تعديلات الخبراء العرب عليه.	29 يونيو 1959

14 يوليو 1959	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع بالوزراء المركزيين؛ لبحث مشروع الميزانية العامة للدولة ، ويجتمع بوفد الخبراء الروس للسد العالى .
1 نوفمبر 1959	الجمهورية العربية المتحدة تتفق مع السودان حول التعويضات المستحقة للسودان بسبب مشروع السد العالى .
26 نوفمبر 1959	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السفير الأمريكى "ريموند هير" ومرافقيه، والسفير اليابانى "يوتاكا" ومرافقيه، ويفتتح معرض السد العالى بكلية هندسة القاهرة .
26 نوفمبر 1959	الرئيس جمال عبد الناصر يلقى كلمة فى الاحتفال بالبدء فى تنفيذ مشروع السد العالى، حيث رسم صورة للمجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى فى جميع قطاعاته .
9 يناير 1960	الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطاباً فى الاحتفال ببدء العمل فى السد العالى ، كما يعطى هو والملك محمد الخامس إشارة البدء فى العمل .
18 يناير 1960	الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى يتفقان على تمويل الاتحاد السوفيتى للمرحلة الثانية من السد العالى .

26 مارس 1960	الرئيس جمال عبد الناصر يصدر قراراً جمهورياً بتعيين زكريا محيى الدين وزير الداخلية المركزى رئيساً للجنة العليا للسد العالى، وقراراً آخر بتحديد برنامج السنوات الخمسة لجامعتى دمشق وحلب علاوة على برامجهما السنوية العادية.
26 يناير 1961	الرئيس جمال عبد الناصر يجتمع للمرة الثالثة على التوالى بالوزراء المركزيين والتنفيذيين للجمهورية العربية المتحدة ؛ لمناقشة مؤسسات المقاولات، والسد العالى، وتنظيم التعاون الزراعى.
9 فبراير 1962	مصر ترفض تأجيل بناء السد العالى بحجة إنقاذ آثار النوبة، كما ترغب فى نفس الوقت في إنقاذ هذه الآثار.
30 مارس 1962	الرئيس جمال عبد الناصر يدلى بحديث إلى سكان النوبة، وذلك أثناء زيارته لوضع حجر الأساس للسد العالى.
3 ابريل 1962	مجلس إدارة الهيئة العامة لشئون النقل المائى الداخلى برئاسة الدكتور مصطفى خليل وزير المواصلات تقرر إنشاء مينائين نهريين مستديمين فى منطقتى السد العالى وحلفا ؛ لربط مصر بالسودان.
8 يناير 1963	الرئيس جمال عبد الناصر يحضر احتفالات أسوان بعيد السد، ويعطى إشارة البدء فى بناء جسم السد العالى وسط مجرى النيل.

9 يناير 1963	الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطاباً فى المؤتمر الشعبى الذى أقيم فى أسوان بمناسبة العيد الثالث للسد العالى ؛ تحدث فيه عن الاتحاد الاشتراكى وعن ثورة اليمن.
10 يناير 1963	الرئيس جمال عبد الناصر يزور مصنع شركة كيما للسماد بأسوان؛ بمناسبة تشغيل كل وحدات المصنع لأول مرة، ويفتتح مبنى نادى المقاولين العرب، ويزور نادى السد العالى ويوافق على منح جميع العاملين فى السد مكافأة توازى أجر عشرة أيام.
11 يناير 1963	الرئيس جمال عبد الناصر يزور محطة توليد الكهرباء من خزان أسوان، ويقوم برحلة نيلية ومعه نوابه وأعضاء مجلس الرئاسة والوزراء لتفقد مواقع العمل فى السد العالى.
17 يناير 1963	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل وزير السد العالى المهندس "محمد صدقى سليمان"، ووزير الطاقة والقوى الكهربائية بالاتحاد السوفيتى السيد "بيوتر ينبوروجينى"، والعديد من الشخصيات السوفيتية.
28 يونيو 1963	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل المهندس محمد صدقى سليمان وزير السد العالى، والسيد كريم بلقاسم نائب رئيس الوزراء السابق فى حكومة الجزائر المؤقتة.
29 أغسطس 1963	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد "الأخضر الإبراهيمى" سفير الجزائر فى القاهرة ، والمهندس "محمد صدقى محمود" وزير السد العالى.

التاريخ	الحدث
13 مايو 1964	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الرئيس العراقي "عبد السلام عارف" فى مطار القاهرة؛ الذى جاء للمشاركة فى احتفالات السد العالى.
15 مايو 1964	الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطاباً أثناء تفقده المرحلة الأولى من السد العالى، يرافقه الرئيس العراقى "عبد السلام عارف" والرئيس اليمنى "عبد الله السلال" والرئيس السوفيتى "خروشوف".
16 مايو 1964	الرؤساء جمال عبد الناصر و"خروشوف" وعارف وبن بيلا يوقعون قبل عبورهم جسم السد أربع وثائق تاريخية لتحويل مجرى نهر النيل، وكما يأمر الرئيس جمال عبد الناصر بمنح ميدالية السد العالى لجميع من ساهموا فى بناء السد.
6 نوفمبر 1964	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد صدقى سليمان وزير السد العالى.
14 يناير 1965	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل وفد القوى الكهربائية السوفيتى برئاسة السيد "فيباروجنى" وزير القوى الكهربائية، وقد حضر المقابلة المهندس محمد صدقى سليمان وزير السد العالى، والسيد "فيلاديمير يروفييف" السفير السوفيتى فى القاهرة.
24 يناير 1965	الرئيس جمال عبد الناصر يرأس اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى؛ لبحث موضوع الأراضى الزرعية الجديدة، والسد العالى.

13 يناير 1966	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد "بيتر نيبا روجنى" وزير القوى الكهربائية السوفيتى، حضر المقابلة المهندس محمد صدقى سليمان وزير السد العالى.
12 مايو 1966	الرئيسان جمال عبد الناصر و"أليكسى كوسيجين" يزوران مشروع السد العالى فى أسوان، والرئيس عبد الناصر يلقى كلمة فى المؤتمر الشعبى الذى عقد هناك.
5 فبراير 1968	الرئيس جمال عبد الناصر يجرى محادثات مع الرئيس اليوغوسلافى "تيتو" فى القاهرة، ويشهدان سير العمل فى مشروع السد العالى، ثم يزوران معبد كلابشة بآثاره الفرعونية القديمة.
21 نوفمبر 1968	الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد "يفريموف" رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى، حضر المقابلة المهندس محمد صدقى سليمان وزير السد العالى والكهرباء، والسيد "سيرجى فينوجرادوف" السفير السوفيتى بالقاهرة.
23 يوليو 1970	الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطاباً فى افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى، قرأ فى بدايته رسالة وزير السد العالى يعلن فيها انتهاء العمل فى السد العالى على أكمل وجه.
25 يوليو 1970	الرئيس جمال عبد الناصر يتلقى برقية تهنئة من العقيد معمر القذافى بمناسبة الانتهاء من بناء السد العالى، ويتلقى رسالة من السيدة "أنديرا غاندى"؛ عبرت فيها للرئيس عن مدى اهتمامها وتتبعها لكل تطورات أزمة الشرق الأوسط.



التعاون السوفيتي في المجال الحربي

حرب الاستنزاف ، و أكتوبر 1973

حرب الإستنزاف .. ودور الإتحاد السوفيتي

يعالج هذا الموضوع فترة من أهم الفترات فى تاريخ مصر المعاصر، وهى فترة ما بعد هزيمة حرب يونيو 1967. وهى الفترة التى عانت فيها مصر من مرارة الهزيمة على الصعيد العسكرى والسياسى والنفسى. وبالرغم من ذلك استطاعت مصر أن تصمد وتضمد جراحها لتمضى ثلاث سنوات أثبتت فيها أن هزيمة يونيو ليست النهاية، وإنما هى معركة من معارك الصراع العربى الإسرائيلى، وليس معنى ذلك الاستسلام، وإنما هى بداية كفاح وإعادة بناء. كما تستمد حرب الاستنزاف أهميتها من كونها الخطوة التمهيدية لحرب أكتوبر 1973.



وجدير بالذكر أن "حرب الاستنزاف" وقعت فى فترة من أحرج فترات الحرب الباردة التى كانت تدور وقتئذ بين "المعسكرين الغربى" بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، و "الشرقى" بزعامة الاتحاد السوفيتى، وكانت مصر فى القلب من هذا الصراع يدعمها الاتحاد السوفيتى، وإسرائيل تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية.

والمعروف أن الجيش المصرى لم يتمكن من استيعاب الضربة الأولى أو التعامل معها، واضطرت مصر لقبول قرار مجلس الأمن UNSC رقم 234 الذى صدر فى الثامن من يونيو 1967، بوقف إطلاق النار.

ولقد استهدفت إسرائيل سلاح الطيران المصرى لحرمان القوات المصرية من الغطاء الجوى، فقامت إسرائيل بضرب أحد عشر مطاراً وقاعدة جوية، وخمسة وعشرين محطة للرادار، حيث قذفت كل من :

* شارك في الإعداد : أ.عبد الله فهيم السعدني - دار الكتب والوثائق القومية

مطار العريش وتمادا والمليز	الساعة 8:43 صباحاً
مطار السر	الساعة 9:02 صباحاً
قاعدة أبو صوير الجوية	الساعة 8:48 صباحاً
قاعدة فايد الجوية	الساعة 8:49 صباحاً
قاعدة كبريت الجوية	الساعة 8:50 صباحاً
قاعدة أنشاص الجوية	الساعة 8:55 صباحاً
قاعدة غرب القاهرة الجوية	الساعة 8:55 صباحاً
قاعدة بنى سويف الجوية	الساعة 9:10 صباحاً
مطار الأقصر الجوى	الساعة 12:00 صباحاً
مطار الغردقة الجوى	الساعة 45: 12 صباحاً
مطار برنيس الجوى رأس بناس	الساعة 6:00 صباحاً

وتجدر الإشارة إلى أن خسائر مصر قدرت بحوالى ثلاثة عشر ألف وستمائة شخص ما بين شهيد ومفقود وأسير، حيث قدرت الخسائر بنحو 80% من المعدات، موزعة على كافة أفرع القوات المسلحة المصرية؛ فخسائر القوات الجوية فى الأفراد كانت حوالى 4%، وهى نسبة كبيرة إذا ما علمنا أن إعداد الطيار يأخذ حوالى من ثلاث إلى أربع سنوات. وقد ذكر الفريق (محمد فوزى) وزير الحربية الأسبق، أن الخسائر في المعدات كانت كبيرة أيضا حيث وصلت إلى حوالى 85% موزعة على النحو التالى: قاذفات ثقيلة 100%، قاذفات خفيفة 100%، وقاذفات مقاتلة 85%.

هذا بالاضافة إلى خسائر القوات البرية، والتى قدرت فيها الخسائر البشرية بحوالى 17% والمعدات بحوالى تسعمائة



الرئيس جمال عبد الناصر و عبد الحكيم عامر القائد الأعلى للقوات المسلحة

مدفع وسبعمائة دبابة وثمانية آلاف سيارة؛ أي حوالى 85% من القوات البرية.

هذا بالاضافة إلى تأثر الاقتصاد المصرى بشدة، حيث توقفت إيرادات "قناة السويس"، وخسرت مصر حوالى من ستة إلى ثمانية ملايين جنيها، وهو الدخل الذى كان مقدرا للقناة فى تلك السنة ؛ وذلك بسبب توقف الملاحة فى القناة نتيجة للحرب.

وقد دفعت هذه الخسارة المصرية الفادحة أجهزة الإعلام الإسرائيلية لتعلن أن هذه الحرب هى آخر الحروب ، وأن العرب لن تقوم لهم قائمة عسكرية قبل خمسين عاما على الأقل. كل ذلك جعل الرئيس "عبدالناصر" يفاجأ الشعب المصرى والأمة العربية- بتنحيه- عن رئاسة الجمهورية فى التاسع من يونيو 1967، معلنا مسئوليته عن كل ما حدث مرشحا للرئاسة (زكريا محى الدين).

وقد أحدث هذا القرار دويا هائلا وردود فعل سريعة ؛ فبمجرد أن انتهى "عبدالناصر" من إلقاء خطابه القصير كانت القاهرة قد امتلأت وفاضت بالجماهير مطالبة الرئيس بالبقاء. كما أعلن مجلس الأمة رفضه لهذا القرار، وفى نفس الوقت طالب رؤساء العالم الرئيس المصرى بالبقاء، فعلى المستوى العربى بعث "شارل حلو" رئيس لبنان برقية، كما أجرى "عبدالرحمن عارف" رئيس العراق محادثة تليفونية ، ولم يختلف موقف باقى زعماء الوطن العربى عن ذلك.

أما على المستوى العالمى فقد أرسل الرئيس السوفيتى رسالة يطالب فيها "عبدالناصر" بالبقاء، وكذلك ارسل "يوثانت" Uthant (السكرتير العام للأمم المتحدة) برسالة مماثلة، كما بعث "شارل ديجول" رئيس فرنسا رسالة تحمل نفس المعنى. فما كان من الرئيس "عبدالناصر" أمام كل هذه الضغوط إلا أن رضخ لرغبة شعبه، ودعم زعماء العالم الخارجى له. وأرسل فى العاشر من يونيو 1967م خطابا إلى رئيس مجلس الأمة يعلن فيه تراجعه عن قرار التنحى. وبتلك الأحداث يكون عبدالناصر قد تلقى تفويضا جديدا من الغالبية العظمى من الشعب المصرى بإزالة آثار العدوان.

وعلى الطرف الآخر فإن موقف "عبدالحكيم عامر" القائد الأعلى للقوات المسلحة كان مختلفا كثيرا عن موقف "عبدالناصر"، حيث أثارت عودة الرئيس حفيظته، فأبدى عامر رغبته فى تقديم استقالته، ثم عاد فتشبث بمناصبه حيث كان يخشى أن يبرئ الرئيس نفسه فى بيانه فيصبح هو المسئول الوحيد عن هزيمة 1967 إلى أن بيان ناصر لم يحتوى على اتهام له، بل أعلن مسؤوليته الكاملة عما جرى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قادة- الاتحاد السوفيتى- كانوا يتابعون الموقف عن كثب خشية انفجار الوضع، لذلك أرسلوا لناصر رسالة مع الدكتور "مراد غالب" سفير مصر فى الاتحاد السوفيتى أعربوا فيها عن قلقهم من موقف "عبدالحكيم عامر" وتحركات الضباط الذين التفوا حوله. وامام هذا الموضوع تأزمت الأمور كثيرا بين مؤسستى الرئاسة والجيش وبات الأمر يهدد الجبهة الداخلية لتزيد الأمور تعقيدا أكثر مما هى عليه.

واذا خرجنا من الدائرة المحلية إلى الدائرة العالمية نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت حظر إرسال الأسلحة إلى الشرق الأوسط بما فيها إسرائيل عقب نشوب القتال، إلا أن ذلك لم يكن إلا حيلة تكتيكية لإجبار الاتحاد السوفيتى على عدم إرسال الأسلحة بدوره إلى الشرق الأوسط، وبذلك يظل الميزان العسكرى لصالح إسرائيل، إلا أن الاتحاد السوفيتى لم يكن راغبا فى الإبقاء على الوضع العربى السئ فأرسل شحنات ضخمة من الأسلحة للعرب.

كما أن الاتحاد السوفيتى قام بقطع علاقاته الدبلوماسية بإسرائيل، كما طالب بعقد

جلسة غير عادية للجمعية العامة للأمم المتحدة للنظر فى الموقف الراهن. هذا بالإضافة إلى اجتماع زعماء الدول الشيوعية الأوربية فى "موسكو"، الذين أكدوا أن إسرائيل هى البادئة للعدوان. كما جاء "بودجورنى" Badjorne رئيس مجلس السوفيت الأعلى إلى مصر ومعه المارشال "زخارف" Zagaroff رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية للاجتماع مع عبدالناصر للاتفاق على الإجراءات اللازمة لدعم مصر. كما وجه "أليكس كوسيجين" Alexei Kosygin رئيس الوزراء السوفيتى تهديدا شديد اللهجة فى الأمم المتحدة UN فى التاسع عشر من يونيو 1967 بأن استمرار الرفض الإسرائيلى للانسحاب من الأراضى التى احتلتها يهدد بقيام حرب نووية.



الرئيس جمال عبد الناصر و أليكسي كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي

وبذلك بدأ "عبدالناصر" يعتمد كلياً على السوفيت فى تسليح مصر عسكرياً، واصبح الاتحاد السوفيتى هو المصدر الوحيد للحصول على السلاح حيث أنه لم يشترط الحصول على المال نقدأ وبالعملة الصعبة، كما طلبت الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك تتضح أهمية السوفيت فى اللعبة السياسية.

الدعم السوفيتى العسكرى :

أما بالنسبة للمساعدات السوفيتية العسكرية لمصر، والتى نجحت فى دعم موقف السوفيت فى العالم العربى، فقد بدأت فى التاسع من يونيو 1967، عقب وقف إطلاق النار عن طريق إرسال ـالجسر السوفيتى ـ مكوناً من خمسمائة وخمسين رحلة جوية، وخمسة عشر باخرة نقل كلها معدات حربية تمثلت فى ثلاثة وتسعين طائرة "ميج 17"، وخمسة وعشرين طائرة "ميج 21" خلال الأسبوع الأول بعد المعركة، وبذلك كانت جملة الدفعة الأولى من الدعم السوفيتى العسكرى مقدارها خمسين طناً من المعدات العسكرية.



كما وصل وفد عسكرى سوفيتى فى السادس عشر من يونيو 1967 بقيادة الجنرال "لاشينيكوف" lashenkov للمساعدة فى استقبال المعدات والأسلحة من الموانى "البرية والبحرية والجوية" وتوزيعها على الوحدات . كذلك وصل المارشال "زخاروف" Zagaroff رئيس هيئة أركان حرب

القوات المسلحة السوفيتية على رأس بعثة عسكرية سوفيتية رفيعة المستوى تتألف من واحد وتسعين ضابطاً فى أواخر 1967؛ لتتفقد أوضاع الجيش المصرى وحدة وحدة. هذا بالإضافة إلى التحاق "المستشارين والفنيين الروس بالسلاح الجوى" فقد كان هناك مستشار روسى واحد على الأقل لكل سرب فى السلاح الجوى الذى الحق به مائة طيار روسى.

لقاءات القمة بين مصر والاتحاد السوفيتى:

على مستوى لقاءات القمة فقد كان اللقاء الأول فى مصر من الواحد والعشرين إلى الثالث والعشرين من شهر يونيو 1967، حضره "بود جورنى والماريشال زخاروف" وحضره من الجانب المصرى الرئيس "عبدالناصر، ومحمد فوزى، ومحمود رياض، وزكريا محى الدين، وعلى صبرى"، وفيه طالب عبدالناصر بزيادة الأسلحة وزيادة عدد الخبراء والمستشارين بالعدد الذى يتفق عليه الفريق محمد فوزى والماريشال زخاروف.

ووافق السوفيت على توريد أربعمائة طائرة "ميج 21" جديدة وارسال ألف ومائتان مستشار سوفيتى فى جميع التخصصات.

ويعتبر لقاء القمة المصرى السوفيتى الأول بعد 1967 هو بداية مرحلة جديدة فى العلاقات المصرية السوفيتية، أدت فيما بعد إلى وجود سوفيتى قوى فى مصر، فمع بداية عام 1968، أصبح المستشارون الروس يتولون تشغيل مواقع بعض "صواريخ سام" وغيرها من المواقع، وعندما شن الإسرائيليون هجوما على (نجع حمادى) شمال أسوان فى نهاية أكتوبر، أكد السوفيت أنهم سيكونون مستعدين للدفاع عن السد العالى واشترك طاقم سوفيتى فى تشغيل الدفاعات الجوية التى تم بناؤها حول السد.

أما بالنسبة للقاء القمة الثانى فقد عقد فى موسكو فى التاسع والعشرين من يونيو 1968، وفيه طالب عبدالناصر بمزيد من الدعم العسكرى وبزيادة عدد المستشارين السوفيت بأعداد تسمح بوجود مستشار حتى مستوى كتيبة المشاة وما يعادلها، وبالفعل استطاع عبدالناصر الحصول على صفقة أسلحة ومعدات فى حدود مائتان مليون جنيه. وبذلك أعادت مصر تشكيل قواتها العسكرية وعززت قطاعاتها المدرعة والجوية.

وكان المستشار الروسى يبذل أقصى الجهد فى عمليات الاشراف اليومى على التدريبات، وصيانة المعدات، سواء على مستوى الصيانة الميكانيكية، أو الصيانة الكهربية، وكان يقوم بتحضير المشروعات التدريبية سواء على مستوى إدارة المعركة، وفنون القتال، أو بالنسبة لعمليات التحرك والفك والتركيب المصاحبة لها، لقد كان متوسط ساعات عمل المستشار السوفيتى لقائد الكتيبة لا يقل بأى حال من الأحوال عن عشر ساعات عمل يوميا، متنقلا بين هذه المهام المتعددة، ومختلطا بالضباط والجنود



صورة نادرة لبعض جنود القوات السوفيتية أثناء حرب الإستنزاف

فى تخصصاتهم، كما أن مثل هذا المستشار ينتظم فى جهاز هرمى كامل من المستشارين من أول مستشار قائد السلاح ومستشار رئيس العمليات حتى هذا المستوى الادنى، وكان الحاحهم جميعا ينصب على استمرار وتواصل عمليات التدريب يوميا بمعدلات متزايدة .

كما استعانت القيادة المصرية على المستويات العليا والوسطى بمجموعات من الخبراء المتخصصين السوفيت، وهم غالبا مهندسون وفنيون ومصممون وعاملون فى مصانع انتاج هذه الصواريخ، وكانت مهماتهم تنحصر فى الاشراف الفنى، واصلاح الاعطال، والتدريب للاطقم الفنية، واطقم اصلاح الاعطال. وبدأ فى هذه المرحلة التوسع فى ارسال البعثات التعليمية والتدريبية داخل الاتحاد السوفيتى على المستويين الفنى والتكتيكى، وتم تنشيط المعاهد التعليمية الداخلية وزاد الاقبال عليها، كما بدأت وتطورت التدريبات الميدانية تحت اشراف المستشارين السوفييت على مختلف مستويات التشكيلات القتالية.

لقد عاش المستشارون والخبراء السوفييت بين افراد القوات المسلحة المصرية، يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، لم يطلبوا ميزة أو يأتوا بميزة معهم، لم يأتوا بثلاجات أو مبردات للمياه، ولم يأتوا بخيام حمراء أو زرقاء أو خضراء أو صفراء، تذخر بأصناف المأكولات الشهية والمعلبات الفاخرة. ولم ينزلوا بالفنادق الفاخرة على حساب القوات المسلحة، ولكنهم أكلوا الفول مع افراد القوات المسلحة، ولبسوا نفس الافرول، وتبادلوا السجائر مع الضباط والجنود، وناموا فى العراء حيث نام الجنود المصريين .

وتكشف لنا الوثائق الأمريكية أن إسرائيل كانت ترقب باهتمام كبير ذلك التغير فى العلاقات المصرية السوفيتية العسكرية ، إذ أكدت للولايات المتحدة الأمريكية فى التاسع والعشرين من فبراير 1968، أن هناك خمسين طياراً سوفيتياً أو أكثر يطيرون الآن مع المصريين، وأن الروس فى طريقهم لتولى نظام الدفاع الجوى المصرى، وكانت الولايات المتحدة منزعجة بشدة من تدفق الأسلحة السوفيتية على الشرق الأوسط .

دور الإتحاد السوفيتي
في بناء الدفاع الجوى المصرى

فى مطلع عام 1969، ازداد النشاط الجوى الإسرائيلى باختراق المجال الجوى المصرى فى الجبهة وفى العمق بهدف الاستطلاع والوقوف على رد فعل الدفاع الجوى المصرى، كما زاد نشاط الاستطلاع الإلكترونى بطائرات إسرائيلية ذات تجهيز خاص تحلق شرق القناة والساحل الشرقى لخليج السويس وأمام الساحل الشمالى فى سيناء ومن البردويل شرقا حتى السلوم غربا وبأعماق كبيرة تصل من خمسين لمائة كيلو متر خارج المجال الجوى المصرى. وفى يوم 25 ديسمبر 1969، قامت إسرائيل بعملية قصف مركزة بمائة واثنين وتسعين طائرة ضد كتائب الصواريخ "سام 2"، واستمرت لمدة ثمان ساعات مدعمة بكافة صور الإعاقة الإلكترونية، على كل مواقع الصواريخ فى منطقتى القناة وشمال البحر الأحمر فى توقيتات متقاربة، أو بالاحرى فى توقيت واحد. وتمكنت فعليا من تدمير وأعطاب معظمها، أن لم يكن كل بطاريات صواريخ "سام" التى أغارت عليها فى هذا اليوم. كما هاجم تشكيل جوى إسرائيلى موقع رادار مصرى بالأردن، كان قد تم إنشاءه عقب حرب يونيو 1967 . وكانت نهاية لمرحلة وبداية أخرى.

لذلك قرر "عبدالناصر" السفر إلى (موسكو) فى الثانى والعشرين من يناير 1970 برفقة القائد العام للقوات المسلحة المصرية، حيث طلب من الإتحاد السوفيتى تزويد مصر بوحدات كاملة من صواريخ "سام" بأفرادها وأسراب كاملة من طائرات "الميج21" بطيارين سوفيت واجهزة رادار متطورة للإنذار. ولأن الطلب خطير، وخطوة لم يسبق لها مثيل خارج نطاق منظومة الدول الاشتراكية ؛ وجد القادة السوفييت أن القرار أكبر

مطار موسكو وقت زيارة الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر في يناير 1970 والتي أمر على أثرها خطة الدفاع عن أرض مصر



الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر مع الرئيس السوفيتي بريجينيف في موسكو

من قدرتهم على تلبيته فى دوائر محددة، ولم تستطع الحكومة السوفيتية، ولا حتى مجلس الرئاسة الأعلى، ولا المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى أن يتخذ القرار على مسئوليته الخاصة، فكان لابد من وجود هيئة أعلى وأوسع، أنها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى، السلطة العليا والموسعة الدائمة فيما بين انعقاد مؤتمرات الحزب الشيوعى العامة ، وفعلا قام المكتب السياسى بدعوة لجنة الحزب المركزية، لاجتماع طارئ وعاجل، خرجت فيه الطائرات المدنية السوفيتية لتجمع أعضاء اللجنة من اماكن تواجدهم فى بلادهم المترامية الاطراف. وتم عقد اجتماع اللجنة المركزية للحزب، وتمت فيها الموافقة على الطلبات المصرية، بارسال قوات مسلحة سوفيتية للدفاع الجوى عن أرض مصر وأجوائها. واجراء عملية سد سريع لتلك الأبواب التى فتحت، والموافقة على استقبال مجموعات كبيرة من القوات المسلحة المصرية كأطقم عمليات مكتملة للدراسة داخل الاتحاد السوفيتى، وتتعلم أنواعا جديدة من فنون القتال على صواريخ مضادة للطائرات من طراز حديث، وهى صواريخ "البتشيورا" صواريخ "سام 3"، والموافقة أيضاً على أرسال وفد عسكرى سوفيتى رفيع المستوى، للمساعدة فى عمل خطة على الواقع، لبناء نظام متكامل للدفاع عن أجواء مصر، ومتابعة تنفيذ هذه الخطة.

لقد قوبلت قرارات الجانب السوفيتى هذه، بارتياح كبير لدى القيادة المصرية، وتأكد الشعب المصرى، مع كل يوم يمر، ويبعد فيه شبح الغدر الإسرائيلى، وشراسة قصف طيران العدو من مواقعه، بأن هذه القرارات، هى قرارات حلفاء مصلحة وأهداف مشروعة.



أدى وصول وحدات الدعم السوفيتى فى أوائل 1970، والتى تولت تأمين العمق المصرى، إلى توقف غارات العمق والى سحب الأسراب الجوية المصرية التى كانت مكلفة بحماية العمق لتدعيم القوات على الجبهة.

ونجحت القوات الجوية السوفيتية التى أتت لمصر كدعم فى إسقاط كثير من الطائرات الإسرائيلية، فعلى سبيل المثال عندما اندفعت بعض الطائرات الإسرائيلية نحو "العين السخنة" فى الثامن عشر من أبريل

1970، تصدى لها الطيارون السوفيت .

وتجدر الإشارة إلى أن أجهزة الرادار الإسرائيلية سجلت محادثات كانت تجرى داخل الطائرات المعادية لها واكتشفوا أنها باللغة الروسية . ويرى "هيكل": أن الطيارين السوفيت لم يخفوا هويتهم ولعلهم حسب تصوره كانوا يرسلون رسالة إلى الأمريكيين بوصولهم إلى مصر، وبالفعل لم تحدث أية غارات اخرى فى العمق . وبذلك أعطت الفرصة لعناصر الدفاع الجوى المصرى التى كانت قد أنهكت تماماً لكى تعيد بناء نفسها من جديد .

وفى النصف الاخير من شهر ابريل سنة 1970، أصبح واضحا أن عملية بناء المواقع المحصنة والدشم الخرسانية ، ليست عملية سهلة أو سريعة ، وقصف أسرائيل يزداد، وهجمات طيرانها وغاراته تشتد، على الرغم من قيام الطيران السوفيتى المقاتل ببعض الطلعات فوق هذه المنطقة، ولكن لان طلعاته لم تكن طلعات مكثفة، ولم تدخل ضمن مظلة جوية كاملة فوق هذه المنطقة، خضع لكمينين معاديين من الطيران الاسرائيلى، لاقت فى احداهما ثمان طائرات سوفيتية أكثر من أربعين طائرة اسرائيلية، ودارت معركة غير متكافئة سقط فيها ست طائرات سوفيتية فنطق الجميع بالترحم على هؤلاء الشهداء المقاتلين من الطيارين السوفيت الذين جاءوا من أقاصى الأرض ، للمساعدة فى الدفاع عن أراضى وطننا العزيز مصر .



الصواريخ المضادة للطائرات

SAM 6

وعلى ذلك قررت مصر القيام باستكمال شبكة الصواريخ بمساعدة السوفيت وبشكل سريع من خلال خطة مدروسة عملت فيها على حماية القائمين بتجهيز المواقع المحصنة والدشم . كما قام الاتحاد السوفيتى بإمداد مصر بشبكة متقدمة من أجهزة الحرب الإلكترونية، وقد شعر العدو الإسرائيلى بقدرتها على إعاقة مواصلاته اللاسلكية وأجهزة راداراته، كما تم إمداد قوات الدفاع الجوى المصرى بلواء صواريخ "سام 6" بأجهزته الرادارية والإلكترونية والتى تم دفعها إلى أسوان، وبذلك تكون مصر قد استطاعت الوصول إلى مستوى لم يكن يتخيله أحد قبل ثلاث سنوات فقط، وذلك بفضل الإمكانيات السوفيتية الأقل بكثير من الإمكانيات الأمريكية لإسرائيل .

شهادات اسرائيلية عن حرب الاستنزاف :

عند قبول إسرائيل لمبادرة روجرز كتب أحد الصحفيين الإسرائيليين مؤكدا أن الوضع الإسرائيلى العام هو أسوأ ما وصلت إليه إسرائيل منذ حرب يونيو 1967: "من المفرح أننا لم نسمع، منذ مدة، تصريحات مثل: "وضعنا العسكرى فى الخطوط القائمة هو افضل مما كان عليه

فـى أى وقت مضـى"، أو "الوقـت يعمل لمصلحتنـا" ففى عـام 1967، لم يكن هناك وجـود للتورط السوفيتى، أما فى عام 1969، فقد توسع هذا التورط الخطير وسيزداد".

كمـا جـاء فى مقـال كتب بعـد وقف إطـلاق النـار وعنوانـه "حقيقة أننـا عانينـا من حرب الاستنزاف": "مع أن إسـرائيل اسـتطاعت ضرب العدو وقتل الآلاف من جنوده وتدمـير اقتصاده، إلا أنه يكون من الإجحاف إذا أدخلنا رأسـنا فى التراب ولم نعترف بقسوة ما عانيناه، كما أننا نخدع أنفسـنا إذا ادعينـا بأن حرب الاسـتنزاف، التى فرضها العـدو علينا، لم تترك أثـراً فينا، ويكون من الغبـاء تجاهلنا حقيقة وجود التدخل السـوفيتى الذى أدى إلى فقـدان عدد من طائراتنا بصورة لم نتعودها".

كما وضح- إسحاق رابين - : "إن المصريين والسوفيت إذا ما حركوا الصواريخ فى منطقة القناة فإن حرب الاستنزاف ستحسم لغير صالح إسرائيل".

الامدادات العسكريه السوفيتيه خلال حرب اكتوبر

اعتمدت القوات الجوية المصرية بصورة أساسية فى ضربتها الجوية ظهر يوم "السادس من أكتوبر" على الطائرات السوفيتية "الميج" و "السخوى"، وقد حصلت مصر على عدد منها قبل اليوم أى "بوقت كاف"، وتحديدا فى مارس 1973 رغم أن الشائعات كانت تتردد عن سوء العلاقات المصرية - السوفيتية خاصة فى مجال التسليح. لكن الرئيس السورى " حافظ الأسد " قام برحلة سرية إلى - موسكو - بهدف تحسين هذه العلاقات دون أن ينعكس ذلك على ما ينشر أو يذاع ، وبعد نجاح رحلة "حافظ الأسد" السرية إلى موسكو توالى سفر عدد من كبار القادة العسكريين المصريين - ومنهم وزير الحربية نفسه - وأسفر ذلك عن عقد صفقتى سلاح وقطع غيار لم يعرف عنهما العالم شيئاً، وكانت تفاصيل هذه الأسلحة سراً، لكن الأهم أن مواعيد تسليمها كانت جميعها قبل أكتوبر 1973 بوقت مناسب ، وكان آخر الصفقات قبل الحرب صفقة



طائرات ميج 25
للقيام بأعمال الإستطلاع

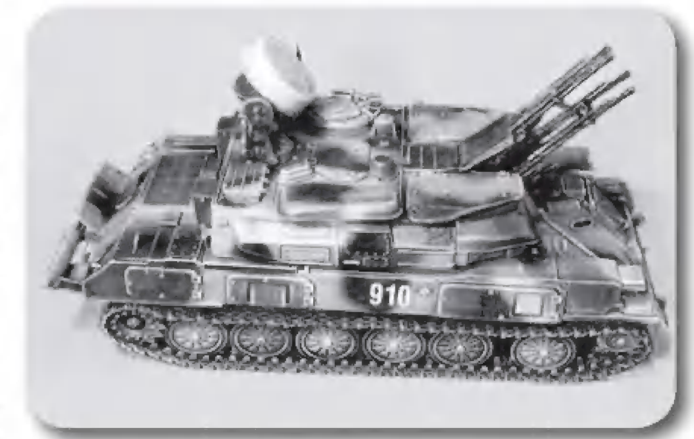


أسلحة ثالثة أطلق عليها القادة اسم "صفقة مارس" والتى جاء موعد تسليمها ليسبق الحرب بفترة قصيرة، وترجع أهمية "صفقة مارس" إلى أنها كانت إضافة للتسليح الذى تعتمد عليه خطة العبور.والسبب فى تسمية "صفقة مارس" يرجع إلى أنها تمت فى موسكو فى شهر مارس 1973، ووقعها هناك وزير الحربية الفريق " أحمد إسماعيل "؛ وسبقتها زيارة مهمة قام بها سراً إلى القاهرة وفد عسكرى سوفيتى

برئاسة الجنرال "لاشنكوف" واستمرت من 5 إلى 12 فبراير 1973. وشملت الصفقة سربا للاستطلاع والإعاقة الإلكترونية لم يعمل العدو حسابا له ، وكذلك سربا من طائرات "الميج 23" وتبعت الصفقة تدريب الطيارين المصريين على الطائرات الجديدة في الاتحاد السوفيتي خلال شهري مايو ويونيو 1973.

واثناء الحرب العربية - الإسرائيلية قام الاتحاد السوفيتي بإقامة أكبر جسر جوى فى تاريخه الحربي الى مصر و سوريا من خلال تنفيذ 900 رحلة جويه بواسطه طائرات انتنوف 12 و انتنوف 22 نقل خلالها 15000 طن من المعدات الحربيه الى الدولتين .

وعلى الرغم من ان هذا الجسر لم يكن مُعداً له من قبل، وعلى الرغم من انه بدا فيه على عجاله بعد 3 ايام من بدء العمليات و هو السبب الذى ادى الى ظهور الكثير من الثغرات و الاخطاء فى الجسر الجوي نتيجه اختلاف معدلات الاستهلاك بين حرب اكتوبر و معدلات الاستهلاك فى الحروب السابقه الاخرى مما يؤدى الى وصول بعض الاصناف التى لا نحتاجها وعدم وصول اصناف اخرى نحتاجها .



الا انه بلا شك ان هذا الجسر يعتبر مفخره للإتحاد السوفيتى من حيث الحجم و السرعه و الكفاءه فى التخطيط والتنفيذ وفى نفس الوقت لكل من مصر و سوريا من حيث السرعه فى الفرز و التفريغ والدفع الى الجبهه بالنسبه لهذا الحجم الكبير من الامدادات .

و علاوة على الجسر الجوى فقد قام السوفيت بعمليه نقل بحريه واسعه النطاق بلغت حتى وقف اطلاق النار 63000 طن من المعدات الحربيه .

كيف كانت مصر تسدد ثمن الأسلحة المشتراه من الإتحاد السوفيتى :

اتفق الزعيم "جمال عبد الناصر" مع السوفيت على ان يتم دفع قيمة الاسلحه و المعدات التى تشتريها مصر من الاتحاد السوفيتى على النحو التالى :

اولا: يقوم الاتحاد السوفيتى بخصم 50% من قيمه السلاح الذى يبيعه الى مصر .

ثانيا : يقوم الاتحاد السوفيتى باقراض مصر قرضا يغطى قيمة السلاح الذى تشتريه مصر (بعد خصم الـ 50%) و يتم دفع هذا القرض على أقساط سنويه لمده 10 - 15 سنه بفائده 2% و يتم سداد القسط الاول بعد فتره سماح طويله .

ونظرا لان السلاح الروسى - قبل اى خصم اى نسبه من قيمته - يعتبر رخيصا بالنسبه للسلاح

القوات البرية		القوات الجوية		قوات الدفاع الجوي		القوات البحرية	
العدد	النوع	العدد	النوع	العدد	النوع	العدد	النوع
1700	دبابه	305	طائره مقاتله	150	كتيبه صواريخ سام	12	غواصه
2000	عربه مدرعه	70	طائره نقل	2500	مدفع مضاد للطائرات من عيار 20 مللم فما فوق	5	مدمرات
2500	مدفع و هاون	140	طائره هليكوبتر			3	فرقاطات
700	قاذف صاروخي موجه					17	قارب صواريخ
1900	مدفع مضاد للدبابات					30	قارب طوربيد
5000	RPG					14	كاسحه الغام
عدة آلاف	قنبلة يدوية المضادة للدبابات						

الغربى ويمكن القول بانه فى حالة تعادل الخصائص فى السلاح السوفيتى مع السلاح الغربى فان قيمة السلاح السوفيتى يصل الى 50% من قيمة السلاح الغربى فاذا خصمنا 50% من هذا الثمن فأن هذا يعنى ان مصر تشترى السلاح بما يوازى 25% من قيمته فى السوق العالميه .

علاوه على ذلك فان مصر تسدد الثمن بالجنيه المصرى و بالتقسيط المريح .

و تطبيقا لهذا الاتفاق فان مصر كانت تشترى الطائره "الميج 21" بمبلغ 250 الف جنيه مصرى والدبابه " T55 " بمبلغ 55000 جنيه . كان الوفد المكلف بعقد الصفقه يسافر الى موسكو و ليس معه دولار واحد فيوقع مثلا على صفقه من الاسلحه قيمتها - طبقا للاسعار العالميه - 1000 مليون دولار ثم يوقع على قرض بحوالى 250 مليون دولار يدفع بالتقسيط على 10 - 15 سنه بفائده 2% يتم سداده بالجنيه المصرى او بأيه اصناف يمكن لمصر تصديرها .



طائرة ميج 21 من داخل أحد المطارات الحربية المصرية



ذكريات خاصه لا تنسى .... وتاريخ أيام لا تمحى
الفريق الشاذلى*
يتذكر قصة الانذار السوفيتى



كان هجوم إسرائيل يوم 23 أكتوبر يتم بتنسيق تام مع كيسنجر الذى أغمض عينيه عما تقوم به إسرائيل بهدف الوصول إلى موقف معين يمكن منه فرض شروط الصلح على مصر. أما الإتحاد السوفيتى فقد إتخذ موقفاً يختلف تماماً عن الموقف الأمريكى. فعلى الصعيد العسكرى قام برفع درجة الإستعداد لعدد 6 فرق جنود جو قوامها 43000 رجل وأخذت طائرات النقل تتجمع لنقل هذه القوة فى مناطق تحشدها . وعلى الصعيد السياسى قام الرئيس بريجنيف يوم 24 أكتوبر بإرسال كتاب إلى الرئيس نيكسون قال فيه: "سأقولها بصراحة: إذا لم يكن فى استطاعتكم أن تعملوا معنا فى هذا المجال فسوف نجد أنفسنا أمام موقف يضطرنا إلى إتخاذ الخطوات التى نراها ضرورية وعاجلة. إن إسرائيل لا يمكن أن يسمح لها بالإستمرار فى تجاهل وقف إطلاق النار".

كان العالم كله يقف على شفا الحرب يوم 24 أكتوبر . فقد ردت أمريكا على الإنذار السوفيتى بأن رفعت درجة استعداد جميع القوات المسلحة الأمريكية فى جميع أنحاء العالم. وقد أثار هذا القرار الأمريكى غضب وقلق حلفاء أمريكا أكثر مما أثار قلق الإتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية. لقد شعر أعضاء حلف الناتو أن أمريكا تعرض السلام العالمى للخطر لكى تحقق بعض المصالح الإقليمية لإسرائيل، وفى سبيل ذلك فإنها مستعدة للتضحية بمصالح حلفائها الغربيين فى حلف الناتو . لقد أحدث رفع درجة استعداد الوحدات النووية الأمريكية فى دول

* الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين 16 مايو 1971 وحتى 13 ديسمبر 1973 ،ولد بقرية شبراتنا مركز بسيون في محافظة الغربية في دلتا النيل .
يوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصري الناجح على خط الدفاع الإسرائيلي بارليف في حرب أكتوبر عام 1973 .

حلف الناتو دون أخطار هذه الدول، جرحاً غائراً فى العلاقات الأمريكية - الأوروبية أحتاج إلى عام كامل لكى يلتئم. وبينما كانت أمريكا تتخذ هذا الموقف المتشدد فى مواجهة الإنذار السوفيتى، فإن الإنذار السوفيتى أقنعها بأن العدوان الإسرائيلى قد تجاوز الخط الأحمر الذى قد لا يستطيع الإتحاد السوفيتى أن يتحمله، ومن هنا بدأت أمريكا فى ممارسة الضغط الحقيقى على إسرائيل واضطرتها إلى قبول وقف إطلاق النار.

شهادة من قلب الأحداث

لواء اح (متقاعد) "طريف عاصم محمد الشىشتاوى" *

قائد كتيبة صواريخ م / ط فى حرب 67 وما بعدها

رغم الخسائر الجسيمه التى أحدثتها القوات الجويه الاسرائيلية فى الاسلحه والمعدات والأفراد لقواتنا المسلحه والتى بدأت يوم 20يوليو1969، إلا انها لم تنجح فى إيقاف حرب الإستنزاف . فاعتبارا من 7 يناير1970 بدأت القوات الجوية المعادية شن غارات جوية بعيده المدى فى عمق مصر، إيذانا فى بدء المرحله الثانية من الإستنزاف المضاد، وتركزت هجماتها على الأهداف العسكريه القريبه من القاهرة وبعض مدن الدلتا والصعيد مستهدفه عناصر الدفاع الجوى (كتائب الصواريخ م-ط وسرايا الرادار) والمعسكرات والمستوعات الرئيسيه لإيقاع أكبر نسبه خسائر لآلة الحرب المصريه.

لقد أصبح واضحا أمام القيادة السياسية المصريه، أن القوات المسلحه المصريه لاتملك القدرة خلال هذة الفترة على مواجهة الغارات الجوية المعادية، فلقد كانت القوات الجوية المصريه، مازالت فى مرحله إعادة البناء وإستعادة الكفاءة القتالية والطائرات المتوفرة من طراز ميج 17، ميج21، ولم تكن هذة الأنواع من الطائرات فى نفس كفاءة الطائرات الاسرائيلية الحديثة من طراز الفانتوم، كما لم يكن لدى قواتنا الجوية قاذفات قادرة على تهديد عمق إسرائيل، كما كانت شبكه الدفاع الجوى التى تتكون من عدد قليل من كتائب الصواريخ م-ط سام 2 ذات الإمكانيات المحدودة فى التعامل مع الطائرات التى تطير على إرتفاع منخفض و منخفض جداً، عاجزة عن مواجهة الطائرات المعادية الحديثة المزودة بأجهزة الملاحظة المتطورة التى تمكنها من الطيران على إرتفاع أقل من 50 متر والمزودة بأجهزة الإعاقة الإلكترونيه الحديثة الايجابية والسلبية.

على ضوء الحقائق السابقة إتخذ الرئيس الراحل "جمال عبدالناصر" قراره بالقيام برحلة سرية إلى موسكو فى 12يناير1970 ليشرح لقادة الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت الوضع الخطير الناتج عن الغارات الجوية الإسرائيلية فى العمق. وإستجاب قادة الاتحاد السوفيتى، لجميع المطالب

* اللواء اح (متقاعد) طريف عاصم محمد الشىشتاوى : قائد كتيبة صواريخ م / ط فى حرب 67 وما بعدها ، ولد في20 / 5/ 1935 ، تخرج من الكلية الحربية 1/ 4/ 1956 وأنهى فترة الخدمة في 1 / 7 / 1986 .

شارك في حرب العدوان الثلاثى عام 1956 و حرب يونيو 1967 و حرب الاستنزاف 69 / 1970 وأخيراً حرب أكتوبر 1973 .

كما حصل اللواء طريف الشىشتاوى على نوط الواجب العسكرى الطبقة الأول 1982 ، و وسام الجمهورية من الطبقة الثانية 1 / 7 / 1986 .



المصرية، بتزويد مصر بأنواع حديثة من الطائرات وكتائب الصواريخ م ط وأجهزة الرادار القادرة على إقامه نظام دفاع جوى متكامل بالجبهة وعن الأهداف الحيويه بالعمق. مع قيام الجانب السوفيتي بإرسال وحدات كامله من الصواريخ م.ط (سام3) بأطقمها الروسيه وأسراب كاملة من المقاتلات (ميج21) المتطوره بطياريها الروس وأجهزة رادار متطورة بأطقمها، وعناصر حرب الكترونية بأطقمها لدعم عناصر الدفاع الجوى المصرى، لحين إستكمال وتدريب الأطقم المصرية للعمل عليها فى المرحله المقبلة، وإعتباراً من 5 مارس 1970 بدأ وصول الوحدات الروسيه لميناء الاسكندرية.

وإعتباراً من 5مارس1970 بدأ تمركز الوحدات الروسيه حول الأهداف الحيويه فى العمق فى كل من القاهرة والاسكندرية وأسوان. ومنذ هذا التوقيت أوقف العدو الجوى الإسرائيلى أعمال قتاله ضد الأهداف الحيويه فى العمق، وأصبحت القوات الروسيه مسئولة عن الدفاع عن عمق مصر.

وفى ضوء المتغيرات السياسية التى حدثت نتيجة لوصول قوات الدفاع الجوى الروسيه وتمركزها حول الأهداف الحيوية بالعمق وتمركز أسراب الطائرات الروسيه الحديثة فى قاعدة جناكليس وبير عريضة وبنى سويف وأسوان والتى أدت إلى توقف إسرائيل تماماً عن غارات العمق، كان واضحاً أن الأزمة إنتقلت من الدائرة الإقليمية إلى الدائرة العالمية. وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية فى تكثيف النشاط الدبلوماسى عن طريق "جوزيف سيسكو" مساعد وزير الخارجية بطرح مجموعة مبادئ للتسوية يتم تنفيذها فى ظل وقف إطلاق النار. وقبل الرئيس جمال عبد الناصر هذة المبادئ وكانت حقائق الموقف الدولى والإقليمى وعلى جبهة القتال وفى العمق تسمح بذلك لإختيار فرض السلام ثم الإستعداد لمرحلة تالية.

ورأى الرئيس جمال عبد الناصر أنه يتحتم عليه قبل بدء مرحلة جديدة ان يعود مره أخرى الى الإتحاد السوفيتى؛ فقد كان يضع فى تقديره طوال الوقت أن الإتحاد السوفيتى له حساباته كقوة عظمى وأن مصر يتعين عليها أن تراعى ذلك وهى تجرى حسابتها الخاصة. وبالفعل تم الاتفاق على وقف اطلاق النار.

المصدر:-

"من شهادة موثقة بأرشيف مركز تاريخ مصر المعاصر - دار الكتب والوثائق القومية - شهادات تاريخية عن حرب أكتوبر 73 - توثيق الباحث: عبد الله فهيم السعدنى".



دور علماء الآثار الروس
في ازدهار علم المصريات

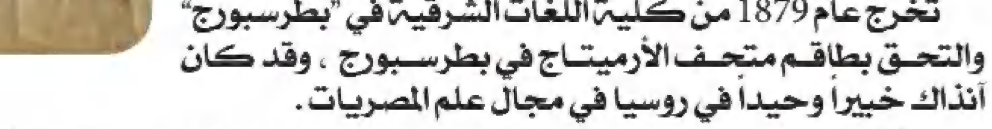
فلاديمير جولينيشيف
عالم المصريات الروسي
وبروفسور في جامعة القاهرة



يرتبط اسم "جولينيشيف" بتدشين القسم الدراسي للمصريات في جامعة القاهرة وتشكيل مجموعة التحف المصرية القديمة في متحف الارميتاج ومتحف بوشكين للفنون التشكيلية.

"فلاديمير جولينيشيف" (1856 – 1947) هو شخصية تجسد عصر ازدهار علم المصريات الروسي الذي بفضله لقى اعترافا عالميا. واتصف ذلك العصر بتشكيل الأخوة الحقيقية لعلماء المصريات التي جمعت بين ألمع الباحثين العالميين المولعين بقضيتهم التي دشنها زميلهم جورج شامبوليون الذي قام بفك الرموز الهيروغليفية (الخط المسندي) المصرى.

ولد فلاديمير جولينيشيف في عائلة تاجر ثري، وتلقى تعليما منزليا رائعا. وولع منذ نعومة أظفاره بعلم المصريات وصار يجمع كل ما له علاقة ببلاد الأهرام ابتداءا من قطعة للبردي وانتهاءا بتابوت خشبي.

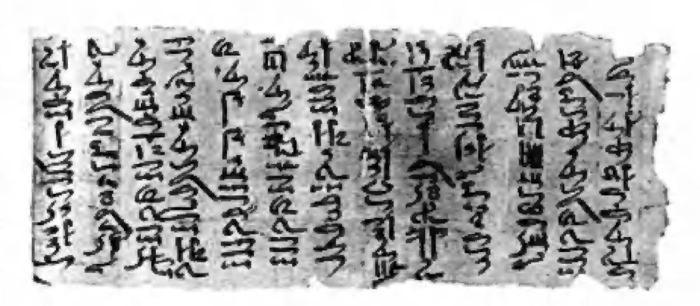


تخرج عام 1879 من كلية اللغات الشرقية في "بطرسبورج" والتحق بطاقم متحف الأرميتاج في بطرسبورج ، وقد كان آنذاك خبيراً وحيداً في روسيا في مجال علم المصريات.

بدأ "فلاديمير جولينيشيف" بتشكيل مجموعة التحف المصرية منذ أيام شبابه معتبرا هذا العمل أمراً في غاية الأهمية. واستطاع "جولينيشيف" لكونه رجلاً غنياً اقتناء ما يقارب 6000 تحفة أثرية مصرية قديمة وتنظيم 60 بعثة آثارية لغوية كان يمولها شخصياً.

قام "جولينيشيف" بأول رحلة له الى مصر عام 1879 ،ووجد نفسه معجباً بهذا البلد وشعبه وتاريخه. وكان يجيد اللغة العربية مما ساعده في إقامة التعاون مع تجار التحف المحليين الذين باعوا له تحفاً فريدة وزودوه بمعلومات نادرة عن مواقع آثار غير معروفة سابقاً . زار "جولينيشيف" عامي 1884 – 1885 وادي الحمامات . وكان أول باحث لفت اهتمام زملائه الباحثين إلى نقوش صخرية تعرض حيواناتٍ وأناساً ويعود تاريخها الى حقبة سلالة بطليموس.

وعلى سبيل المثال افترض جولينيشيف بان نقوش مشهد اصطياد نعامة يمكننا من الإستنتاج:



أن المصريين القدامى كانوا يستخدمون ريش النعامة للكتابة.

ومن أشهر بعثاته العلمية إلى مصر، بعثة عامي 1888 - 1889 - كان برنامج البعثة مكثفاً جداً اذ إعتزم الاطلاع على مصر كلها من الصعيد حتى الدلتا . وقد زار ساحل البحر الأحمر وأجرى حفريات في شمال مصر حيث عثر في بلدة "تل المسخوطة" على لوح يعود الى عهد "داريوس الأول- ملك للدولة الأخمينية" في 486 - 522 قبل الميلاد. وتروي الكتابات المنقوشة على اللوح قصة بعثة بحرية قام بها المصريون لدراسة الساحل الشرقي الجنوبي للبحر المتوسط . وكان يهدف "جولينيشيف" من خلال بعثته العلمية إلى توسيع مجموعة التحف المصرية القديمة في متاحف روسيا وتطوير علم المصريات الروسي .

واقتنى في الإسكندرية نماذج من كتابات البردي المسندية ونصباً تذكاريا يعود إلى الحقبة الإغريقية والرومانية.

وقد عثر "جولينيشيف" في الإسكندرية على آثار أنقاض كنيسة مسيحية قديمة كان من المعتقد أنها تضم جداريات قديمة، وذلك بالقرب من عمود بومبي المشهور .ووصف حفرياته ومغامراته بمصر في دراسة اسمها "نتائج آثارية للرحلة في مصر شتاء عامي 1888 – 1889" التي لم يذكر فيها مغامراته فحسب، بل ووصف أهم الآثار التي عثر عليها في الطريق والتي كان زملاؤه الباحثون قد اكتشفوها .ولم يكتف بتعداد تواريخ وذكر أسماء باحثين فحسب بل وقدم نبذة تاريخية مختصرة عنهم.



قام "جولينيشيف" بزيارة الأقصر أيضاً حيث اقتنى من السكان المحليين عدداً كبيراً من التحف.

واشترى التحف في سوق الأقصر التي كانت تجمع فيها حينذاك تحف منطقة الصعيد كلها .

ومن هذه التحف : تابوت خشبي يعود إلى فرعون السلالة الحادية عشرة وقوس الأمير أميني وغيرهما .

تعتبر مجموعة التحف التي جمعها "جولينيشيف" خلال رحلاته العديدة إلى مصر من أثمن مجموعات الآثار المصرية القديمة. وتعتبر صور الفيوم المشهورة عالمياً درة لمجموعته. وهي لوحات تم العثور عليها في- واحة الفيوم- المفصولة تماما عن وادي النيل .ويعود تاريخها الى القرون 1 – 3 الميلادية في مصر الرومانية وكانت توضع على وجه المومياء. ومن وظيفتها مرافقة المتوفي الى الآخرة ومساعدته هناك. وتحتوي المجموعة إلى جانب التحف المصرية القديمة مخطوطات البردي العديدة المعمولة بالخط المسندي واللغات الفينيقية والسريانية

والعبرية والاغريقية والقبطية والعربية.

مصير مجموعة جولينيشيف مساوي شأنها شأن صاحبها نفسه.



في مطلع القرن العشرين انهارت شركة الذهب التي كانت عائلة جولينيشيف مساهمة فيها وقرر جولينيشيف الذي أصبح على وشك الإفلاس بيع معظم أقسام مجموعته الشهيرة، فوجّه رسالة الى ديوان حاشية الإمبراطور الروسي يطلب شراء مجموعته. فاهتمت بعض متاحف العالم في الوقت نفسه بشراء المجموعة وبالدرجة الأولى متحف برلين. لكن جولينيشيف بذل قصارى جهد لإبقاء المجموعة في روسيا حتى وافق على بيعها بالأقساط. وتبنى مجلس الدوما الروسي عام 1909 قانون شراء مجموعة التحف المصرية من مستشار الدولة "جولينيشيف"، وكان من المخطط تخزين المجموعة في متحف الفنون الجميلة المبني حديثا في موسكو، وتم نقل المجموعة من- بطرسبورج الى موسكو- عام 1911. وبذل "إيفان تسفيتايف" والد الشاعرة الروسية السوفيتية المشهورة "مارينا تسفيتايفا"، و أول مدير لمسرح الفنون الجميلة في موسكو جهوداً كبيرة لإقتناء مجموعة التحف المصرية. وتولى عملية تسليم المجموعة "بوريس توراييف" رئيس قسم المصريات في متحف الفنون الجميلة بموسكو. وتم عرض مجموعة التحف المصرية القديمة لأول مرة يوم إفتتاح المتحف، اي في 12 مايو سنة 1912. لكن جولينيشيف نفسه لم يحضر مراسم إفتتاح المتحف وتدشين عرض مجموعته بعد أن علم بتعيين الألماني "سيسينج" الذي ليس له أية علاقة بروسيا رئيسا لبعثة العلماء الروس في مصر، الأمر الذي دفعه الى مغادرة الوطن دون أن يتخلى عن منصبه في متحف الأرميتاج والذهاب الى فرنسا حيث أقام بمدينة- نيس- مع زوجته الفرنسية. وكان يمضي كل أجازة سنوية له في القاهرة ويعمل في متحف القاهرة. أما في شهر يناير فكان جولينيشيف يزور الأقصر حيث كانت نخبة من علماء المصريات في العالم كله تجتمع هناك كل سنة. لقد قطعت الحرب العالمية الأولى علاقته بالوطن نهائيا. وصار يبحث عن عمل في باريس فأخفق في ذلك. وتلقى عام 1923 دعوة لإلقاء المحاضرات في جامعة القاهرة حيث أرسى أسسا اكاديمية لعلم المصريات. وظل يشغل منصب بروفسور في جامعة القاهرة لغاية عام 1947. كما كان يدرّس علم الآثار في المدرسة ألاثارية ويترأس قسم المصريات في جامعة الملك فؤاد الأول "بزعفران". وأستمر جولينيشيف بالقاهرة في العمل الدؤوب على دراسة التحف المصرية واصدار المراجع.

لم يعتبر جولينيشيف متخصصاً في علم المصريات ودين الفراعنة القديم فحسب بل وفي مجال الفنون المصرية. ويعود إليه فضل التأكيد على ملامح مصرية أصيلة لمجسمات ابي الهول، إذ أن العلماء الغربيين كانوا يصرون على نظرية الانحدار الغربي لوجه أبي الهول..

كتب جولينيشيف ما يزيد عن 50 دراسة ومقالة في موضوع المصريات وأرسى بذلك أساساً

لعلم المصريات الروسي والمصري.

توفي "فلاديمير جولينيشيف" عام 1947 في ـ نيس ـ ودفن في مقبرة روسية.. أما مخطوطاته ودراساته غير المنشورة فورثها باحث المصريات الفرنسي "جان جارنو" الذي سلمها الى مدرسة باريس العليا حيث تم إستحداث مركز جولينيشيف.

وفي عام 2006 كرمت مصر عالم المصريات الروسى "فلاديمير سيمونوفيتش جولينيشيف" بإزاحة الستار عن تمثال نصفى من البرونز له فى حديقة المتحف المصرى .

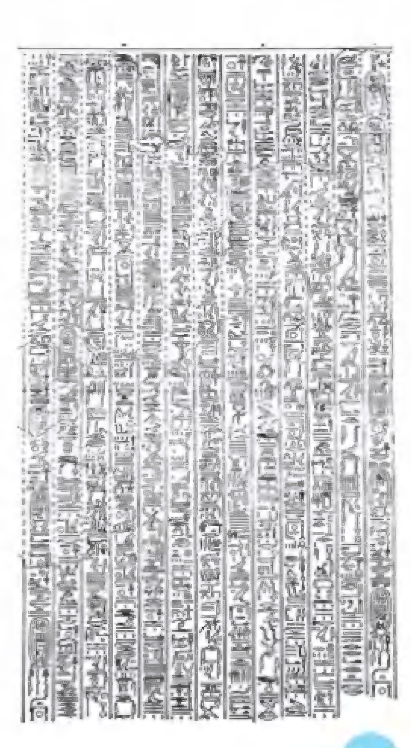
وألقى الدكتور زاهى حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار السابق كلمة بهذه المناسبة رحب فيها بالاعتراف بفضل علماء المصريات الأجانب خاصة بعد أن بدأ المجلس الأعلى للآثار تكريمهم منذ حوالى العام ونصف العام.

وقال حواس: إن مصر تعترف اليوم بفضل عالم آثار عظيم وإن لم يكن مشهورا على المستوى الشعبى لكنه قام بالعديد من الاكتشافات التى تسهم فى معرفة التاريخ المصرى القديم.

ومن جانبه، قال السفير الروسى السابق ميخائيل بوجدانوف ـ والنائب الحالي لوزير الخارجية:
ـ إن اسم "جولينيتشيف" (مؤسس علم المصريات فى روسيا) لا ينسى فى موسكو وهو معروف لمعظم الأكاديميين خاصة وأنه أول من قام بتدريس علم الآثار فى جامعة القاهرة.

وأضاف بوجدانوف أن مصر كانت بمثابة وطن ثان لجولينيشيف حيث حفر واشتهر اسمه هنا في التاريخ، معرباً عن امتنانه للمجلس الأعلى للآثار لإنه قام بتخليد إسم جولينتشيف فى ذكرى مرور 150 عاما على ميلاده وذلك بإقامة تمثال له فى حديقة المتحف المصرى .

مما يذكر أن مقتنيات جولينيشيف من الآثار المصرية (حوالي ست آلاف قطعة) تعتبر أساس الآثار المصرية الموجودة في متاحف روسيا.



ويعود لجولينيشيف فضل معرفة تاريخ حكم الفرعون اخناتون من خلال العثور على لوحات مكتوبة بالكتابة المسمارية تمثل رسائل حكام آسيا لفراعنة الاسرة الثامنة عشر التي كانت تقيم في تل العمارنة وذلك خلال بعثته إلى مصر في 1887. كما كشف رواية باسم الملكة حتشبسوت عن ترميم المعابد بعد غزو الهكسوس من 1650 إلى 1550 قبل الميلاد وهو ما يثبت تدمير الهكسوس لمصر خلال هجومهم ويرجع لجولينيشيف فضل الاهتمام أيضا بما يعرف باسم بورتريهات الفيوم.

وترجم جولينيشوف ـ الذي كان يجيد الهيروغليفية بتطوراتها المختلفة ـ قصة "المصري سنوهي" الذي فر من الحروب الداخلية وعاش مع البدو الرحالة قبل أن يعود إلى وطنه مرة أخرى خلال عصر الأسرة المتوسطة، كما أهتم جولينيشوف بطريق التجارة الذي كان يمر عبر أطلال مدينة "بيرينيكا" (كوبتوس) الساحلية على البحر الاحمر والتي كانت تمر بها القوافل التجارية في اتجاه سيناء حاملة النحاس والفيروز والزمرد والرصاص والذهب.

صحراء الفيوم ذاخرة بالآثار ..
والبعثة الروسية تستكمل أعمالها*
مجموعة مومياوات نادرة بحالة جيدة تثير انبهار العالم

بعثة الآثار الروسية بالفيوم إكتشفت في أواخر عام 2007 مقبرة ضخمة مليئة بالمومياوات
حفريات تثبت أن القدماء أجروا عمليات جراحية صعبة بالدماغ
المرضى عاشوا لسنوات طويلة بعد إجراء هذه العمليات
أكبر مجموعة صور وثائقية ترصد عملية الكشف الأثرى
صحراء الفيوم ذاخرة بالآثار .. والبعثة الروسية تستكمل أعمالها



* المصدر : **د.حسين الشافعي** - مجلة " **أنباء موسكو** " - الطبعة العربية - العدد (7) السنة الثانية - يناير 2008
الصور المنشورة للمقبرة تصوير- نديم زواوي - وكالة نوفوستي للإعلام .



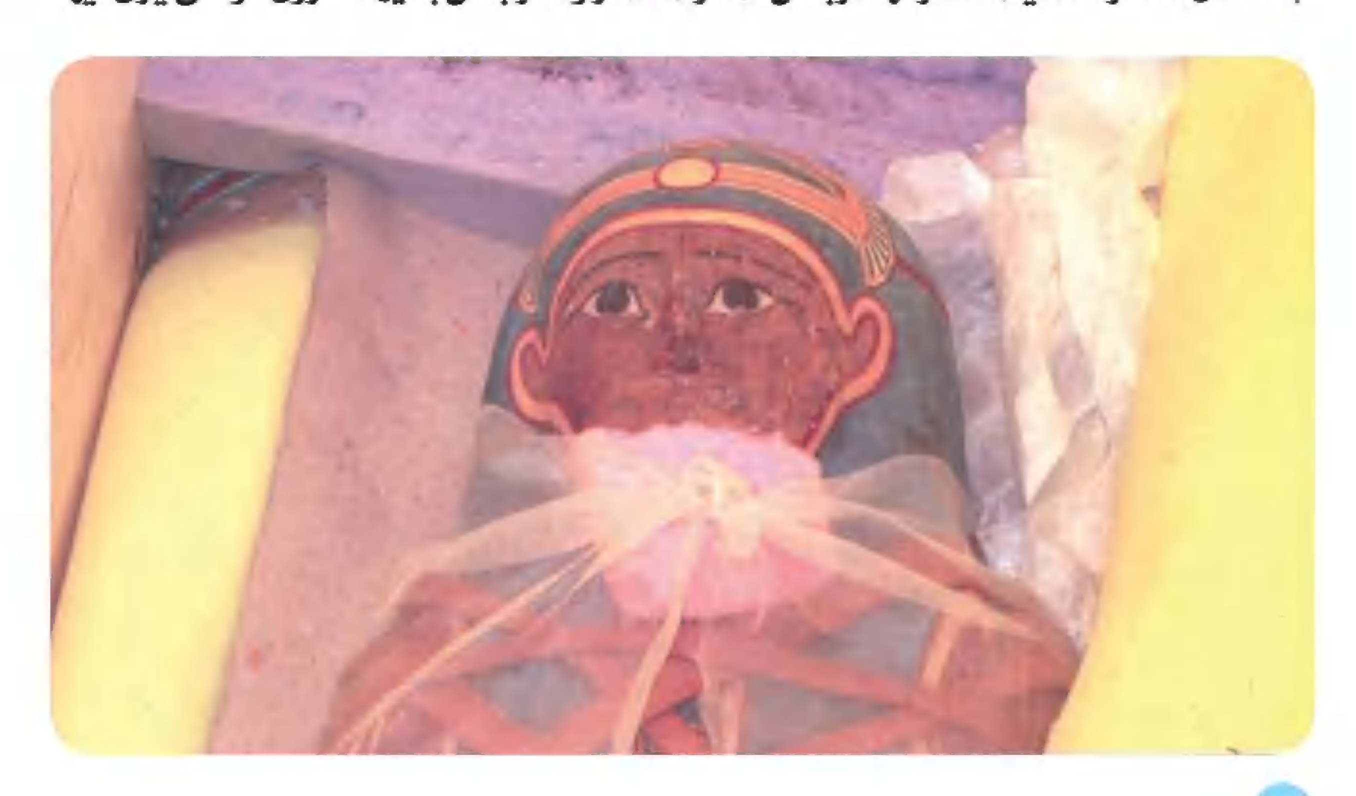
القدماء المصريون أول من قاموا بجراحات للدماغ ... وهناك الدليل

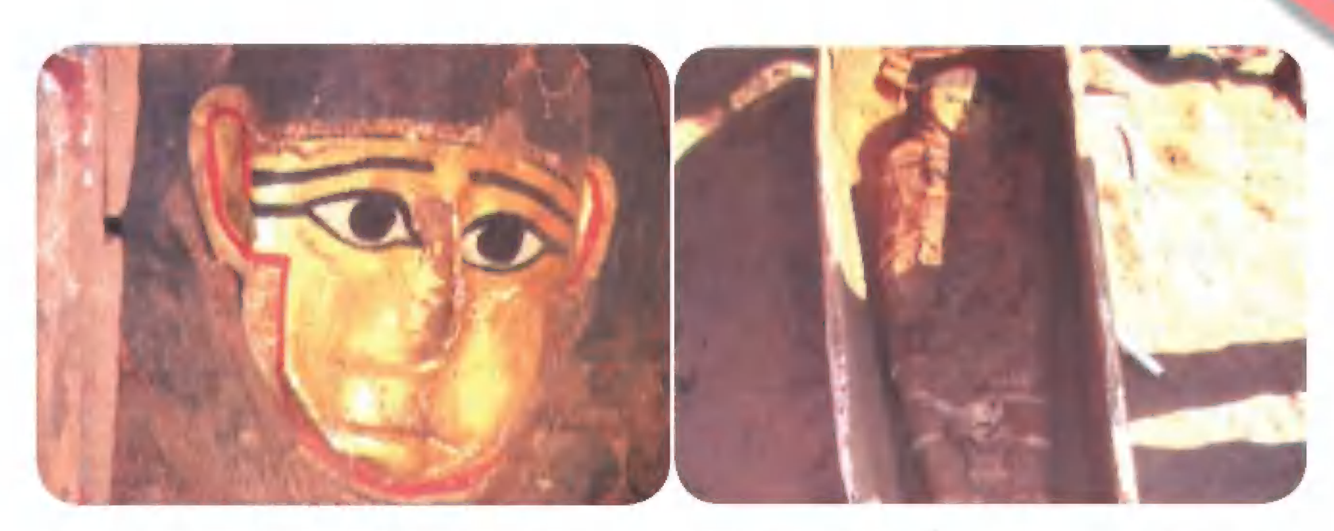
قامت مجموعة علماء آثار روس يعملون بصحراء الفيوم في نهايات عام 2007 بكشف أثرى كبير، حيث عثروا على مجموعة من المومياوات للعصر اليوناني ـ الرومانى لأول مرة إذ لم يسبق اكتشاف مثيل هذه الموميات من قبل.

كان هذا ما أعلنته رئيسة مركز أبحاث المصريات التابع لأكاديمية العلوم الروسية جالينا بيلوقا ، وأضافت : " إن العثور على هذه المومياوات من هذا العصر ، وبهذه الحالة أمر نادر ".

يذكر أن بعثة الآثار الروسية تقوم بأعمال البحث والتنقيب فى عدة أحياء بمصر بالعاصمة القديمة ممفيس ، ومدينة الإسكندرية ، وبالأقصر جنوب مصر .

منطقة الكشف الأثرى – وعلى بعد مئات الكيلو مترات جنوب العاصمة المصرية ... شهدت إنتتقال الأسرة الثانية عشر لها هرباً من صحراء مصر وللقرب من بحيرة قارون – والتى يرى فيها





علمـاء الآثار الـروس، مصدراً للحياة فـى الحقبة الفرعونية ، وسـاهمت أيما مسـاهمة فى صياغة ملامح الحضارة الفرعونية إذ كانت تزدهر بالسكان والزرع وأنشئت بها شبكات للرى .

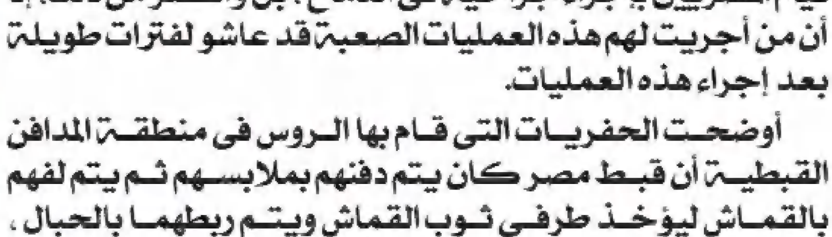


الأثريـون الروس يواصلون العمل فـى منطقة المقابر الأثرية ، والتـى بنى على أنقاضها "دير البنـات"، حيث كان قد بدأ العمل فيها على أيدى المصريين .. لكن لم تكن بالكثافة المطلوبة.

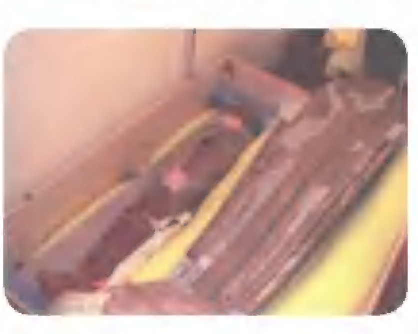
الطبقـات العليـا مـن المدافن- هـى مدافن قبطية- تشـير إلى جالينا بيلوفا - وتم العثور فيها على مجموعة من الحلى وألبسـة قبطيـة ،وكان أمراً غاية فى الروعة حيث إزدانت هذه الألبسـة بكتابات ومقاطع من العهد القديم .

الكشف عن أسرار هذه المومياوات سيبدأ بالـ X Ray





أثبتت الحفريات أيضاً أن الوفيات من المواليد لدى أقباط مصر كانت عالية، ودفن الكثير منهم مع أمهاتهم . عدد من الجماجم رصد عليها علامات تشير إلى آثار فتح فى الجمجمة ، مما يثبت قيام المصريين بإجراء جراحية فى الدماغ ، بل وأكثر من ذلك، إذ أن من أجريت لهم هذه العمليات الصعبة قد عاشو لفترات طويلة بعد إجراء هذه العمليات.



أوضحـت الحفريـات التى قـام بها الـروس فى منطقـة المدافن القبطيـة أن قبـط مصر كان يتم دفنهم بملابسـهم ثـم يتم لفهم بالقمـاش ليؤخـذ طرفـى ثـوب القماش ويتـم ربطهمـا بالحبال ، وتغلف الرأس بغلاف من الفخار الطينى .

مدافن الأقبـاط تقع أعلى مدافن العصـر اليونانى - الرومانى، والتـى تمثـل بدورها مرحلة هامـة للبعثة الروسـية ، وتقع هذه المدافن على عمق مترين وأكثر.

كان الكشـف الأخـير قـد أسـفر عـن العثـور علـى ثلاثة



مومياوات فى حالة جيدة تمثل العصر البطلمى، وكانت التوابيت التى ترقد فيها هذه المومياوات مبدعة ، حيث احتوت رسومات ملونة احتفظت بزهائها حتى الآن ، ومتابات هيروغليفية كُتب



عليها اسم صاحب المومياء وعائلته .

الأغطية الخشبية لتوابيت هذه المومياوات ضمت أقنعة مذهبة ، حافظت - وبعد مرور ما يزيد عن الألفى عام - على حالتها المبهره . ونُحت عليها ذقن رجلٍ فى إشارة إلى أن المومياء لرب عائلة .

مومياء لطفل يحيط به كلب .. وقطة ... وقرد .... لماذا ؟

هذه المومياوات سيبدأ الكشف عن أسرارها عبر عملية طويلة معقدة تستخدم فيها تقنيات تكنولوجية منها أجهزة الأشعة (XRay) والأشعة المقطعية ، والتى أصبحت تحسم بشكل دقيق عمر هذه المومياء كما أن مجموعة من البرامج ستعمل أيضاً على إظهار صورتها - الأقرب ما تكون إلى الطبيعة.

مومياء أخرى - عثر عليها فى نفس المنطقة - لم يمسسها أحد ، تقبع فى تابوت كرتونى من ورق البردى المضغوط بطول 140 سم لم يقرر العلماء فتحها بعد .. وستكشف أسرارها قريبا . لكن - وطبقاً للروسومات على التابوت الكرتونى

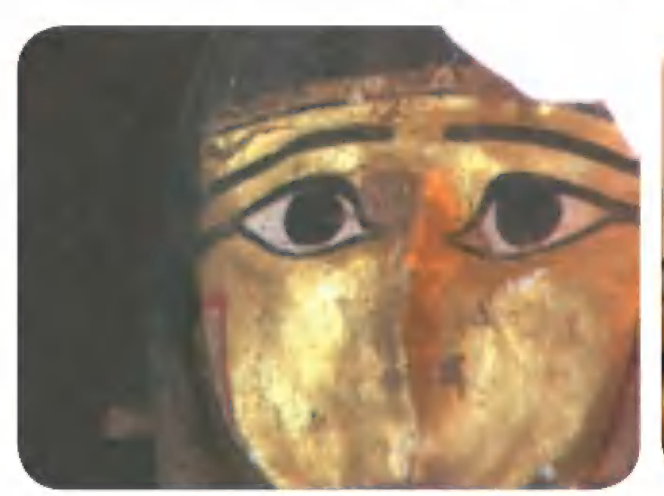
وأبعاده. فيتوقع الروس أن يكون ما بداخله مومياء لطفل (أنثى على الأرجح)

إضافة إلى ماسبق ... فقد كان الكشف الأكثر روعة لتابوت يحوى مومياء لطفل محاط بمومياء لكلب وقطة وقرد ، وهذا مالم يسبق العثور على مثيله فى أى من الإكتشافات السابقة لمومياوات . ولم يكتشف علماؤنا بعد الإجابة عن السؤال الهام الذى يطرحه هذا الكشف وهو ... لماذا يُدفن الطفل بجانب هذه الحيوانات ؟

إلى جانب ذلك .. كانت المومياء التى اكتشفناها لسيدة مسنة بديعة الوجه ... جميلة ... ضفائر شعرها تنسدل على صدرها .

صحراء الفيوم مازالت ذاخره بآثارها، والتنقيب يتم فيها بشكل غير دائم . هذا ما يدفع الأثريين الروس لزيادة مجهوداتهم فى محاولة منهم لنفض الغبار عن كنوزها .... وسوف تشهد مشروعاتهم للتنقيب عن آثار الحقبة اليونانية - الرومانية الجديد .. والجديد .





منف - العاصمة المصرية القديمة*

أكاديمية العلوم الروسية تنّقب عن آثار مهمة بمنف



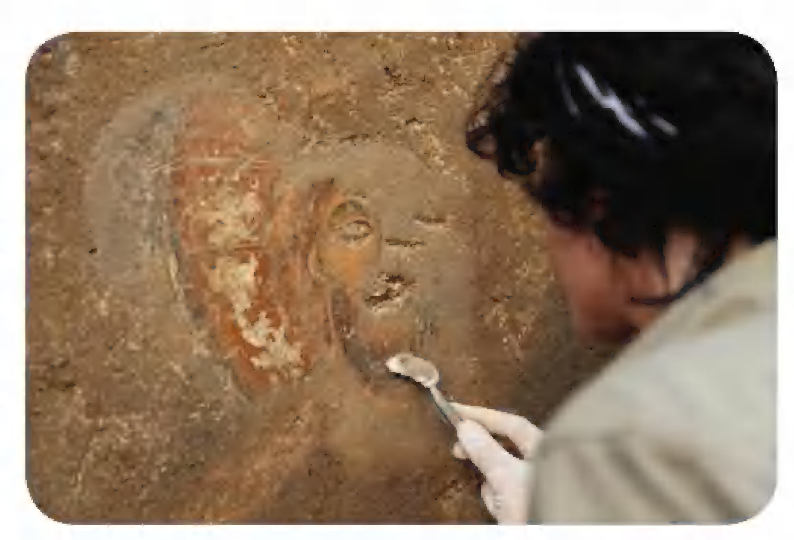
منذ عام 1995 يعمل مركز أبحاث المصريات التابع لأكاديمية العلوم الروسية فى مصر فى مجال الحفريات الأثرية وترميم الآثار المصرية القديمة والمسيحية.

وتغطى هذه الأنشطة الكثير من المدن المصرية مثل ـ الإسكندرية، والجيزة، والفيوم، والأقصر ـ.. ونتيجة للخبرات الضخمة المكتسبة من هذه الأعمال وغيرها تمكن العلماء الروس من اكتشاف الكثير من الآثار، وأيضاً حل بعض الأسرار التاريخية التى كانت مصاحبة للحياة فى مصر القديمة، والتى هى بلا مبالغة وتدعى بحق "مهد الحضارة".

ومن أهم أنشطة هذا المركز: ما يقوم به من حفريات أثرية فى منطقة منف عاصمة مصر القديمة خلال الدولة القديمة (عهد الأسر حتى السادسة). ولقد أظهرت خبرات السنوات السابقة أهمية دراسة الحياة المدنية فى مصر القديمة حتى يتسنى فهم التطور التاريخى والثقافى لهذه الحضارة المتميزة. ربما تضيف الاكتشافات الخاصة بالمعابد والمدافن والقصور بعض اللمسات الموضحة لظواهر معينة ولكن للحصول على صورة حية كاملة للحياة العامة فى مصر القديمة يجب معرفة الحياة الحقيقية "نبض الشارع" وهذا بلا شك أمر بعيد كل البعد عن الصور الأسطورية.

لعبت "منف" بحكم موقعها الجغرافى المتوسط دوراً مهماً فى الحياة الاقتصادية، والسياسية، والثقافية والدينية فى مصر القديمة. واعتبرت "منف" ـ بسبب جزء كبير من سكانها الاجانب "مدينة كونية" ولقد كتب عنها الرحالة والمؤرخ الإغريقى "سترابون" والذى زارها فى القرن الأول قبل الميلاد ما يلى: هي مدينة كبيرة كثيفة السكان تأتى فى المرتبة الثانية بعد الإسكندرية وسكانها مختلفو الأعراق على غرار الإسكندرية نفسها وعلى الرغم من أن منف

* المصدر : جاليانا بيلوفا - مجلة " أنباء موسكو " - الطبعة العربية - العدد (3) السنة الأولى - ابريل 2007



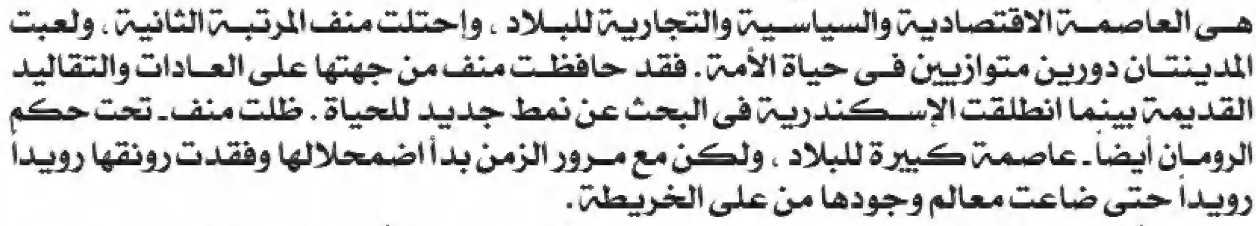
(منفيس) قد جاء ذكرها تقريباً فى مكاتبات كل اللغات القديمة إلا أن تاريخها لم يظهر فى هذه الوثائق كما ينبغى، ومن هنا مرة أخرى كانت أهمية الدراسات والحقائق الأثرية لفهم تاريخ هذه المدينة العظيمة.

احتلت "منف" نقطة بداية دلتا نهر النيل حيث ينقسم النهر لعدة أفرع (رأس المثلث المقلوب) ، ولقد أسماها المصريون القدماء "ميزان الأرضين" أى مصر العليا ومصر السفلى ، وبسبب هذا الموقع المتميز لعبت منف دوراً فى توازن جزئي مصر فى هذا الوقت وأصبحت مركزاً استراتيجياً كبيراً وتحكمت منف فى التجارة بين مصر العليا (الصعيد) ومنطقة الدلتا بل أيضاً حركة البضائع مع حوض البحر المتوسط .

لقد رأى الأجانب فى منف صورة تعكس عبق تاريخ مصر ، ومن هنا أصبح اسم المعبد الرئيسى فى منف "ايجى بتاح" وترجمته لليونانية القديمة "ايجيبتوس" اسم مصر كلها فى العالم القديم.

وحسب رواية المؤرخ الإغريقى الشهير "هيرودوت" فقد أسس هذه المدينة الملك مينا "نارمر" موحد القطرين فى عام 3000 قبل الميلاد . فى عصر الدولة المتوسطة عندما احتل "الهكسوس" (قبائل





المناطق السورية - الفلسطينية) مصر، حيث اتخذوا منف عاصمة لهم يحكمون منها البلاد .

ثم أتى عصر الرعامسة (الأسرة التاسعة عشر) كنقطة انطلاق جديدة لمنف حيث اكتسبت أهمية خاصة حيث أصبح الإله بتاح (العالم بلغات الشعوب الغربية) من أهم الآلهة الحارسة لقصور الدولة الحديثة وهذا أيضاً يشهد على توارد الأجانب لمنف بأعداد كبيرة .

بعد إستيلاء الإسكندر الأكبر على مصر أصبحت الإسكندرية هى العاصمة الاقتصادية والسياسية والتجارية للبلاد ، واحتلت منف المرتبة الثانية ، ولعبت المدينتان دورين متوازيين فى حياة الأمة. فقد حافظت منف من جهتها على العادات والتقاليد القديمة بينما انطلقت الإسكندرية فى البحث عن نمط جديد للحياة . ظلت منف - تحت حكم الرومان أيضاً - عاصمة كبيرة للبلاد ، ولكن مع مرور الزمن بدأ اضمحلالها وفقدت رونقها رويداً رويداً حتى ضاعت معالم وجودها من على الخريطة .

حالياً يحتوى هذا المكان على بعض المرتفعات (الأكوام) حيث تجرى بعثة أكاديمية العلوم الروسية أعمال تنقيب أثرية بواحد من هذه التلال يسمى "كوم تومان" حيث قام الفرعون "آ برى" ببناء قصر فى القرن السادس قبل الميلاد ، وبناءاً على أوامر خليفته الملك "أماسيس" تم استدعاء حامية من المرتزقة الإغريق تحرس حدود مصر من الدلتا إلى "كوم تومان"، ربما بعد هذا تحول "كوم تومان" إلى نقطة عسكرية حصينة. ولقد بنى قصر أخر للبطالمة بجوار قصر "آ برى" إلى القرب من الموقع الحالى لكوم تومان ، حيث يستقر الملوك المتعاقبون فى عصر البطالمة عندما يزورون منف للاحتفال بأعياد الجلوس الملكية والتى كانت تجرى طقوسها فى المعبد القريب للإله "بتاح" من كوم تومان .

ظواهر أخرى كثيرة تدل على استمرار مثل هذا المعسكر الحربى بكوم تومان حتى فى أيام الرومان، حيث لم يتعد عدد أفراد هذا الفيلق الأجنبى 500 عسكرى (وهو عدد قليل) مما أدى إلى اندثار الحصن من حيث التجهيزات العسكرية (الدشن) وأيضاً السور الخارجى وغالباً ما تتحول مثل هذه الوحدات العسكرية إلى خلية إنتاجية ، فى الأساس ، لمصنع الأجزاء المعدنية الخاصة بالسلاح ، والعجلات ، والدروع والخوذ وخلافه .

ومن المحتمل أن هؤلاء العسكريين قد قاموا ببناء معبد خاص بالإله "ميترا" والذى انتشرت عبادته فى الجيش الرومانى حيث تم العثور على نقوش تحمل صورته فى منطقة "كوم دقبابى" فى بداية القرن التاسع عشر .

ولم تحظ منطقة "كوم تومان" بدراسة متأنية منظمة ، حتى حصل مركز الدراسات المصرية القديمة بأكاديمية العلوم الروسية على موافقة الهيئة العليا للآثار بالقيام بأعمال





الحفر والتنقيب عن هذا الأثر المهم عام 2001 ، وتحتوى منطقة الامتياز الروسى للتنقيب على ثلاثة أجزاء : كوم تومان ، تل عزيز ، وكوم دقبابى ويبلغ متوسط مساحة المنطقة الأثرية هناك حوالى 20 هكتار .

خلال الفترة من 2002 وحتى 2004 نتيجة للأبحاث والمسح الجيوفيزيقى لهذه المنطقة عن طريق مركز الدراسات المصرية القديمة بأكاديمية العلوم الروسية إتضح أن من المؤكد تواجد هذا الأثر الذى ستكشف عنه الدراسات القادمة ، حيث أظهر المسح الجيوفيزيقى وجود طبقات أثرية تتعدى فى سمكها 12 متراً .

وأسفرت أعمال التنقيب عن اكتشاف كميات كبيرة من المجموعات الأثرية المصنوعة من عدة مواد منها المعدنية والمصنوعات السيراميكية والخزفية وأيضاً منتجات الألباستر المنتشرة على السطح القريب لمنطقة الامتياز .

وأكدت هذه المصنوعات القديمة وجود معسكر روماني فى كوم تومان ، بينما أظهرت الدراسات الأثرية أن هذا الأثر استمر لعصور قريبة. وقد تم اكتشاف طبقات مبنية ـ ربما تعود لعصر الدولة الحديثة ـ تحتها طبقات أخرى بعمق خمسة مترات ربما تشير إلى أعمال بناء فى عصور الدولة الوسطى وربما أيضاً القديمة.

وحتى الآن فقد تم التنقيب فى المنطقة الوسطى لكوم تومان بأبعاد 40 × 80 متراً عن أعلى منسوب للبناء. وربما يكون المبنى الكبير ـ الذى كُشف عنه فى الطبقات الأعلى للمكان ـ كان هو مقر القيادة لهذا المعسكر . وقد وُجد أيضاً خزانٌ للماء ، ونظامٌ للإمداد بالمياه عبارة عن خط أنابيب من داخل الجدران يخرج إلى أعماق كبيرة تحت الأرض. بقيت أيضاً بئر مياه مزودة بنظام بدائي لتنقية المياه. ولقد استُخدمت الأوعية السيراميكية والخزفية ـ واحد داخل الآخر ـ فى تدعيم البئر وإنشاء أنبوب الماء .



مؤخراً ، تم الكشف فى الجزء الشمالى الشرقى من المنطقة عن مُجمَّع صناعي كبير لصب البرونز وإنتاج الأوانى الخزفية والمصنوعة من الالباستر ، و وجدت ـ أيضاً ـ تماثيل صغيرة تمثل رجالاً ونساءاً من العصر البطلمي – الروماني فى هياكل منزلية صغيرة كخدام لعبادة الاخصاب .

ومما لا شك فيه أن التنقيب المستمر لمنطقة كوم تومان سيلقى مزيداً من الضوء على تاريخ منف – عاصمة مصر القديمة.



ملف مصور
للعلاقات الدبلوماسية
المصرية الروسية



رئيس البعثة الدبلوماسية الروسية في مصر س.ب. كوزيريف في زيارة للقصر الملكى 13 مايو 1950 لتقديم أوراق إعتماده سفيراً بالقاهرة



أعضاء البعثة الدبلوماسية للإتحاد السوفيتي في مصر برئاسة السفير س.ب. كوزيريف (الرابع من اليسار) 13 مايو 1950



حفل إستقبال بمقر البعثة السوفيتية بالقاهرة بمناسبة ذكرى 35 لثورة أكتوبر 1917 ، على اليسار السفير السوفيتي كيكتيف يستقبل رجال الثورة المصرية عبد الناصر وسالم والبغدادي 7نوفمبر1952



زيارة عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة للإتحاد السوفيتي خلال المباحثات مع القادة السوفيت والسكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي نيكيتا خورشوف بمدينة موسكو 14مايو 1958



الرئيس جمال عبد الناصر يتلقى أوراق إعتماد السفير السوفيتي بالجمهورية العربية المتحدة ف.يا. إيروفييف بالقصر الجمهوري 3 نوفمبر 1959



رائد الفضاء السوفيتي يوري جاجارين في زيارته التاريخية لمصر في ضيافة الرئيس جمال عبد الناصر وأسرته بمنزله 1962



الزيارة الرسمية للسكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي نيكيتا خروشوف للجمهورية العربية حيث جرى إستقبال باخرته بميناء الأسكندرية مايو 1964



ناصر وخورشوف يردان تحية الجماهير

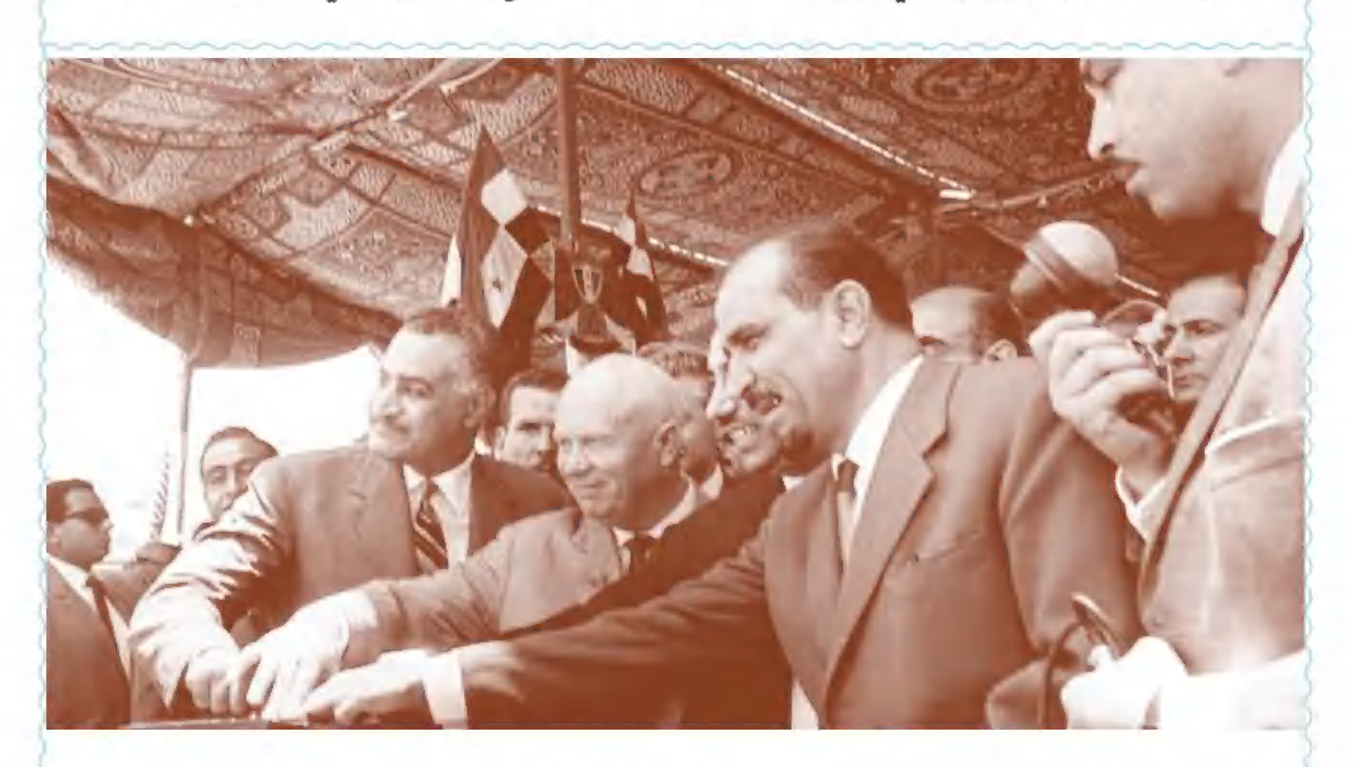
خورشوف وحديث باسم مع الزعيم المصري
جمال عبد الناصر



الرئيس جمال عبد الناصر يرحب بنيكيتا خورشوف في مظاهرة شعبية ورسمية بميناء
الأسكندرية بعد وصول الضيف السوفيتي مايو 1964



الرئيسان ناصر وخورشوف في عربة مكشوفة تخترق شوارع وسط البلد في العاصمة القاهرة



إشارة البدء في تفجير الديناميت لتغيير مجرى النيل إلى محطة كهرباء خزان أسوان مايو 1964



الحاج عبد الناصر حسين والد الرئيس جمال عبد الناصر وفي إستقباله السفير السوفيتي أيروفييف وحرمه للتهنئة بذكرى ثورة أكتوبر العظمى في مقر السفارة السوفيتية بالقاهرة



رئيس وزراء مصر على صبري في زيارته للإتحاد السوفيتي نيكيتا خورشوف بالكرملين سبتمبر 1964



الرئيس جمال عبد الناصر خلال زيارته للإتحاد السوفيتي وإلى يمينه بريجنيف السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وكوسيجين رئيس مجلس الوزراء وإلى يساره ميكويان رئيس مجلس السوفيت الأعلى ونائب الرئيس المصري السادات 27 اغسطس 1965



حفل إستقبال رسمي بالكرملين للرئيس جمال عبد الناصر حيث كان في إستقباله بريجنيف وكوسيجين رئيس مجلس الوزراء و ميكويان رئيس مجلس السوفيت الأعلى وزكريا محي الدين والسادات ومحمود رياض



الزعيم جمال عبد الناصر يتوسط المبعوثين الدارسين بالإتحاد السوفيتى بعد لقائه بهم في موسكو - يوليو 1968

من بينهم الدكاترة رأفت القوصي وسامي السباعي ومسعد عويس وشريف حلمي والسفير وفاء حجازي وصبحي عبد الحكيم



زيارة رئيس مجلس الأمة أنور السادات للإتحاد السوفيتي وجولة في الميدان الأحمر وأسوار الكرملين 1967



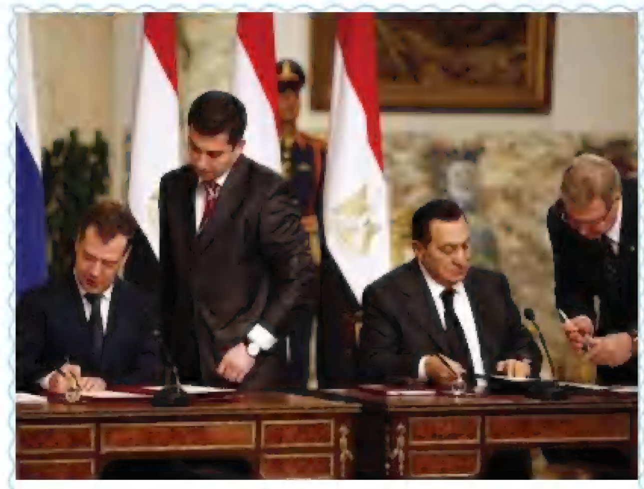
سفير الإتحاد السوفيتي بمصر فينوجرادوف في إستقبال الفرقاطة "موسكفا" من الأسطول السوفيتي بالبحر الأسود خلال زيارتها للموانئ المصرية ابريل 1970



ألكسي كوسيجين في وداع رئيس مجلس الوزراء المصري عزيز صدقي بمطار فنوكوفا بعد الانتهاء من زيارته لموسكو 13 يوليو 1972



سيرجي لافروف وزير الخارجية الروسي وأحمد أبو الغيط وزير الخارجية المصري ، واجتماعات الدورة الثالثة للحوار الاستراتيجي المصري الروسي على مستوى الوزراء بموسكو 2007



الرئيس المصري السابق حسني مبارك في استضافة رئيس روسيا الإتحادية الأسبق ديمتري ميدفيديف والتوقيع على اتفاق الشراكة الإستراتيجية ـ القاهرة ـ يوليو 2009



الأستاذ محمد حسنين هيكل في لقاء مع رسلان حسبو اللاتوف رئيس مجلس السوفيت الأعلى للإتحاد السوفيتي السابق والدكتور حسين الشافعى في منزل الأستاذ هيكل لمناقشة تداعيات الحرب الشيشانية



الفريق ابراهيم العرابي رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق في إفتتاح معرضه الفنى بالمركز الثقافي الروسي بالقاهرة وحوار بين السفير نبيل العربي السفير المصري الأسبق بموسكو والدكتور حسين الشافعى



زيارة بطريرك موسكو وسائر روسيا كيريل الأول ولقائه برئيس مجلس الشعب المصري (السابق) احمد الفتحى سرور في حضور سفير روسيا (السابق) ميخائيل بجدانوف بالقاهرة مايو 2010



وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف أثناء زيارته القاهرة ولقائه بشباب ثورة 25 يناير وشاركه اللقاء السفير السابق ميخائيل بجدانوف- القاهرة- يونيو 2011



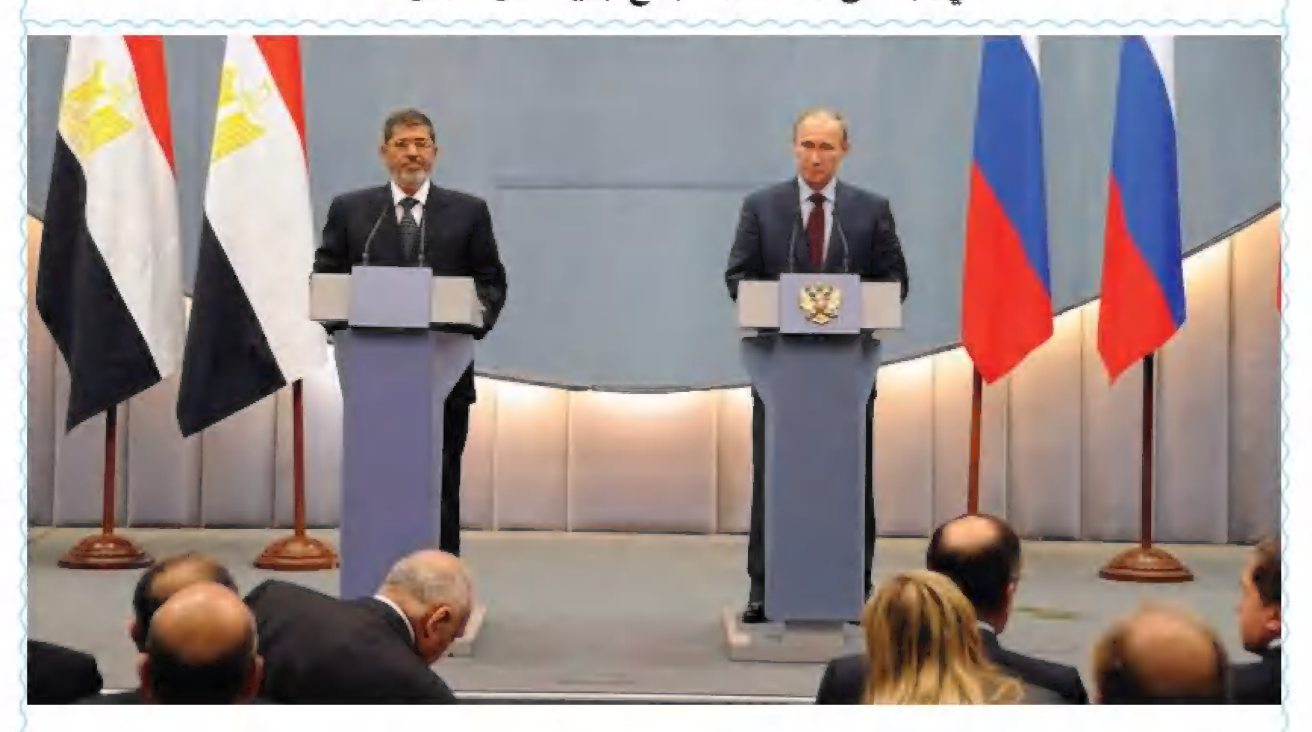
سيرجي لافروف وزير الخارجية الروسي ومحمد كامل عمرو وزير الخارجية المصري ، وإجتماعات الدورة الرابعة للحوار الاستراتيجي المصري الروسي على مستوى الوزراء بموسكو 2011



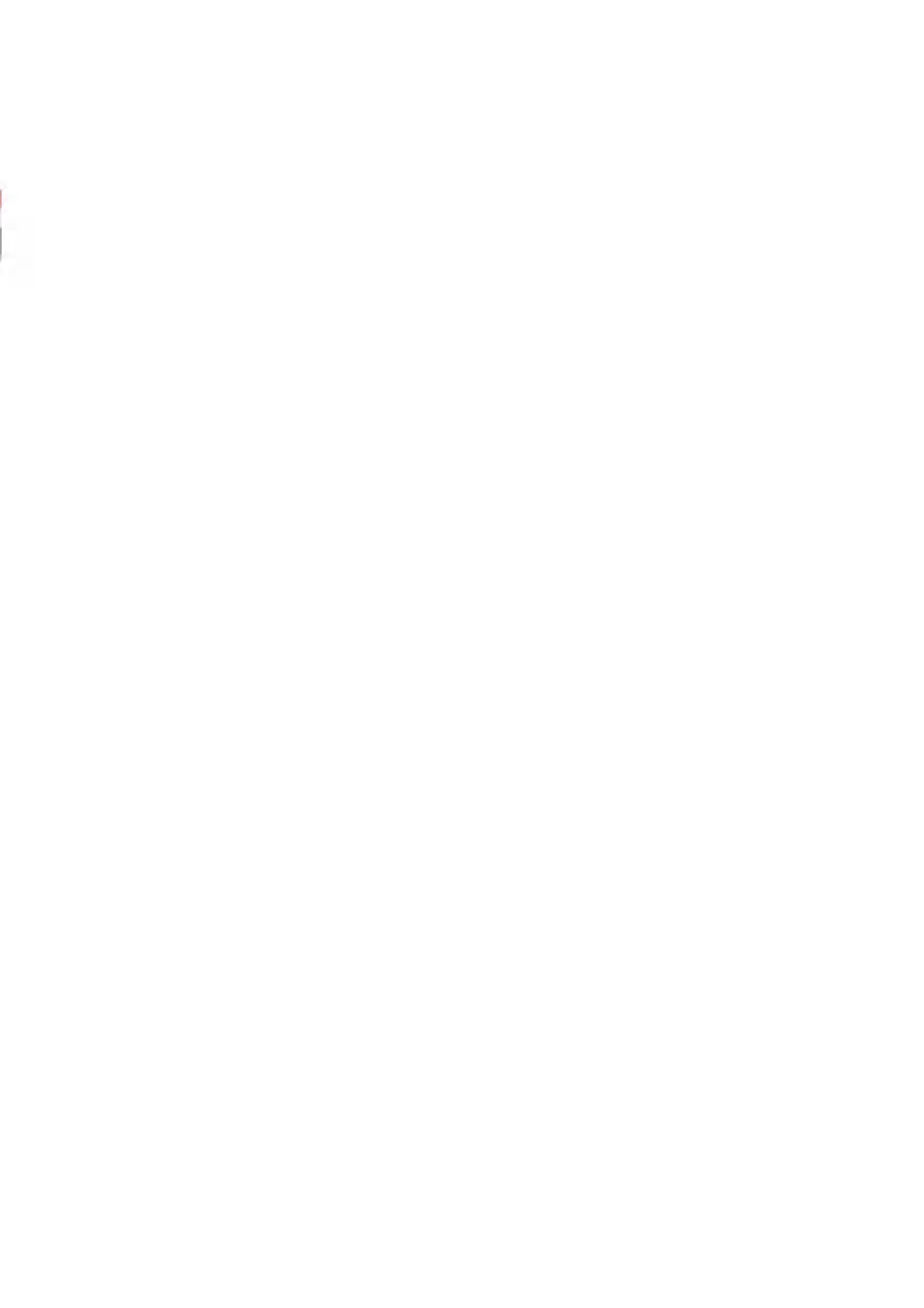
الفريق ميخائيل زافاليى مدير المشروعات الخاصة بمؤسسة روس أبارون اكسبورت والدكتور حسين الشافعى مستشار وكالة الفضاء الروسية في لقاء الدكتور أيمن الدسوقي رئيس هيئة الإستشعار عن بعد السابق والدكتور محمد مدحت مختار خلال مباحثات مشروع القمر المصري الثاني Egy-sat2 يناير 2012



الرئيسان فلاديمير بوتين ومحمد مرسى بمدينة ديربان بجنوب أفريقيا على هامش مشاركتهما في إجتماع رؤساء دول تجمع "بريكس" مارس 2013



الرئيسان فلاديمير بوتين ومحمد مرسى بمدينة سوتشي بروسيا الإتحادية إبريل 2013



ملف وثائقي للعلاقات الدبلوماسية المصرية الروسية



السد العالى 1959



CABINET
DU
PRESIDENT DE LA REPUBLIQUE

Mr.Nikita Khroushchev

Chairman of the Council of Ministers of the Union of

Socialist Soviet Republics

Moscow

I have received with great appreciation and much pleasure your kind cable embodying the heartiest greetings and noblest sentiments expressed in your own name and on behalf of the Soviet Government on the occasion of the signing of the Agreement on the High Dam between the Soviet Union and the United Arab Republic.

We profoundly appreciate and value very highly the sincere help rendered and commendable effort made by the Soviet Union in this connection.

The relationship between the United Arab Republic and the Soviet Union has always been based upon putting into practice of the principles of peaceful coexistence and honest equal cooperation. The signing of the Agreement on rendering economic and technical assistance by the Soviet Union to the United Arab Republic in executing the first stage of the Aswan High Dam has been most effective in consolidating the unshakable friendship between our two countries.

It pleases me to express on behalf of the Government and the people of the United Arab Republic and on my own behalf our most heartfelt thanks hoping that the bonds of friendship existing between our two peoples will be further strengthened and cemented as time goes on.

I take this opportunity to extend to the friendly peoples of the Soviet Union my best wishes for glory and grandeur.

Gamal Abdul Nasser

Cairo, January 1, 1959

Перевод с французского

ТЕЛЕГРАММА

Из Каира
22 октября 1964 г.

ЕГО ПРЕВОСХОДИТЕЛЬСТВУ
ПРЕДСЕДАТЕЛЮ СОВЕТА МИНИСТРОВ

Москва

Ваше послание второй конференции глав государств и правительств неприсоединившихся стран было высоко нами оценено и вызвало у нас чувство удовлетворения. Пользуюсь этим случаем, чтобы передать от имени моих коллег и от своего имени Вашему Превосходительству и Вашему благородному народу наши искренние приветствия, а также пожелания прогресса и процветания Вашей стране, в мире, где царили бы мир, безопасность и дружба.

ГАМАЛЬ АБДЕЛЬ НАСЕР

Председатель второй конференции глав государств и правительств неприсоединившихся государств

Бюро переводов
МИД СССР
24.X.64 г.

Верно:

مؤتمر دول عدم الإنحياز 1964

110-21 ОБВ 128

Телеграмма направлена клером
секр-том т.Кузнецова В.В.
29 сентября 1970 г.

ТЕЛЕГРАММА

ЕГО ПРЕВОСХОДИТЕЛЬСТВУ

господину МАХМУДУ РИАДУ,
МИНИСТРУ ИНОСТРАННЫХ ДЕЛ ОБЪЕДИНЕННОЙ
АРАБСКОЙ РЕСПУБЛИКИ

г.Каир

Примите мое глубокое соболезнование в связи с безвременной кончиной выдающегося государственного деятеля, большого друга Советского Союза президента Объединенной Арабской Республики Гамаль Абдель Насера. Вместе с Вами разделяю вашу скорбь в связи с этой тяжелой утратой.

А.ГРОМЫКО

برقية عزاء
جروميكو في وفاة
عبد الناصر 1970



الاصدقـــاء ليونيد بريجنيف سكرتير أول الحزب الشيوعي السوفييتى • نيكولاى بودجورنى رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى • اليكســـى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى •

بمناسبة مرور عام على توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين جمهورية مصر العربية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية • يطيب لى باسمى وباسم الاتحاد الاشتراكى العربى وشعب وحكومة مصر أن أعرب لكم عن خالص التهانـــــــــى •

لقد كانت تلك المعاهدة انعكاسا وتأكيدا للعلاقات الودية والروابط المتينة بين شعبينا التى تجمعها مع كافة الشعوب المحبة للحرية والعدل والسلام – جبهة النضال ضد الاستعمار والامبريالية • كما أسهمت فى تعزيز صمود الشعب المصرى ضد العدوان الصهيونى الامبريالى • ودعم قدراته على مواصلة الكفاح من أجل هزيمة ذلك العدوان وتحرير جميع الاراضى العربية المحتلة واستعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطيـــن المناضل •

وسوف يظل الشعب المصرى يذكر بالتقدير وقفة الصداقة الشريفة الحازمة التى تقفها الى جانبه شعوب الاتحاد السوفييتى والتى تشكل مثالا يحتذى للعلاقات بين الدول والشعوب التى تتطلع الى بناء عالـــم يسوده التقدم والرفاهية والرخاء فى جو من السلام العادل والامان • والتى أرست قواعد العلاقات المستقبلة بيننا تربة متينة لمصلحة الشعبين والبلدين •

مع أطيب تمنياتى لكم أيها الاصدقاء بالصحة والسعادة والهناء • ولشعوب الاتحاد السوفييتى الصديقة بمزيد من التقدم والرفاهية والتوفيق •

محمـــد أنور الســـادات

القاهرة فى ١٩٧٢/٥/٢٦

برقية بمناسبة مرور عام على توقيع معاهدة الصداقة والتعاون 1972

37

Перевод с арабского

ПОСОЛЬСТВО АРАБСКОЙ РЕСПУБЛИКИ
ЕГИПЕТ

Москва

30 августа 1973 года

Господин Андрей ГРОМЫКО

По случаю 30-й годовщины установления дипломатических отношений между Союзом Советских Социалистических Республик и Арабской Республикой Египет мне приятно выразить Вам наилучшие пожелания и подтвердить наше горячее желание поддерживать и развивать отношения дружбы и сотрудничества, существующие между нашими странами в интересах египетского и советского народов.

Эти отношения подтвердили, что они строятся на прочной основе борьбы против империализма во всех его проявлениях, во имя мира на земле. Египет внес свой вклад в эту область в целях освобождения и социального прогресса.

Если сионизм покушался на наши достижения после его агрессии в 1967 году, то крушение этой агрессии и ликвидация ее последствий на всех арабских территориях, оккупированных Израилем, является целью, во имя достижения которой сплачиваются все силы мира и прогресса.

Договор о дружбе и сотрудничестве между Советским Союзом и Египтом является результатом конструктивного сотрудничества и совместной борьбы за мир, строящийся на справедливости и на развалинах сионизма и империализма в этом районе.

Я пользуюсь этим случаем и желаю Вам, Ваше Превосходительство доброго здоровья и успехов в Вашей большой работе.

Мухаммед Хасан Зайят,
министр иностранных дел

Перевел:

 (Ю.Борзило)

برقية وزير الشئون الخارجية محمد حسن الزيات بمناسبة 30 عام على قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين 1973

١٤٠ 38

Перевод с арабского

ПОСОЛЬСТВО АРАБСКОЙ РЕСПУБЛИКИ
ЕГИПЕТ
Москва
№ 103

31 августа 1973 года

Посольство Арабской Республики Египет свидетельствует свое уважение Министерству Иностранных Дел Союза Советских Социалистических Республик и имеет честь препроводить при этом письмо министра иностранных дел АРЕ господина Мухаммеда Хасана Зайята министру иностранных дел СССР господину Громыко в связи с 30-летие установления дипломатических отношений между Советским Союзом и Арабской Республикой Египет. Посольство просит уважаемое Министерство Иностранных Дел передать вышеупомянутое письмо господину Громыко.

Посольство пользуется этим случаем, чтобы выразить уверения в своем высоком уважении.

МИНИСТЕРСТВУ ИНОСТРАННЫХ ДЕЛ СССР

Перевел: (М.Юдин)

Разослано:
1 - т.Громыко А.А.
2 - т.Кузнецов В.В.
3 - Генсекретариат
4 - ПО
5 - Пос-во СССР в АРЕ
6 - дело
31.8.73 г.;оц/МЮ
вх. N 100-н/056

تابع برقية وزير الشئون الخارجية محمد حسن الزيات بمناسبة 30 عام على قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين 1973

الإتفاقية المصرية-السوفيتية القنصلية 1975

اتفاقيــة قنصليــة
بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية
وجمهورية مصـر العربيـة

ان اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وجمهورية مصر العربية ،

رغبة منهما في تدعيم وتطوير علاقات الصداقة وفقا لمعاهدة الصداقة والتعاون البرية بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وجمهورية مصـر العربيـة والموقعة في القاهرة في السابع والعشرين من مايو ١٩٧١ ،

ورغبة منهما في تنظيم العلاقات القنصلية بينهما ،

فقد قررا عقد هذه الاتفاقية القنصلية ولهذا الغرض اتفقا على ما يلي :

الباب الأول

التعاريـف

المادة (١)

لأغراض هذه الاتفاقية ، تكون للمصطلحات الواردة فيها بعد المعاني الآتية :-

(١) قنصلية : يعني أية قنصلية عامة ، قنصلية ، نيابة قنصلية أو وكالة قنصليـة .

(٢) الدائرة القنصلية : يعني المنطقة المخصصة في الدولة الموفد اليها القنصليـة لممارسة وظائفها القنصلية .

(٣) رئيس بعثة قنصلية : يعني أي شخص توكل اليه مهمة ادارة القنصليـة .

(٤) عضو قنصلـي : يعني أي شخص ، بما في ذلك رئيس البعثة القنصليـة ، تسند اليه ممارسة الوظائف القنصليـة .

- ٢٠ -

من تاريخ تبادل وثائق التصديق الذي سيتم في موسكو .

(٢) تظل هذه الاتفاقية سارية المفعول الى حين انقضاء ستة اشهر من تاريخ قيام احد الطرفين الساميين المتعاقدين باخطار الطرف السامي المتعاقد الآخر كتابة برغبته في انهائها .

واشهادا على ذلك وقع مفوضا الطرفين الساميين المتعاقدين على هذه الاتفاقية وختماها بخاتميهما .

حررت في القاهرة بتاريخ ٣ فبراير عام ١٩٧٥ من نسختين وكل نسخة باللغتين الروسية والعربية ولكل من النصين نفس الحجية .

عن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية	عن جمهورية مصـر العربيـة

الإتفاقية المصرية ـ السوفيتية القنصلية 1975

КОНСУЛЬСКАЯ КОНВЕНЦИЯ
между Союзом Советских Социалистических Республик
и Арабской Республикой Египет

Союз Советских Социалистических Республик и Арабская Республика Египет,

руководимые желанием дальнейшего развития дружественных отношений в соответствии с Договором о дружбе и сотрудничестве между Союзом Советских Социалистических Республик и Арабской Республикой Египет, подписанным в Каире 27 мая 1971 г., и

желая урегулировать консульские отношения между ними,

решили заключить настоящую Консульскую Конвенцию и с этой целью согласились о нижеследующем.

РАЗДЕЛ I

ОПРЕДЕЛЕНИЯ

Статья I

В настоящей Конвенции приводимые ниже термины имеют следующие значения:

1. "консульство" означает генеральное консульство, консульство, вице-консульство и консульское агентство;

2. "консульский округ" означает район страны пребывания, отведенный консульству для выполнения консульских функций;

3. "глава консульства" означает лицо, которому поручено руководить консульством;

4. "консульское должностное лицо" означает любое лицо, включая главу консульства, которому поручено выполнение консульских функций;

24.

РАЗДЕЛ V

ЗАКЛЮЧИТЕЛЬНЫЕ ПОСТАНОВЛЕНИЯ

Статья 44

1. Настоящая Конвенция подлежит ратификации и вступит в силу на тридцатый день после обмена ратификационными грамотами, который состоится в Москве.

2. Настоящая Конвенция будет действовать впредь до истечения шести месяцев со дня, когда одна из Высоких Договаривающихся Сторон в письменной форме сообщит другой Высокой Договаривающейся Стороне о своем намерении прекратить ее действие.

В удостоверение чего Уполномоченные Высоких Договаривающихся Сторон подписали настоящую Конвенцию и скрепили ее своими печатями.

Совершено в Каире "3" февраля 1975 года в двух экземплярах, каждый на русском и арабском языках, причем оба текста имеют одинаковую силу.

За Союз Советских Социалистических Республик

За Арабскую Республику Египет

برقية الدكتور عصمت عبد المجيد وزير الخارجية المصري إلى إدوارد شيفرنادزه وزير الخارجية الروسي بمناسبة الذكرى 45 لإقامة العلاقات الدبلوماسية 1988

الى صاحب المعالـــى

السيد / ادوارد شيفرنادزه

عضو اللجنة المركزية ووزير خارجيـــة

اتحاد الجمهوريات السوفيتيـــة

موسكـــو

بمناسبة الذكرى الـ ٤٥ لاقامة العلاقات الدبلوماسية بين جمهورية مصر العربية واتحاد الجمهوريات السوفيتية أرجو ان تتقبلوا يا سيادة الوزير خالص التهانى القلبية وأطيب التمنيات.

ويسعدنى بهذه المناسبة أن اشيد بالمستوى الذى وصلت اليـه العلاقات بين بلدينا متمنيا لها دوام التقدم فى اتجاه الخيـر للدولتين. كما نتمنى أن تتضافر جهودنا لتحقيق السلام فى الشـرق الأوسط والعالم أجمع.

وأنتهز هذه الفرصة يا سيادة الوزير لأعرب لكم عن تمنياتـى بموفور الصحة والتقدم.

د. احمد عصمت عبد المجيد

القاهرة فى: ١٩٨٨/٨/٢٦

<u>Перевод с арабского</u>

89

Получена Посольством СССР
в Каире из МИД АРЕ
24 августа 1988 года

ЕГО ПРЕВОСХОДИТЕЛЬСТВУ ГОСПОДИНУ
Эдуарду ШЕВАРДНАДЗЕ,
члену Политбюро ЦК КПСС, министру иностранных дел СССР

Т Е Л Е Г Р А М М А

г. Москва

По случаю 45-й годовщины установления дипломатических отношений между Арабской Республикой Египет и Союзом Советских Социалистических Республик прошу Вас, господин министр, принять искренние, сердечные поздравления и наилучшие пожелания.

Рад выразить в этой связи высокую оценку достигнутого уровня отношений между нашими двумя странами и пожелать им дальнейшего прогресса на благо наших государств. Мы выступаем за наращивание совместных усилий во имя достижения мира на Ближнем Востоке и во всем мире.

Пользуясь этим случаем, желаю Вам, господин министр, крепкого здоровья и успехов.

Д-р АХМЕД ИСМАТ АБДЕЛЬ
МАГИД

Каир, 24 августа 1988 года

Перевел: /А.Р.Кульмухаметов/

ترجمة برقية الدكتور عصمت عبد المجيد وزير الخارجية المصري بمناسبة الذكرى 45 لإقامة العلاقات الدبلوماسية 1988

برنامج التعاون الإقتصادي والتجاري والفني والعلمي طويل الأمد بين مصر والاتحاد السوفيتي 1990

برنامج طويل الاجل

للتعاون الاقتصادي والتجاري والفني والعلمي بين

اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وجمهورية مصر العربية

حتى عام ٢٠٠٠

إن حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وحكومة جمهورية مصر العربية اخذا في اعتبارها علاقات الصداقة التقليدية القائمة بين بلديهما وشعبيهما ورغبة منهما في المزيد من تقوية وتنمية علاقات الصداقة هذه على أساس من المساواة والمصالح المشتركة .

وإيمانا منهما بأن اقتصاديات كل منهما تقدم فرصا كبيرة لتوسيع وتنويع التعاون الاقتصادي والتجاري والفني والعلمي .

وقد عزمتا على مزيد من تطوير وتدعيم مبادئ الاستقلال القومي والسيادة وعدم التدخل في الشئون الداخلية لكل منهما والمساواة في الحقوق والمنافع المتبادلة .

ورغبة منهما في أن يسهما في اقامة نظام اقتصادي دولي جديد ومنصف .

وأخذا في الاعتبار أحكام الاتفاق بين حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وحكومة جمهورية مصر العربية للتعاون الاقتصادي والتجاري والعلمي والفني في ٢٠ مايو ١٩٨٨ واتفاقية التجارة والدفع الموقعتان في ٢٣ يونيو ١٩٦٢ ، واتفاق التعاون العلمي والفني الموقع في ٢٠ فبراير ١٩٧١ والمستندات الحكومية السوفيتية المصرية الاخرى قد أقرتا هذا البرنامج طويل الاجل للتعاون الاقتصادي والتجاري والفني والعلمي بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وجمهورية مصر العربية حتى عام ٢٠٠٠ .

أولا — احكام عامة :

يهدف هذا البرنامج الى زيادة توسيع وتحسين التعاون بين البلدين في المجالات الاقتصادية والتجارية والفنية والعلمية على أسس ثابتة لفترة طويلة من خلال الانتفاع من الامكانيات والاحتياجات وفقا للقواعد القانونية السارية بين البلدين وكذلك يهدف تحقيق المنافع المتبادلة واستغلال موارد القوى الطبيعية وخلق واعادة انشاء والتوسع في مختلف المشروعات التي تعمل المشروعات المشتركة ونقل التكنولوجيا

(٦)

وقع في موسكو بتاريخ ١٥ مايو عام ١٩٩٠ من أصلين باللغات الروسية والعربية والانجليزية وجميعها لها نفس الحجية .

وتعتبر النسخة الانجليزية هي وثيقة العمل .

عن	عن
حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية	حكومة جمهورية مصر العربية

تابع برنامج التعاون الإقتصادي والتجاري والفني والعلمي طويل الأمد بين مصر والاتحاد السوفيتي 1990

تابع برنامج التعاون الإقتصادي والتجاري والفني والعلمي طويل الأمد بين مصر والاتحاد السوفيتي 1990

إتفاقية التعاون الثقافي - العلمي
1995

اتفاقية التعاون الثقافي والعلمي
بين
حكومة روسيا الفيدرالية وحكومة جمهورية مصر العربية

ان حكومة روسيا الفيدرالية وحكومة جمهورية مصر العربية، استرشادا بعلاقات الصداقة بين البلدين وانطلاقا من التعاون الإيجابي الراسخ، واعترافا بأهمية تعميق وتوطيد الاحترام المتبادل بينهما والتعرف على التراث الثقافي لروسيا ومصر.

وانطلاقا من الرغبة في مزيد من تطوير العلاقات الثقافيه ودعم التعاون العلمي بين البلدين،
قد اتفقتا على مايلي:-

(مادة ١)

يساهم الجانبان في تطوير التعاون في مختلف مجالات الثقافه والتعليم والعلوم والسياحه والرياضة على اساس المنفعه بالمثل وطبقا للقوانين والقواعد السارية في بلديهما.

(مادة ٢)

يعزز كل جانب نشر الثقافه والادب والفنون الخاصه بالجانب الآخر.

(مادة ٣)

يتخذ الجانبان طبقا لقواعد القانون الدولي وتشريعاتهما التدابير اللازمه لمنع الانتقال غير المشروع للمواد الثقافيه ويتعاونان في تبادل المعلومات حول تلك المواد الثقافيه كما يتخذان التدابير اللازمه لاعادتها الى موطنها.

(مادة ١٥)

تصبح هذه الاتفاقيه سارية المفعول من تاريخ تبادل الاخطار النهائي باستلام الاجراءات القانونية في البلدين وتكون صالحه لمدة خمس سنوات وتجدد تلقائيا لمدة مماثله اخرى مالم يخطر احد الطرفين الطرف الاخر كتابة وقبل ستة اشهر من تاريخ انتهاء المدة السارية برغبته في انهاء الاتفاقيه.

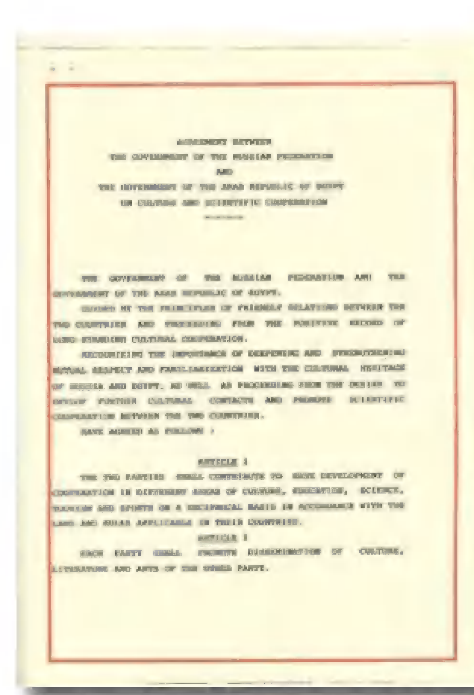
عندما تصبح هذه الاتفاقية سارية المفعول فان اتفاقية التعاون الثقافي بين الاتحاد السوفيتي وجمهورية مصر العربية في ١٩٥٧/١/١٠ تصبح لاغية.

وقعت هذه الاتفاقية في القاهرة بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٩٥ من أصلين باللغات الروسية والعربية والانجليزيه ولكل منهما نفس الحجيه. وفي حالة الاختلاف يعتد بالنص الانجليزي.

عن حكومة
روسيا الفيدرالية

عن حكومة
جمهورية مصر العربية

تابع إتفاقية التعاون الثقافي- العلمي 1995



AGREEMENT BETWEEN
THE GOVERNMENT OF THE RUSSIAN FEDERATION
AND
THE GOVERNMENT OF THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT
ON CULTURAL AND SCIENTIFIC COOPERATION

THE GOVERNMENT OF THE RUSSIAN FEDERATION AND THE GOVERNMENT OF THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT,

GUIDED BY THE PRINCIPLES OF FRIENDLY RELATIONS BETWEEN THE TWO COUNTRIES AND PROCEEDING FROM THE POSITIVE RECORD OF LONG-STANDING CULTURAL COOPERATION,

RECOGNIZING THE IMPORTANCE OF DEEPENING AND STRENGTHENING MUTUAL RESPECT AND FAMILIARIZATION WITH THE CULTURAL HERITAGE OF RUSSIA AND EGYPT, AS WELL AS PROCEEDING FROM THE DESIRE TO DEVELOP FURTHER CULTURAL CONTACTS AND PROMOTE SCIENTIFIC COOPERATION BETWEEN THE TWO COUNTRIES,

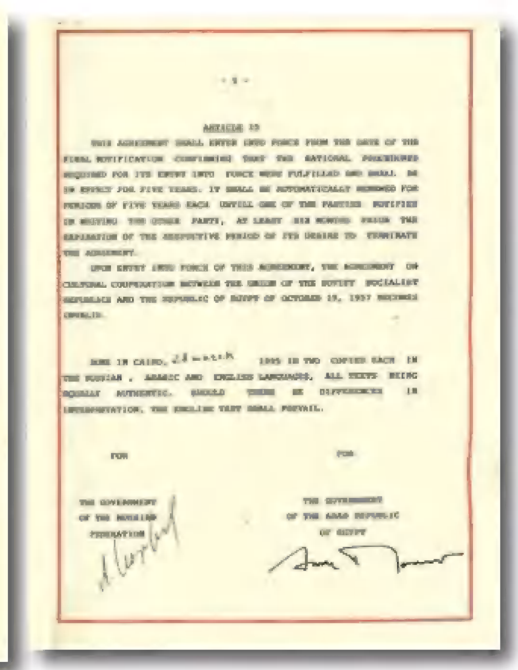
HAVE AGREED AS FOLLOWS :

ARTICLE 1

THE TWO PARTIES SHALL CONTRIBUTE TO MORE DEVELOPMENT OF COOPERATION IN DIFFERENT AREAS OF CULTURE, EDUCATION, SCIENCE, TOURISM AND SPORTS ON A RECIPROCAL BASIS IN ACCORDANCE WITH THE LAWS AND RULES APPLICABLE IN THEIR COUNTRIES.

ARTICLE 2

EACH PARTY SHALL PROMOTE DISSEMINATION OF CULTURE, LITERATURE AND ARTS OF THE OTHER PARTY.



ARTICLE [illegible]

THIS AGREEMENT SHALL ENTER INTO FORCE FROM THE DATE OF THE FINAL NOTIFICATION CONFIRMING THAT THE NATIONAL PROCEDURES REQUIRED FOR ITS ENTRY INTO FORCE WERE FULFILLED AND SHALL BE IN EFFECT FOR FIVE YEARS. IT SHALL BE AUTOMATICALLY RENEWED FOR PERIODS OF FIVE YEARS EACH UNTILL ONE OF THE PARTIES NOTIFIES IN WRITING THE OTHER PARTY, AT LEAST SIX MONTHS PRIOR THE EXPIRATION OF THE RESPECTIVE PERIOD OF ITS DESIRE TO TERMINATE THE AGREEMENT.

UPON ENTRY INTO FORCE OF THIS AGREEMENT, THE AGREEMENT ON CULTURAL COOPERATION BETWEEN THE UNION OF THE SOVIET SOCIALIST REPUBLICS AND THE REPUBLIC OF EGYPT OF OCTOBER 19, 1957 BECOMES INVALID.

DONE IN CAIRO, 28 march 1995 IN TWO COPIES EACH IN THE RUSSIAN , ARABIC AND ENGLISH LANGUAGES, ALL TEXTS BEING EQUALLY AUTHENTIC. SHOULD THERE BE DIFFERENCES IN INTERPRETATION, THE ENGLISH TEXT SHALL PREVAIL.

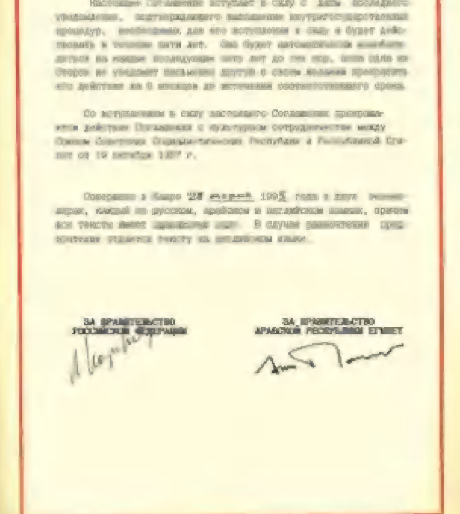
FOR	FOR
THE GOVERNMENT OF THE RUSSIAN FEDERATION	THE GOVERNMENT OF THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT

تابع إتفاقية التعاون الثقافي- العلمي 1995

СОГЛАШЕНИЕ

Статья 1

Статья 2



ЗА ПРАВИТЕЛЬСТВО РОССИЙСКОЙ ФЕДЕРАЦИИ

ЗА ПРАВИТЕЛЬСТВО АРАБСКОЙ РЕСПУБЛИКИ ЕГИПЕТ

الإعلان المصري الروسي المشترك 1997
(النسخة العربية)

الاعلان الروسي – المصري المشترك

أولاً: الوضع الدولـــي:

١- إن الرئيسين بوريس ن. يلتسين رئيس روسيا الاتحادية وحسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، إذ استعرضا الوضع الدولي ، قد توصلا إلى أنه قد تفتحت آفاق وخيارات جديدة لتشكيل نظام جديد يسود العلاقات فيما بين الدول ، متعدد الأقطاب في بنيانه ، ويتأسس على المشاركة المتكافئة وعلى التطبيق المتواصل لمبادىء وأهداف ميثاق الأمم المتحدة من أجل التوصل إلى السلام والاستقرار وتحسين الأوضاع على مستوى العالم عامة وعلى مستوى مختلف الأقاليم والمناطق ، وللارتقاء بمستويات معيشة الشعوب . إن ذلك كله يقتضي تنسيق الجهود الدولية الهادفة إلى تمكين الشعوب من جني ثمار التسارع في التحول التاريخي واستثمار الانجازات في التقدم العلمي والتقني لصالح البشرية بأسرها ومن أجل أمنها وازدهارها . إن التنوع في القيم الثقافية والاجتماعية للشعوب والحضارات يجب أن يكون جزءاً لا يتجزأ من التراث الانساني . كما أنه من الحيوي والضروري الحفاظ على حقوق الانسان المتعارف عليها ، على أن يكون ذلك مقرونا بالاحترام الكامل للخصائص القومية والتقاليد الثقافية المتميزة .

٢- إن تقدم العالم يجب ألا يتحقق من خلال توسيع وتدعيم التكتلات العسكرية، وإنشاء خطوط تقسيم جديدة ، بل يجب أن يتحقق من خلال إقامة هياكل دولية للأمن على أساس جماعي.

٣- تعرب روسيا ومصر عن استعدادهما للعمل المشترك من أجل زيادة فعالية منظمة الأمم المتحدة وهما يثمنان عاليا الدور الذي تضطلع به الأمم المتحدة ومجلس الأمن في مجال صون السلام وتسوية الصراعات الدولية والاقليمية القائمة والحيلولة دون نشوء صراعات جديدة. وفي نفس الوقت إذا ما اتخذ مجلس الأمن ، وفقا لميثاق المنظمة الدولية ، قرارات بفرض عقوبات فإنه يتعين حصر الضرر الناجم عن تطبيقها في حدوده الدنيا سواء بالنسبة للدول الثالثة أم بالنسبة للمناطق المجاورة . أما فيما يتعلق بالعقوبات ذاتها فإنه لابد وأن ينظر في أن يكون لها إطار زمني وأن تخفف وأن ترفع في الوقت الذي يتحقق فيه تقدم في تنفيذ قرارات مجلس الأمن.

(٦)

٢٤- وانطلاقا من أهمية تكثيف العمل في البحث عن أشكال جديدة للتعاون المشترك بما في ذلك في دوائر رجال الأعمال ، فقد اتفق الجانبان على عقد مؤتمر اقتصادي في القاهرة في خريف ١٩٩٨ يهدف إلى وضع إطار استراتيجي لتنمية العلاقات الاقتصادية بين روسيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية.

٢٥- كما اتفق الجانبان على إعطاء دفعة إضافية لنشاط اللجنة الروسية – المصرية المشتركة للتعاون التجاري والاقتصادي والعلمي والفني ، والعمل على تنفيذ كافة الاتفاقيات .

٢٦- وانطلاقا من هذه المبادىء فإن الطرفين يتطلعان إلى المستقبل بروح من التفاؤل ، ويتوقعان توسيع آفاق التعاون المشترك في مختلف المجالات .

عن روسيا الاتحادية	عن جمهورية مصر العربية
بوريس ن. يلتسين	محمد حسني مبارك

موسكو في الثلاثاء ٢٣ سبتمبر ١٩٩٧

الإعلان المصري الروسي المشترك 1997
(النسخة الروسية)

СОВМЕСТНАЯ РОССИЙСКО-ЕГИПЕТСКАЯ ДЕКЛАРАЦИЯ

I. Положение в мире

1. Президент Российской Федерации Б.Н.Ельцин и Президент Арабской Республики Египет Х.Мубарак, рассмотрев положение в мире, пришли к выводу, что сегодня возникают возможности для формирования качественно новой, многополярной по своей структуре, системы взаимоотношений между государствами, основанной на равноправном партнерстве и последовательном проведении в жизнь принципов и целей Устава ООН в интересах достижения мира и стабильности, оздоровления ситуации в мире и в отдельных регионах, повышения уровня жизни народов. Требуются скоординированные международные усилия с тем, чтобы народы сумели воспользоваться ускорением исторического процесса, задействовать достижения науки и техники в интересах всего человечества, безопасности и процветания. Разнообразие культурных и социальных ценностей народов и цивилизаций должно стать составной частью общего наследия человечества. Насущной необходимостью является соблюдение общепризнанных прав человека при полном уважении национальных особенностей и культурных традиций.

2. Развитие мира должно идти не по пути расширения и усиления военных блоков, проведения новых разграничительных линий, а к созданию устойчивых структур международной безопасности на коллективной основе.

3. Россия и Египет готовы совместно работать над повышением эффективности Организации Объединенных Наций. Они высоко оценивают роль, которую играет Организация Объединенных Наций и ее Совет Безопасности в сохранении мира, урегулировании имеющихся и недопущении появления новых международных и локальных конфликтов. Вместе с тем, когда Совет Безопасности в соответствии с Уставом выносит решение о применении санкций, ущерб от их введения, как и ущерб для третьих стран и соседних регионов должен быть сведен к минимуму. Сами

6.

стороны договорились провести в Каире осенью 1998 г. экономическое совещание в целях определения стратегии развития экономических отношений между Российской Федерацией и Египтом.

25. Было условлено придать дополнительный импульс работе Совместной российско-египетской комиссии по торговле, экономическому и научно-техническому сотрудничеству и выполнению всех двусторонних договоренностей и соглашений.

26. Основываясь на вышеизложенном, стороны с уверенностью и оптимизмом смотрят в будущее, ожидают расширения горизонтов взаимоотношений во всех областях.

ЗА РОССИЙСКУЮ ФЕДЕРАЦИЮ

Б.ЕЛЬЦИН

ЗА АРАБСКУЮ РЕСПУБЛИКУ ЕГИПЕТ

Х.МУБАРАК

Москва, 23 сентября 1997 года

برنامج تنمية التعاون طويل الأجل
2001

برنامج طويل الأجل
لتنمية التعاون الاقتصادى والتجاري والصناعي والعلمي والفنى
بين
روسيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية

حكومة روسيا الاتحادية وحكومة جمهورية مصر العربية المشار إليهما فيما بعد بالطرفين ،

أخذا في اعتبارهما علاقات الصداقة التقليدية القائمة بين البلدين، والثقة في أن اقتصاديهما يتيحا فرصا ضخمه لتنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والعلمية والفنية بين البلدين ، فإنهما يتطلعان إلى الاستفادة من هذه الفرص لصالح شعبي البلدين ،

وبالنظر إلى نصوص الاتفاق الموقع بين حكومة روسيا الاتحادية وحكومة جمهورية مصر العربية في ١٤ مايو ١٩٩٢ ، والبروتوكول الخاص به الموقع في ٥ نوفمبر ١٩٩٣ بين حكومة روسيا الاتحادية وحكومة جمهورية مصر العربية ، واتفاق التعاون الاقتصادى والفنى الموقع في ٩ نوفمبر ١٩٩٤ والوثائق الحكومية الروسية - المصرية الأخرى ،

قد أقرتا هذا البرنامج طويل الأجل لتنمية التعاون الاقتصادى والتجارى والصناعي والعلمي والفنى بين البلدين .

١) نصوص عامة :

يجتهد الطرفان من أجل توسيع وتنمية التعاون بين البلدين في مجالات الاقتصاد والتجارة والصناعة والعلوم والتكنولوجيا على أساس المنفعة المتبادلة وطويلة الأجل في إطار الإمكانيات والاحتياجات الحالية وطبقا للتشريعات السارية في كل من البلدين .

ولهذا الغرض يتخذ الطرفان الإجراءات اللازمة لضمان نمو التجارة بين البلدين ، واستخدام مواردهما الطبيعية ومصادر الطاقة لديهما من أجل مصلحتهما المشتركة ، إقامة وتجديد وتوسيع المشروعات المختلفة ، من خلال إنشاء المشروعات المشتركة ، ونقل التكنولوجيا والإنجازات العلمية والفنية وتدريب الأفراد في مختلف المجالات .

- ٦ -

٦) أحكام نهائية :

وافق الطرفان على تكليف اللجنة الفرعية الخاصة بالتعاون الاقتصادى والعلمي والفنى بالتنسيق ومتابعة تنفيذ البرنامج الطويل الأجل الحالي والمعاونة في حل المشاكل التى يمكن أن تنشأ عن تنفيذه .

يدخل البرنامج طويل الأجل لتنمية التعاون الاقتصادى والتجارى والصناعي والعلمي والفنى حيز النفاذ من تاريخ توقيعه، ويسرى لمدة عشر سنوات، ويتجدد تلقائيا لمدة سنة أخرى، ما لم يخطر أحد الطرفين الطرف الآخر - كتابة - بنية إنهائه، قبل ستة أشهر على الأقل من انتهاء السريان.

حرر في موسكو في   أبريل ٢٠٠١ من أصلين باللغات العربية والروسية والإنجليزية ولكل من النسخ الثلاث نفس الحجية . وفي حالة الاختلاف في التفسير يعتد بالنص الانجليزى .

عن حكومة جمهورية مصر العربية	عن حكومة روسيا الاتحادية

تابع برنامج تنمية التعاون طويل الأجل 2001

LONG – TERM PROGRAMME
For the Development of Economic, Commercial, Industrial, Scientific and Technical Cooperation between
The Russian Federation
and
The Arab Republic of Egypt

The Government of the Russian Federation and The Government of the Arab Republic of Egypt hereinafter referred to as Parties.

Taking into consideration the traditional friendly relations existing between the two countries,

Being convinced that their economies provide broad opportunities for the development of economic, commercial, scientific and technical relations between the two countries,

Aspire to realize these opportunities in the interest of the peoples of both countries,

With due regard to the provisions of the Agreement between the Government of the Russian Federation and the Government of the Arab Republic of Egypt signed on May 14th 1992, the Protocol thereto signed on November 5th, 1993 between the Government of the Russian Federation and the Government of the Arab Republic of Egypt, the Agreement on Economic and Technical Cooperation signed on November 9th, 1994 and other Russian – Egyptian inter-governmental documents,

have adopted this Long – Term Programme for the Development of Economic, Commercial, Industrial, Scientific and Technical Cooperation between the two countries.

1 – General Provisions

The Parties shall strive for the expansion and the development of cooperation between the two countries in the fields of economy, trade, industry, science and technology on a mutually beneficial and long-term basis within the framework of the existing possibilities and requirements and in accordance with the legislations in force in each country.

- 6 -

The Long-Term Programme for the Development of Economic, Commercial, Industrial, Scientific and Technical Cooperation will enter into force from the date of signing it.

This Long-Term Programme shall remain in force for a period of ten (10) years and shall be automatically extended for one more year unless either Party notifies, in writing, the other Party of its intention to terminate this Long -Term Programme at least six months prior to the expiration date.

Done in Moscow on April 17, 2001 in two original copies, each in the Russian, Arabic, and English languages, all three texts being equally authentic. In case of any divergence of interpretation the English text shall prevail.

For the Government of the Russian Federation	For the Government of the Arab Republic of Egypt

ДОЛГОСРОЧНАЯ ПРОГРАММА
развития торговли, экономического, промышленного и научно-технического сотрудничества между Российской Федерацией и Арабской Республикой Египет

6

За Правительство Российской Федерации	За Правительство Арабской Республики Египет

تابع برنامج تنمية التعاون طويل الأجل 2001

إعلان مبادئ علاقات الصداقة والتعاون المصري الروسي 2001

إعلان
مبادئ علاقات الصداقة والتعاون
بين
الإتحاد الروسي
وجمهورية مصر العربية

أن الإتحاد الروسي وجمهورية مصر العربية ، المشار إليهما فيما بعد بـ " الطرفان " ،

إستلهاماً لتقاليد الصداقة والإحترام والتعاون البناء بين شعبي الدولتين ،

تعبيراً عن إلتزامهما بأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة ،

رغبة منهما في الإسهام في تحقيق السلام الشامل والعادل في الشرق الأوسط لصالح شعوب هذه المنطقة على أساس مبدأ " الأرض مقابل السلام " ،

إقتناعا منهما بأن المزيد من تنمية علاقات الصداقة والمشاركة والثقة المتبادلة تلبي المصالح الأساسية لشعبي الدولتين وتساهم في تعزيز السلم والأمن الدوليين ،

قد اتفقا على ما يلي :

4

10- يتعاون الطرفان في تحقيق التبادل في مجالات الثقافة والفنون والتعليم والإعلام والرياضة ، والإسهام في إنشاء علاقات بين المؤسسات الثقافية والفنية والمهنية في كلا البلدين .

11- يتعاون الطرفان في مكافحة الإرهاب الدولي في كل مظاهره ، بما في ذلك الأعمال التي تؤثر على سلامة الطيران المدني والملاحة البحرية ، وأخذ الرهائن ، وكذلك الأنشطة الإجرامية التي تتخذ الشكل المنظم أساسا ، بما في ذلك الإتجار غير المشروع في المواد المخدرة والمواد المؤثرة على الحالة النفسية والتهريب والإتجار غير المشروع في المواد الثقافية عبر الحدود .

12- يتخذ الطرفان التدابير لتبسيط إجراءات الإتصالات بين رعايا كل من البلدين ، بما في ذلك زيارات العمل والزيارات الثقافية والعلمية والخاصة . ويقوم الطرفان بتطوير التعاون بين المؤسسات والمنظمات العامة والجمعيات والإتحادات الأخرى طبقاً لأحكام التشريع الوطني لكل من البلدين.

حرر في موسكو يوم من شهر ابريل 2001 ، من أصلين كل باللغات العربية والروسية والإنجليزية .

رئيس الإتحاد الروسي
فلاديمير ف . بوتين

رئيس جمهورية مصر العربية
محمد حسني مبارك

تابع إعلان مبادئ علاقات الصداقة والتعاون المصري الروسي 2001

DECLARATION

ON PRINCIPLES OF FRIENDLY RELATIONS AND COOPERATION BETWEEN THE RUSSIAN FEDERATION AND THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT

The Russian Federation and the Arab Republic of Egypt, hereinafter referred to as the Parties,

Inspired by traditions of friendship, respect and fruitful cooperation between the peoples of the two States,

Expressing their commitment to the objectives and principles of the United Nations Charter,

Determined to contribute to achieving full and comprehensive peace in the Middle East in the interests of all the peoples living in this region on the basis of the "land for peace" principle,

Convinced that further development of friendship, partnership and mutual trust meets the interests of the peoples of the two States and serves the cause of strengthening universal peace and security,

Declare the following:

1. The Parties shall build their relationship on the basis of mutual benefit and common interest in strengthening peace, international cooperation and friendly interaction between nations both at the regional and global levels.

11. The Parties shall cooperate in preventing international terrorism in all its manifestations, including the acts affecting the safety of civil aviation and sea navigation, taking of hostages, as well as criminal activities, primarily, in the organized form, including illicit traffic in narcotic drugs and psychotropic substances, smuggling, and illicit trans-border traffic of cultural values.

12. The Parties shall take measures to simplify procedures for making contacts between the citizens of the two countries, including business, cultural, scientific and private visits.

The Parties shall promote cooperation between public institutions and organizations, as well as foundations, scientific, artistic and other associations in accordance with the legislation of the two countries.

Done at Moscow on April 27, 2001, in duplicate both in the Russian, Arabic, and English languages.

THE PRESIDENT OF THE RUSSIAN FEDERATION	THE PRESIDENT OF THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT
Vladimir V.PUTIN	Mohamed H.MUBARAK

ДЕКЛАРАЦИЯ

О ПРИНЦИПАХ ДРУЖЕСТВЕННЫХ ОТНОШЕНИЙ И СОТРУДНИЧЕСТВА МЕЖДУ РОССИЙСКОЙ ФЕДЕРАЦИЕЙ И АРАБСКОЙ РЕСПУБЛИКОЙ ЕГИПЕТ

Подписано в г. Москве « 27 » апреля 2001 г. в двух экземплярах, на русском, арабском и английском языках.

Президент Российской Федерации	Президент Арабской Республики Египет
В.В.ПУТИН	М.Х.МУБАРАК

تابع إعلان مبادئ علاقات الصداقة والتعاون المصري الروسي 2001

المذكرة المصرية الروسية للإعفاء من تأشيرات السفر 2003

مذكرة

بين

حكومة روسيا الإتحادية وحكومة جمهورية مصر العربية

حول الإعفاء

من تأشيرات السفر لحاملي جوازات السفر الدبلوماسية والخاصة ولمهمة

إن حكومة روسيا الإتحادية وحكومة جمهورية مصر العربية (فيما يلي الطرفان) رغبة منهما في توثيق أواصر الصداقة بين الدولتين وتسهيلاً لإجراءات السفر الى روسيا الإتحادية وجمهورية مصر العربية قد إتفقتا على ما يلي:

المادة ١

يحق لمواطني دولتى الطرفين من حاملي جوازات السفر الدبلوماسية والخاصة ولمهمة سارية المفعول الدخول الى أراضي دولة الطرف الآخر ومغادرتها والمرور عبرها (ترانزيت) والبقاء بها لمدة لا تزيد عن ٩٠ (تسعين) يوما بدون تأشيرة.

المادة ٢

يجب على مواطني دولتي الطرفين من حاملي جوازات السفر الدبلوماسية والخاصة ولمهمة سارية المفعول التوجه للحصول على تأشيرة في حالة تجاوز مدة الإقامة المشار اليها في المادة الأولى ٩٠ (تسعين) يوما.

المادة ٣

١. يحق لمواطني دولة أي من الطرفين المعينين والمتوجهين للعمل في البعثات الدبلوماسية والقنصلية في أراضي دولة الطرف الآخر، وكذا أفراد أسرهم من حاملي الجوازات الدبلوماسية والخاصة ولمهمة، الدخول الى أراضي دولة الطرف الآخر والإقامة بها بدون تأشيرة.

٣

المادة ٨

يقوم الطرفان بتبادل نماذج جوازات السفر الدبلوماسية والخاصة ولمهمة سارية المفعول عبر القنوات الدبلوماسية ويخطر كل منهما الآخر في حالة حدوث تغييرات أو تعديلات بتلك الوثائق المذكورة، كما يقوم كل طرف بإرسال نماذج الجوازات الجديدة للطرف الآخر قبل تاريخ بدء العمل بها بمدة لا تزيد عن ٦٠ (ستين) يوما.

المادة ٩

يجوز إدخال أي تعديلات على بنود هذه المذكرة وذلك بعد موافقة الطرفين عن طريق تبادل المذكرات اللازمة.

المادة ١٠

١. تدخل هذه المذكرة حيز النفاذ من تاريخ التوقيع.
٢. تسري هذه المذكرة لمدة ٥ (خمس) سنوات، وتجدد تلقائيا لمدد مماثلة مالم يخطر أحد الطرفين الطرف الآخر كتابةً عبر القنوات الدبلوماسية بإعتزامه إلغاء العمل بها، ويكون الإلغاء ساريا عقب مرور ٦٠ (ستين) يوما من تاريخ استلام الإخطار.

وقعت في مدينة القاهرة بتاريخ ١٧ يوليو عام ٢٠٠٣م من أصلين باللغات الروسية والعربية والانجليزية ولكل من النصوص نفس الحجية القانونية، وعند الإختلاف في التفسير يتم الرجوع الى النسخة الانجليزية.

عن حكومة روسيا الإتحادية	عن حكومة جمهورية مصر العربية

المذكرة المصرية الروسية للإعفاء من تأشيرات السفر 2003

МЕМОРАНДУМ

**между
Правительством Российской Федерации
и Правительством Арабской Республики Египет
о безвизовых поездках по дипломатическим,
служебным и специальным паспортам**

Правительство Российской Федерации и Правительство Арабской Республики Египет, далее именуемые Сторонами,

руководствуясь стремлением упрочить дружественные связи между двумя государствами и упростить порядок взаимных поездок в Российскую Федерацию и Арабскую Республику Египет,

согласились о нижеследующем:

Статья 1

Граждане государств Сторон - владельцы действительных дипломатических, служебных и специальных паспортов имеют право въезжать, выезжать, следовать транзитом и находиться на территории государства другой Стороны в течение 90 (девяноста) дней без виз.

Статья 2

Граждане государства одной Стороны - владельцы действительных дипломатических, служебных и специальных паспортов обязаны обратиться за получением визы, если срок пребывания в указанных в Статье 1 случаях превышает 90 (девяносто) дней.

4

Статья 9

Любые изменения в настоящем Меморандуме могут быть внесены в результате одобрения Сторон путем обмена нотами.

Статья 10

1. Меморандум вступает в силу с даты его подписания.

2. Срок действия настоящего Меморандума составляет 5 (пять) лет и автоматически продлевается на аналогичный период, пока одна из Сторон не направит по дипломатическим каналам письменное уведомление о своем намерении прекратить его действие.

Действие настоящего Меморандума прекращается по истечении 60 (шестидесяти) дней с даты получения соответствующего уведомления.

Совершено в *Каире* «17» *июля* 2003 года в двух экземплярах, каждый на русском, арабском и английском языках, причем все тексты имеют одинаковую силу. В случае разночтений используется текст на английском языке.

ЗА ПРАВИТЕЛЬСТВО РОССИЙСКОЙ ФЕДЕРАЦИИ	ЗА ПРАВИТЕЛЬСТВО АРАБСКОЙ РЕСПУБЛИКИ ЕГИПЕТ

بروتوكول التعاون والحوار الاستراتيجي 2004

بروتوكول
للتعاون والحوار الإستراتيجى
بين
وزارة خارجية روسيا الإتحادية
ووزارة خارجية جمهورية مصر العربية

إن وزارة خارجية روسيا الإتحادية ووزارة خارجية جمهورية مصر العربية:

إذ تسعيان إلى تطبيق سياسات حكومتيهما الرامية إلى تعزيز السلام والأمن الدوليين، وضمان الحل العادل والدائم للقضايا الدولية المعاصرة ذات الطابع العالمى والإقليمى وفقا لمباديء وأهداف ميثاق الأمم المتحدة،

أخذاً بعين الاعتبار العلاقات الودية التقليدية الوطيدة القائمة بين روسيا الإتحادية وجمهورية مصر العربية،

وسعياً إلى مواصلة تطوير علاقات الصداقة والتعاون والتفاهم بينهما وتعزيزها،

وانطلاقاً من حرصهما على مواصلة الارتقاء بمستوى الحوار السياسى فى ضوء الدور الإقليمى والدولى لكل من الدولتين،

وإذ تنوهان بفائدة المشاورات بين وزارتى خارجية البلدين، وكذلك المشاورات والتعاون فى إطار الهيئات الدولية وغيرها من المحافل متعددة الأطراف،

واقتناعاً منهما بضرورة مواصلة توسيع ممارسة المشاورات بهدف بحث ومناقشة القضايا الدولية والإقليمية الملحة ذات الاهتمام لكلا الطرفين وكذلك مسائل العلاقات الثنائية،

فقد توصلتا إلى تفاهم مشترك على ما يلى:

كما يعمل الطرفان بروح التعاون البنّاء فى إطار الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى،

٤. تُشكّل بالتوافق بين الطرفين لجان خبراء أو فرق عمل لمناقشة وبحث مسائل محددة.

وقّع فى القاهرة بتاريخ الرابع من سبتمبر عام ٢٠٠٤ من نسختين باللغتين الروسية والعربية.

أحمد أبو الغيط	سيرجى لافروف
وزير خارجية جمهورية مصر العربية	وزير خارجية روسيا الإتحادية

بروتوكول التعاون والحوار الاستراتيجي 2004

ПРОТОКОЛ

о стратегическом сотрудничестве и диалоге
между
Министерством Иностранных Дел
Российской Федерации
и Министерством Иностранных Дел
Арабской Республики Египет

Министерство Иностранных Дел Российской Федерации и Министерство Иностранных Дел Арабской Республики Египет,

стремясь к проведению в жизнь политики своих правительств, направленной на укрепление международного мира и безопасности, обеспечение справедливого и долгосрочного решения современных международных проблем глобального и регионального характера в соответствии с принципами и целями Устава ООН;

принимая во внимание прочные, традиционно дружественные отношения, существующие между Российской Федерацией и Арабской Республикой Египет;

стремясь к дальнейшему развитию и укреплению отношений дружбы, сотрудничества и взаимопонимания между ними;

руководствуясь желанием и далее поднимать уровень политического диалога в свете региональной и международной роли каждой из двух стран;

отмечая пользу, приносимую консультациями между министерствами иностранных дел двух стран, а также консультациями и сотрудничеством в рамках международных организаций и других многосторонних форумов;

убежденные в необходимости дальнейшего расширения практики консультаций в целях рассмотрения и обсуждения интересующих обе Стороны актуальных международных и региональных проблем, а также вопросов двусторонних отношений,

достигли взаимопонимания о нижеследующем:

3

сотрудничества в целях координации действий по другим проблемам, в отношении которых Стороны могут признать полезным обмен мнениями.

3. Стороны будут стремиться путем проведения соответствующих консультаций координировать в практическом плане позиции в преддверии созыва крупных международных форумов и конференций, а также действовать в духе конструктивного сотрудничества в рамках ООН и других международных организаций.

4. Для обсуждения и рассмотрения отдельных вопросов по взаимному согласию могут создаваться экспертные комиссии или рабочие группы.

Совершено в Каире "04" сентября 2004 года в двух экземплярах, каждый на русском и арабском языках.

За Министерство иностранных дел Российской Федерации	За Министерство иностранных дел Арабской Республики Египет

الاتفاق المصري ـ الروسي للتعاون في مجال السياحة 2008

برنامج طويل الأجل
لتنمية التعاون الاقتصادى والتجاري والصناعي والعلمى والفنى
بين
روسيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية

حكومة روسيا الاتحادية وحكومة جمهورية مصر العربية المشار إليهما فيما بعد بالطرفين ،

أخذا فى اعتبارهما علاقات الصداقة التقليدية القائمة بين البلدين، والثقة فى أن اقتصاديهما يتيحا فرصا ضخمة لتنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والعلمية والفنية بين البلدين ، فإنهما يتطلعان إلى الاستفادة من هذه الفرص لصالح شعبى البلدين ،

وبالنظر إلى نصوص الاتفاق الموقع بين حكومة روسيا الاتحادية وحكومة جمهورية مصر العربية فى ١٤ مايو ١٩٩٢ ، والبروتوكول الخاص به الموقع فى ٥ نوفمبر ١٩٩٣ بين حكومة روسيا الاتحادية وحكومة جمهورية مصر العربية ، واتفاق التعاون الاقتصادى والفنى الموقع فى ٩ نوفمبر ١٩٩٤ والوثائق الحكومية الروسية ـ المصرية الأخرى ،

قد أقرتا هذا البرنامج طويل الأجل لتنمية التعاون الاقتصادى والتجارى والصناعى والعلمى والفنى بين البلدين .

١) نصوص عامة :

يجتهد الطرفان من أجل توسيع وتنمية التعاون بين البلدين فى مجالات الاقتصاد والتجارة والصناعة والعلوم والتكنولوجيا على أساس المنفعة المتبادلة وطويلة الأجل فى إطار الإمكانيات والاحتياجات الحالية وطبقا للتشريعات السارية فى كل من البلدين .

ولهذا الغرض يتخذ الطرفان الإجراءات اللازمة لضمان نمو التجارة بين البلدين ، واستخدام مواردهما الطبيعية ومصادر الطاقة لديهما من أجل مصلحتهما المشتركة ، إقامة وتجديد وتوسيع المشروعات المختلفة ، من خلال إنشاء المشروعات المشتركة ، ونقل التكنولوجيا والإنجازات العلمية والفنية وتدريب الأفراد فى مختلف المجالات .

ـ ٦ ـ

٦) أحكام نهائية :

وافق الطرفان على تكليف اللجنة الفرعية الخاصة بالتعاون الاقتصادى والعلمى والفنى بالتنسيق ومتابعة تنفيذ البرنامج الطويل الأجل الحالى والمعاونة فى حل المشاكل التى يمكن أن تنشأ عن تنفيذه .

يدخل البرنامج طويل الأجل لتنمية التعاون الاقتصادى والتجارى والصناعى والعلمى والفنى حيز النفاذ من تاريخ توقيعه، ويسرى لمدة عشر سنوات، ويتجدد تلقائيا لمدة سنة أخرى، ما لم يخطر أحد الطرفين الطرف الآخر – كتابة – بنية إنهائه، قبل ستة أشهر على الأقل من انتهاء السريان.

حرر فى موسكو فى أبريل ٢٠٠١ من أصلين باللغات العربية والروسية والإنجليزية ولكل من النسخ الثلاث نفس الحجية . وفى حالة الاختلاف فى التفسير يعتد بالنص الانجليزى .

عن حكومة روسيا الاتحادية	عن حكومة جمهورية مصر العربية

تابع الاتفاق المصري
- الروسي للتعاون
في مجال السياحة
2008

LONG – TERM PROGRAMME
For the Development of Economic, Commercial, Industrial,
Scientific and Technical Cooperation between
The Russian Federation
and
The Arab Republic of Egypt

The Government of the Russian Federation and The Government of the Arab Republic of Egypt hereinafter referred to as Parties,

Taking into consideration the traditional friendly relations existing between the two countries,

Being convinced that their economies provide broad opportunities for the development of economic, commercial, scientific and technical relations between the two countries,

Aspire to realize these opportunities in the interest of the peoples of both countries,

With due regard to the provisions of the Agreement between the Government of the Russian Federation and the Government of the Arab Republic of Egypt signed on May 14th 1992, the Protocol thereto signed on November 5th, 1993 between the Government of the Russian Federation and the Government of the Arab Republic of Egypt, the Agreement on Economic and Technical Cooperation signed on November 9th, 1994 and other Russian – Egyptian inter-governmental documents,

have adopted this Long – Term Programme for the Development of Economic, Commercial, Industrial, Scientific and Technical Cooperation between the two countries.

1 – General Provisions

The Parties shall strive for the expansion and the development of cooperation between the two countries in the fields of economy, trade, industry, science and technology on a mutually beneficial and long-term basis within the framework of the existing possibilities and requirements and in accordance with the legislations in force in each country.

- 6 -

The Long-Term Programme for the Development of Economic, Commercial, Industrial, Scientific and Technical Cooperation will enter into force from the date of signing it.

This Long-Term Programme shall remain in force for a period of ten (10) years and shall be automatically extended for one more year unless either Party notifies, in writing, the other Party of its intention to terminate this Long -Term Programme at least six months prior to the expiration date.

Done in Moscow on April 27, 2001 in two original copies, each in the Russian, Arabic, and English languages, all three texts being equally authentic. In case of any divergence of interpretation the English text shall prevail.

For the Government of the Russian Federation	For the Government of the Arab Republic of Egypt

ДОЛГОСРОЧНАЯ ПРОГРАММА

1. Общие положения

За Правительство Российской Федерации	За Правительство Арабской Республики Египет

تابع الاتفاق المصري
- الروسي للتعاون
في مجال السياحة
2008



التعاون المصري .. السوفيتي
في المجال النووي

التعاون المصرى .. السوفيتى في المجال النووي :

بدايات التعاون المصرى .. السوفيتي في المجال النووي كانت مع السنوات الأولى للثورة

بناء على تفويض صدر للسفير فوق العادة والمفوض لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية بمصر "إيفجيني ديمتريفيتش كيسيلف" فقد قام نيابة عن الحكومة السوفيتية بتوقيع أول إتفاقية للتعاون بين الاتحاد السوفيتي وجمهورية مصر العربية بشأن إستخدام الطاقة الذرية في الأغراض السلمية. الإتفاقية هذه وقعها عن الحكومة المصرية السيد "كمال الدين حسين" وزير التربية والتعليم ورئيس لجنة الطاقة الذرية المصرية 12 يوليو 1956 وشملت بروتوكولاً من صفحة واحدة يحوي تفويضات حكومتي البلدين بالتوقيع على الاتفاقية والتي حررت باللغتين العربية والروسية.

شملت الاتفاقية في مادتها الأولى أن الحكومتين المصرية والسوفيتية تتعاونان في مجال الأبحاث العلمية الخاصة بالطبيعة النووية وإستخدام الطاقة الذرية في الأغراض السلمية، وفي التطبيقات العلمية الناتجة عن تقدم العلوم الذرية في النواحى التالية :

إقامة معامل الطبيعة النووية والمولدات الإلكتروستاتيكية والمفاعلات التجريبية ومراكز الأبحاث والدراسات الجيولوجية والمنشآت اللازمة لتدريب المتخصصين المصريين للدراسة والبحث في مجال الطاقة الذرية وتطبيقاتها للأغراض السلمية، كذلك تقديم الأجهزة والمعدات والمواد الانشطارية والخامات والمواد وقطع الغيار اللازمة لإقامة وتشغيل المنشآت، وتقديم المشورة من الخبراء السوفيت إلى جهات الإختصاص المصرية بشأن تعميم هذه المنشآت وتنفيذها.

شملت إلى جانب ذلك الاتفاقية تدريب الفنيين والاختصاصيين المصريين وإيفادهم إلى الإتحاد السوفيتي للتدريب، واستقدام خبراء وأساتذة سوفيت لمصر مع تقديم المعلومات والبيانات والوثائق اللازمة لسرعة النهوض بالمستوى العلمي في مصر في موضوعات الطاقة الذرية وتطبيقاتها السلمية.

اتفاقيـــة

للتعاون بين اتحاد الجمهوريات السوفييتية

الاشتراكية وجمهورية مصر بشأن استخـــدام

الطاقة الذرية في الاغـراض الســلميـة

ان حكومة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية وحكومة جمهورية مصر،

بناء على العلاقات الودية القائمة بين اتحاد الجمهوريات السوفييتيـــة الاشتراكية وجمهورية مصر .

وبناء على ما تولياته من أهمية كبيرة لاستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية .

وبناء على رغبتهما في التعاون في هذا الشأن .

قد قررتا عقد الاتفاقية الاتيـة :

المـادة الأولـى

تتعاون الحكومتان في مجال الابحاث العلمية الخاصة بالطبيعة النووية واستخدام الطاقة الذرية في الاغراض السلمية وفي التطبيقات العملية الناتجة عن تقدم العـلوم الذرية . وتعاون حكومة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية حكومة جمهورية مصـر في النواحي الاتية :

ا ـ اقامة المنشآت العلمية مثل معامل الطبيعة النووية والمولدات الالكتروستاتيكيـة والمفاعلات التجريبية ومراكز الابحاث والدراسات الجيولوجية وما الى ذلك مـن المنشآت اللازمة لتدريب المختصين المصريين وللدراسة والبحث في مجال الطاقة الذرية وتطبيقاتها للاغراض السلمية .

ب ـ تقديم الاجهزة والمعدات والمواد الانشطارية وسائر الخامات والمواد وقطع الغيار اللازمة لاقامة وتشغيل المنشآت المشار اليها بالفقرة (آ) من هذه المادة .

جـ ـ تقديم المشورة من الخبراء السوفييتيين الى جهات الاختصاص المصرية بشأن تصميم مباني هذه المنشآت وتنفيذها .

د ـ تدريب الفنيين والاخصائيين المصريين في موضوعات الطاقة الذرية وتطبيقاتها السلمية ويتم ذلك بايفاد المصريين الى الاتحاد السوفييتي واستقدام الخبراء والاساتـذة الزائرين السوفييتيين منه الى مصر .

هـ ـ تقديم المعلومات والبيانات والوثائق الفنية اللازمة لسرعة النهوض بالمستوى العلمي في مصر في موضوع الطاقة الذرية وتطبيقاتها السلمية ويتم تبادل النشـرات والمطبوعات بين الطرفين بما لا يتعارض والقواعد المتبعة في كل دولة .

و ـ اجراء بحوث علمية ودراسات مشتركة في موضوعات الطاقة الذرية واستخدامهـا في الأغراض السلمية .

- ٣ -

<u>المادة السادسة</u>

تتعهد حكومة جمهورية مصر بأنها لن تنقل الى بلدان أخرى أو شخصيات حقيقية أو معنوية كل أو بعض المعلومات والوثائق الفنية وكذلك المعدات والاجهزة وفقا لما يتفق عليه الطرفان .

وتتخذ حكومة جمهورية مصر الاجراءات الضرورية لضمان صيانة وكتمان المعلومات والوثائق الفنية والمعدات ذات الصفة السرية التي تحصل عليها من الجانب السوفييتي .

عقدت في القاهرة في يوم الخميس ١٢ يوليو سنة ١٩٥٦ من نسختين باللغتين الروسية والعربية وكلا النصين متساو في قوة المفعول .

عن حكومة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية

عن حكومة جمهورية مصر

محضـــر

توقيع اتفاقية للتعاون بين اتحاد الجمهوريات السوفييتية

الاشتراكية وجمهورية مصر بشأن استخدام الطاقة الذرية في الاغراض السلمية

اجتمع بوزارة التربية والتعليم يوم الخميس الموافق ١٢ يوليو سنة ١٩٥٦ :

سعادة السيد افجني دمتريفتش كيسيلف
السفير فوق العادة والمفوض لاتحـــاد
الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية بمصر — عن حكومتـــــــه

والسيد كمال الديـن حسـين
وزير التربية والتعلـــــيم
ورئيس لجنة الطاقة الذرية المصرية — عن حكومة جمهورية مصـــر

وذلك للقيام بالتوقيع على اتفاقية التعاون بين اتحاد الجمهوريات السوفييتيـة الاشتراكية وجمهورية مصر بشأن استخدام الطاقة الذرية في الاغراض السلمية .

وقد قدم سعادة السيد افجني دمتريفتش كيسيلف وثيقة تفويض صادرة مـــن حكومــــة الاتحاد السوفييتي بتفويضه للتوقيع باسم حكومته على الاتفاقية المشار اليها وكذلـك على الاتفاقية الفرعية رقم (١) التابعة لها .

كما اعلن السيد كمال الدين حسين ان مجلس الوزراء قد فوضه بجلسته المنعقـــدة في ٣٠ مايو سنة ١٩٥٦ بالتوقيع باسم حكومة جمهورية مصر على الاتفاقية المذكورة وكذلك علـــى الاتفاقية الفرعية رقم (١) التابعة لها .

وبناء على ذلك قد تحرر هذا المحضر ووقع عليه من نسختين .

عن حكومة اتحاد الجمهوريات
السوفييتية الاشتراكيـــــة

عن حكومة جمهورية مصـــــر

С О Г Л А Ш Е Н И Е

О СОТРУДНИЧЕСТВЕ МЕЖДУ СОЮЗОМ СОВЕТСКИХ СОЦИАЛИСТИЧЕСКИХ РЕСПУБЛИК И РЕСПУБЛИКОЙ ЕГИПЕТ В ДЕЛЕ ИСПОЛЬЗОВАНИЯ АТОМНОЙ ЭНЕРГИИ В МИРНЫХ ЦЕЛЯХ

Правительство Союза Советских Социалистических Республик и Правительство Республики Египет,

исходя из дружественных отношений, существующих между Союзом Советских Социалистических Республик и Республикой Египет,

придавая большое значение использованию атомной энергии в мирных целях, и

желая сотрудничать в этом деле,

решили заключить настоящее Соглашение:

Статья 1

Оба Правительства сотрудничают в научных исследованиях по физике атомного ядра и использованию атомной энергии в мирных целях, а также в практическом применении достижений атомной науки.

Правительство Союза Советских Социалистических Республик оказывает помощь Правительству Республики Египет в следующем:

а) в создании научных сооружений, таких как лаборатории ядерной физики, электростатические генераторы, экспериментальные реакторы, центры геологических исследований и измерений, а также других сооружений, необходимых для обучения египетских специалистов и для исследований в области атомной энергии и ее применения в мирных целях.

Статья 5

Научно-исследовательские центры Советского Союза будут оказывать помощь Правительству Республики Египет в подготовке египетских специалистов по разделам ядерной физики и другим наукам, связанным с атомной энергией и ее использованием в мирных целях.

Количество специалистов, характер их специализации, продолжительность и сроки определяются дополнительными соглашениями, заключаемыми между Сторонами.

Статья 6

Правительство Республики Египет обязуется не передавать другим странам, равно как юридическим или физическим лицам полностью или частично, информацию, техническую документацию, а также оборудование и аппаратуру, согласно договоренности между Сторонами.

Правительство Республики Египет примет необходимые меры, гарантирующие сохранность и тайну информации, технической документации и оборудования, имеющих секретный характер, которые оно получает от Советской Стороны.

Совершено в Каире "12" июля 1956 года в двух экземплярах, каждый на русском и арабском языках, причем оба текста имеют одинаковую силу.

ПО УПОЛНОМОЧИЮ ПРАВИТЕЛЬСТВА СОЮЗА СОВЕТСКИХ СОЦИАЛИСТИЧЕСКИХ РЕСПУБЛИК

ПО УПОЛНОМОЧИЮ ПРАВИТЕЛЬСТВА РЕСПУБЛИКИ ЕГИПЕТ

П Р О Т О К О Л

о подписании Соглашения о сотрудничестве между Союзом Советских Социалистических Республик и Республикой Египет в деле использования атомной энергии в мирных целях.

В четверг, 12 июля 1956 г. в помещении Министерства Образования и Обучения

Чрезвычайный и Полномочный Посол Союза Советских Социалистических Республик в Египте Евгений Дмитриевич Киселев от имени своего Правительства, и

Министр Образования и Обучения и Председатель Египетской Комиссии по атомной энергии Господин Камаль Эддин Хусейн от имени Правительства Республики Египет,

встретились для подписания Соглашения о сотрудничестве между Союзом Советских Социалистических Республик и Республикой Египет в деле использования атомной энергии в мирных целях.

Посол СССР Евгений Дмитриевич Киселев предъявил свои полномочия на подписание от имени своего Правительства вышеупомянутого Соглашения, а также дополнительного к нему Соглашения № 1.

В свою очередь Господин Министр Камаль Эддин Хусейн заявил, что Совет Министров на заседании от 30 мая 1956 г. уполномочил его подписать от имени Правительства Республики Египет упомянутое Соглашение, а также дополнительное к нему Соглашение № 1.

На основании этого составлен в двух экземплярах и подписан настоящий Протокол.

ОТ ПРАВИТЕЛЬСТВА СОЮЗА СОВЕТСКИХ СОЦИАЛИСТИЧЕСКИХ РЕСПУБЛИК

ОТ ПРАВИТЕЛЬСТВА РЕСПУБЛИКИ ЕГИПЕТ

مصر تجدد تعاونها النووي مع روسيا *



المعهد المتحد للأبحاث النووية في مدينة دوبنا

في أوائل عام 2009 ، قام وفد مصري من أكاديمية العلوم بزيارة لمعهد البحوث النووية في مدينة دوبنا الواقعة بضواحي موسكو . ووقع الوفد مع الجانب الروسي اتفاقية للتعاون في مجال البحوث النووية السلمية، مما يسمح للمصريين بتدريب كوادرهم الوطنية في هذا القطاع الحيوي للطاقة.

وبهذا أصبحت مصر أول دولة عربية وثاني دولة افريقية بعد - جمهورية جنوب أفريقيا - تدخل هذا الصرح البحثي العلمي الهام. وستتيح هذه الاتفاقية - للكوادر المصرية العاملة في مجال الطاقة الذرية - التفاعل والتعامل مع هذا المركز الشهير.

وتعرف الوفد العلمي المصري على عمل المركز من خلال العلماء العاملين فيه، وعلى انجازات زملائهم الروس في حقل الفيزياء الذرية وتطبيقاتها في مجالات أخرى وخاصة في الطب والزراعة والتكنولوجيا المتقدمة.

وقال د. طارق محمد حسين رئيس الوفد المصري : إن الاتفاقية مع "مركز دوبنا" تتيح لمصر المساهمة في الأبحاث العلمية وتطوير البحث العلمي في تكنولوجيا المفاعلات حتى تكون مصر في حالة الاستقلالية ، وتستطيع في المستقبل أن تبني بنفسها المفاعلات التي ستحتاج اليها .

كانت مصر قد أعلنت عن نيتها بناء عدة مفاعلات ذرية في أراضيها ووقعت اتفاقيات في هذا المجال مع بعض الشركات الأمريكية. لكنها تسعى الى تنوع مصادر الحصول على المفاعلات

* المصدر : مجلة " أنباء موسكو " - الطبعة العربية - العدد (15) السنة الثالثة - مارس 2009 ، مجلة " أنباء روسيا " - الطبعة العربية - العدد (21) السنة الرابعة - يونيو 2010 .





صور للرئيس جمال عبد الناصر من داخل مفاعل أنشاص في ستنيات القرن الماضي

وتبحث عن التعاون في هذا المجال مع الدول العديدة ومنها روسيا.

يذكر أن روسيا كانت أول من ساعد مصر في الولوج الى هذا المجال العلمي الهام في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر حيث شارك الخبراء الروس في إنشاء مفاعل "أنشاص" المصري للبحوث النووية.

وفي "مركز دوبنا" بالذات تخرج من عرف بأبي الفيزياء الذرية المصري "الدكتور محمد النادي" وعشرات من الكوادر المصرية العاملة في مجال الفيزياء الذرية.

وفي نهاية ثمانيات القرن الماضي جَمّدت مصر مشروعها لإنشاء محطة نووية لتوليد الطاقة الكهربائية، وكانت من مبرراتها آنذاك التأكد من أمانة المفاعلات بعد حادث تشيرنوبيل. لكنها أنشأت في نهاية التسعينات مفاعلاً ثانياً بعد "أنشاص" بمساعدة الأرجنتين.

في مايو 2010 وبمبادرة من الجانب الروسي، تم دعوة مجموعة من الباحثين المصريين تضم 15 باحثا إلى موسكو لحضور الدورة التدريبية في مجال الهندسة النووية بالمعهد المتحد للأبحاث النووية في مدينة دوبنا على بعد 120 كيلومترا من موسكو.

يذكر أن مصر انضمت إلى المعهد كعضو منتسب منذ مارس 2009. "و من المنتظر أن يشارك هؤلاء الباحثون في تنفيذ البرنامج النووي السلمي بنشاط"، وقد صرح بذلك لأنباء روسيا منسق البرنامج التعليمي من الجانب المصري الدكتور "علي خليل" الذي سبق له أن حصل على درجة الدكتوراه من المعهد ذاته.

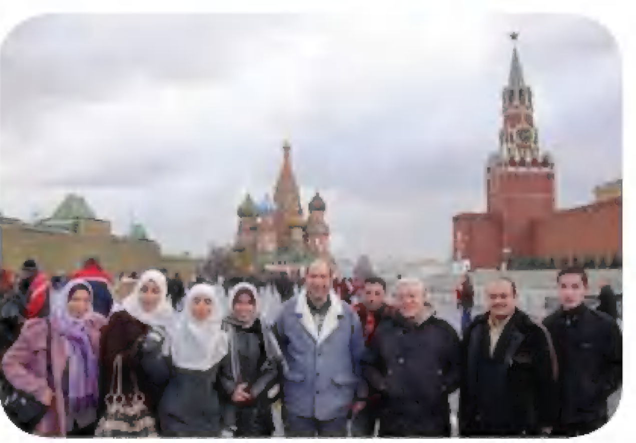
يذكر أن المعهد المتحد للأبحاث النووية أنشئ في عام 1956 ليصبح بديلاً لمعهد "سيرن" في سويسرا لدول الكتلة الاشتراكية. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة تحول المعهد إلى ساحة دولية لتبادل الخبرات بين الباحثين من كل أنحاء العالم.

ويُعد المعهد - أيضا - من المراكز الهامة للأبحاث في مجال النانوتكنولوجي. وأوضح الدكتور



على خليل أن مصر وروسيا ستتعاونان في هذا المجال أيضا، وقد تم تشكيل لجنة معنية بذلك.

في إبريل 2013 - الرئيس المصري محمد مرسي، وفي لقائه بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين بمدينة سوتشي تم طرح موضوع التعاون المصري الروسي في مجال الاستخدامات السلمية للطاقة النووية على طاولة المباحثات . فهل تشهد مصر إنطلاقة في هذا المجال ؟ .. هذا ما سترد عليه الأيام القادمة .



مجموعة الباحثين المصريين على خلفية كنيسة فاسيلي باجيني بالساحة الحمراء في موسكو ويتوسطهم مشرفهم الدكتور على خليل



الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والرئيس المصري محمد مرسي خلال الزيارة التى قام بها الرئيس المصري بمدينة سوتشي الروسية



سفراء الإتحاد السوفيتي وروسيا الاتحادية بالقاهرة والسفراء المصريين لدى موسكو

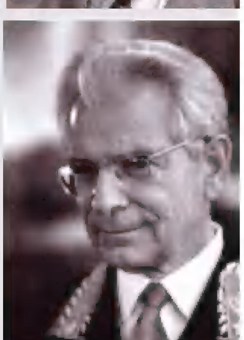
سفراء الإتحاد السوفيتي وروسيا الإتحادية بالقاهرة



نيكولاي نوفيكوف
فاسيليفيتش
1944 - 1943



ألكسي تشبورين
ديمتريفيتش
1950 - 1944



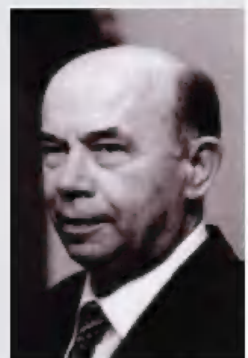
سيمن كوزريف
بافلوفيتش
1953 - 1950



دانيال سولد
سيميونوفيتش
1956 - 1953



يفجيني كيسليف
ديمتريفيتش
1959 - 1956



فلاديمير ايروفيف
ياكوفليفيتش
1965 - 1959



ديمتري بوزيدايف
بتروفيتش
1967 - 1965



سيرجي فينوجرادوف
ألكسندرفيتش
1970 - 1967

تابع سفراء الإتحاد السوفيتي ورسيا الإتحادية بالقاهرة



فلاديمير فينوجرادوف
ميخائيلوف
1974 ـ 1970



فلاديمير بلياكوف
بيتروفيتش
1981 ـ 1974
1995 ـ 1990



ألكسندر بيلونوجوف
ميخائيلوفيتش
1986 ـ 1984



جنادي جورافليف
كيريلوفيتش
1990 ـ 1986



فلاديمير جوديف
فيكتورفيتش
2000 ـ 1995



أندريه دينيسوف
إيفانوفيتش
2002 ـ 2001



نيكولاي كارتزوف
فاسيليفيتش
2004 ـ 2002



ميخائيل بوجدانوف
ليونيدوفيتش
2011 ـ 2005

تابع سفراء الإتحاد السوفيتي ورسيا الإتحادية بالقاهرة



سيرجي كيربيتشينكو

من مواليد 1951 ، تخرج فى 1973 من معهد موسكو الحكومى للعلاقات الدولية التابع لوزارة الخارجية الروسية.

تنقل فى العمل فى الإدارات المختلفة بوزارة الخارجية الروسية كذا عمل بسفارات الاتحاد السوفيتى فى سوريا (73-75) وبالمملكة الأردنية الهاشمية (83 – 88) وبالمملكة العربية السعودية (91 – 95).

عمل كيربيتشينكو سفيراً لروسيا الاتحادية بدولة الامارات العربية المتحدة من 98 – 2000 ، ثم سفيراً بالجماهيرية الليبية.

من 2004 حتى ديسمبر 2006 ثم عاد بعدها مرة أخرى فى ديسمبر 2006 وحتى سبتمبر 2011 سفيراً لروسيا بالجمهورية العربية السورية.

منذ سبتمبر 2011 أصبح سيرجى كيربيتشينكو سفيراً فوق العادة ومفوضاً لروسيا الاتحادية بجمهورية مصر العربية، خلفا لميخائيل بوجدانوف السفير السابق ، والذى أصبح نائباً لوزير الخارجية الروسى والمسئول عن ملفات الشرق الأوسط.

سيرجى كيربيتشينكو يجيد اللغة العربية واللغتين الانجليزية والفرنسية.

السفراء المصريين لدى موسكو



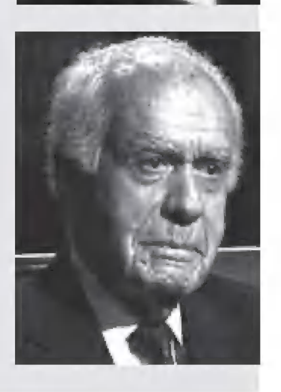
السفير كمال بك
عبد الرحيم
1944



السفير الفريق
أركان حرب
عزيز المصري
1961 ـ 1953

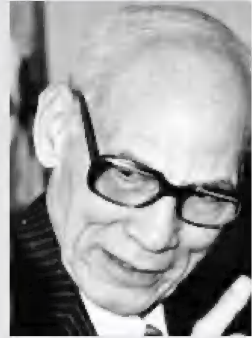


السفير محمد
عوض القوني
1961 ـ 1961

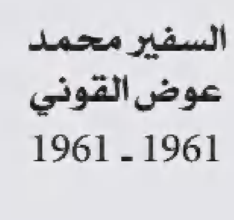


السفير مراد غالب
1971 ـ 1961

السفير يحيى عبد
القادر
1974 ـ 1972



السفير محمد حافظ
إسماعيل
1976 ـ 1974



السفير محمد
حمدي أبو زيد
1976



الوزير المفوض (القائم بالأعمال)
الفاروق عبد المتعال
شلبأيه
1979 ـ 1976

تابع السفراء المصريين لدى موسكو

الوزير المفوض (القائم بالأعمال)
حسن سامي يوسف
قنديل
1983 ـ 1979



الوزير المفوض (القائم بالأعمال)
عمر جاد محمد
السيد جاد
1984 ـ 1983



السفير صلاح الدين
حسن فهمي بسيوني
1988 ـ 1984



السفير أحمد ماهر
محمود على السيد
1992 ـ 1988



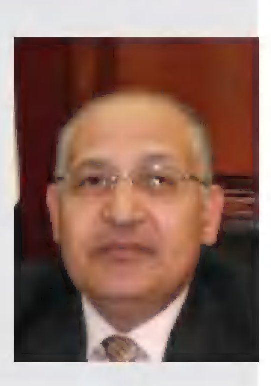
السفير
نبيل عبد الغفور
أحمد العرابي
1995 ـ 1992



السفير
رضا أحمد شحاته
2002 ـ 1995

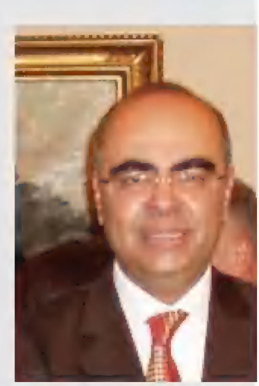


السفير رؤوف عدلي
سعد الخراط
2006 ـ 2002



السفير عزت سعد
السيد البرعي
2010 ـ 2006

تابع السفراء المصريين لدى موسكو



السفير
محمد علاء الدين
شوقي الحديدي
2010 ـ 2012



السفير
محمود جميل
أحمد الديب
2012 ـ حتى الآن

المراجع

- الأرشيف الخاص لوزارة الخارجية للإتحاد السوفيتي - وروسيا الإتحادية .

- وزارة الخارجية المصرية - إدارة السلك الدبلوماسي والقنصلي والتفتيش .

- د. جينادي جارياتشكين : روسيا ومصر في ضوء الأرشيفات الروسية " أواسط القرن الـ19 - بداية القرن الـ20 " - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2002 .

- أرشيف وكالة أنباء نوفوستي .

- روسيا اليوم .

- أ.د. محمد صبرى الدالي - في تطور رؤية الأنا للآخر ، إصدار المجلس الأعلى للثقافة - 2007 .

- أرشيف مجلة أنباء موسكو - الطبعة العربية - رئيس التحرير د. حسين الشافعي .

- مجلة أنباء روسيا - الطبعة العربية - رئيس التحرير د. حسين الشافعي .

- الأرشيف الخاص بتراث الشيخ محمد عياد الطنطاوى - الدكتور حسين الشافعي .

- الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر - تأليف فولتير - تقديم د.حسين الشافعي - تحقيق د. محمد صبري الدالي - إصدار دار الكتب والوثائق القومية - 2013 .

- من تراث الشيخ محمد عيّاد الطنطاوي - د.حسين الشافعي - الناشر دار نشر أنباء روسيا - 2013 .

- مذكرات حرب أكتوبر - للفريق سعد الدين الشاذلي - الناشر دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية - الطبعة الرابعة - سان فرانسيسكو - 2003 .

- شهادات موثقة بمركز تاريخ مصر المعاصر بدار الكتب والوثائق المصرية - عن حرب أكتوبر 1973 .

الفهرس

العنـــوان	رقم الصفحة
تقديم .. سفير روسيا الإتحادية بالقاهرة .... سيرجي كربيتشينكو .	5
مسيرة الدم والبناء .. سفير جمهورية مصر العربية .... محمود الديب .	7
مقدمة .. 70 عاماً علاقات دبلوماسية .... د.حسين الشافعى .	9
النحاس باشا يراسل القادة السوفيت عبر سفيرهم بلندن .	19
المراكز الروسية للثقافة والعلوم بالقاهرة والإسكندرية جسر التواصل الثقافي الشعبي .... ألكسندر بالينكو .	27
الذكرى السبعين لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وروسيا .... فلاديمير بيلياكوف .	31
في الذكرى 70 لاستعادة العلاقات الدبلوماسية بين روسيا ومصر .... جينادي جارياتشكين .	41
العلاقات المصرية الروسية - شراكة الماضي في ثوب المستقبل .... د. نورهان الشيخ .	47
العلاقات المصرية الروسية ما قبل 1943	63
- قصة كتاب الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر	65
- الشيخ محمد عياد الطنطاوي أول معلم للعربية في الإمبراطورية الروسية .	73
- الإمام المصلح محمد عبده لتولستوي	79
- رؤية الآخر في إطار الأدب والرحلة .... أ.د. محمد صبري الدالي .	81
من أرشيف الخارجية الروسية .	93
- الوالي محمد علي يطلب العون الروسي لاستخراج الذهب .	97
- رؤية روسية للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مصر عام 1881.	101
- تقييم العلاقات التجارية بين روسيا ومصر آواخر القرن التاسع عشر .	117
- 156 عاماً على ميلاد آخر قناصل الإمبراطورية الروسية (ألكسي سميرنوف) .	127
- التعاون العلمى والثقافي بين روسيا ومصر في بدايات القرن العشرين .	131
70 عاماً علاقات دبلوماسية - جاجارين والفضاء	135
- جاورجيوس العظيم .. 110 دقائق قلبت الدنيا .	137
- أحمد الخميسي يتذكر .. انطباعات كاتب مصري عن رحلة أول رائد فضاء إلى رحاب الكون .	141
- مصر تراقب انفصال كبسولة رواد الفضاء بالمركبة سيوز .	145

السد العالي	**153**
- قصة بناء الهرم الرابع ... السد العالي .	155
- خطاب الرئيس جمال عبد الناصر أثناء الاحتفال بتحويل مجرى لنيل .	169
- مقتطفات من خطاب الرئيس أنور السادات في المؤتمر الشعبي بأسوان .	175
- شهادات عن السد .	177
- السد العالي في أرقام .	181
- التسلسل التاريخي لعبد الناصر والسد العالي	185
التعاون السوفيتي في المجال الحربي - حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر 73	**197**
- حرب الاستنزاف .. ودور الإتحاد السوفيتي .	199
- دور الإتحاد السوفيتي في بناء الدفاع الجوي المصري .	205
- الإمدادات العسكرية السوفيتية خلال حرب أكتوبر .	209
- ذكريات خاصة لا تنسى .. الفريق الشاذلي يتذكر قصة الإنذار السوفيتي .	213
- شهادة من قلب الأحداث .... **لواء طريف عاصم الششتاوي** .	215
دور علماء الآثار الروس في ازدهار علم المصريات	**217**
- فلاديمير جولينيشيف .. عالم المصريات الروسي .	219
- صحراء الفيوم ذاخرة بالآثار .. والبعثة الروسية تستكمل أعمالها .	223
- منف .. العاصمة المصرية القديمة - أكاديمية العلوم الروسية تنقب عن أثار مهمة بمنف	229
ملف مصور - للعلاقات الدبلوماسية المصرية الروسية	**233**
ملف وثائقي - للعلاقات الدبلوماسية المصرية الروسية	**245**
التعاون المصري السوفيتي في المجال النووي	**273**
- بدايات التعاون المصري .. السوفيتي في المجال النووي كانت مع السنوات الأولى للثورة .	275
- مصر تجدد تعاونها النووي مع روسيا	281
سفراء الاتحاد السوفيتي وروسيا الاتحادية بالقاهرة والسفراء المصريين بموسكو .	**285**
المراجع	**293**



الدكتور حسين الشافعى

من مواليد أكتوبر 1957

بكالوريوس هندسة المطرية - جامعة حلوان - 1982

ماجستير الهندسة - معهد بوليتيكنيك لينتجراد - 1988

دكتوراة الهندسة - معهد الطاقة بموسكو - 1991

دكتوراة العلوم - الأكاديمية الأوروبية للمعلومات ببلجيكا - 2003

يرأس تحرير مجلة أنباء روسيا - منذ 2006 ، علاوة على رئاسة تحرير مجلة "الفضاء الروسي"، وكازاخستان اليوم .

يرعى مشروعاً لجمع المخطوطات العربية ببلدان الاتحاد السوفيتى السابق .

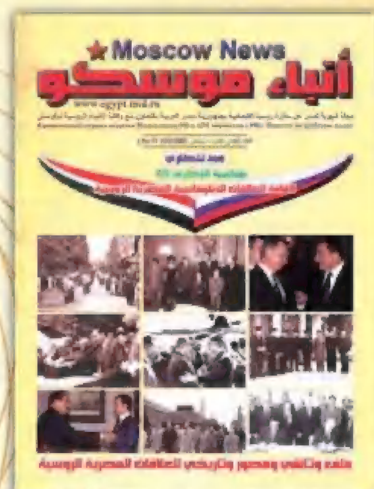
أصدر عشرات من الكتب الأدبية ، والفنية المترجمة عن أدباء سوفيت وروس للعربية .

ترجم أكثر من مائة كتاب من اللغات الروسية والأوكرانية إلى الإنجليزية في موضوعات " علوم وتكنولوجيا وتطبيقات الفضاء " و " المواد والتكنولوجيات الجديدة".

يعمل مستشاراً لوكالة الفضاء الروسية للشرق الأوسط ، ولعديد من المؤسسات الصناعية الروسية - الأوكرانية - البيللاروسية - وغيرها ، ويشارك في عدد من المشروعات الإستراتيجية لهذه البلدان بالشرق الأوسط .


من إصدارات دار نشر أنباء روسيا


مجلات ..


Moscow News
أنباء موسكو




أنباء روسيا


أنباء روسيا
العام السابع
وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف الشعب المصري قال كلمته وموسكو تحترم خياراته
حاملة طائرات روسية تعمل بالطاقة الذرية


أنباء روسيا
الشرق العربي يمكن أن يغير العالم


أنباء روسيا
عيد النصر
9 مايو
الذكرى 66 للانتصار على النازية


أنباء روسيا
عدد خاص
25 يناير
ثورة شعب


أنباء روسيا
6 سنوات
45


أنباء روسيا
OSCE
5 سنوات


أنباء روسيا
SOCHI 2014
120



Страницы из истории египетских - российскоотношений

Посвящен 70-летию установления дипломатических отношений

д-р Хуссейн Эль-Шафи

Главный редактор изд-ва

«Российские новости»

Каир - 2013

Издательство



Главный редактор изд-ва
«Российские новости»

д-р Хуссейн Эль-Шафи

h.elshafie57@mail.ru

Адрес

Каир, г. Убур.
44971, Ассоциация Ахмед
Ораби - п.я. 72

Тел. и Факс: + (202) 24 77 38 70 & 71

E-mail: secertary_ert@yahoo.com

Типография

Advanced Press House

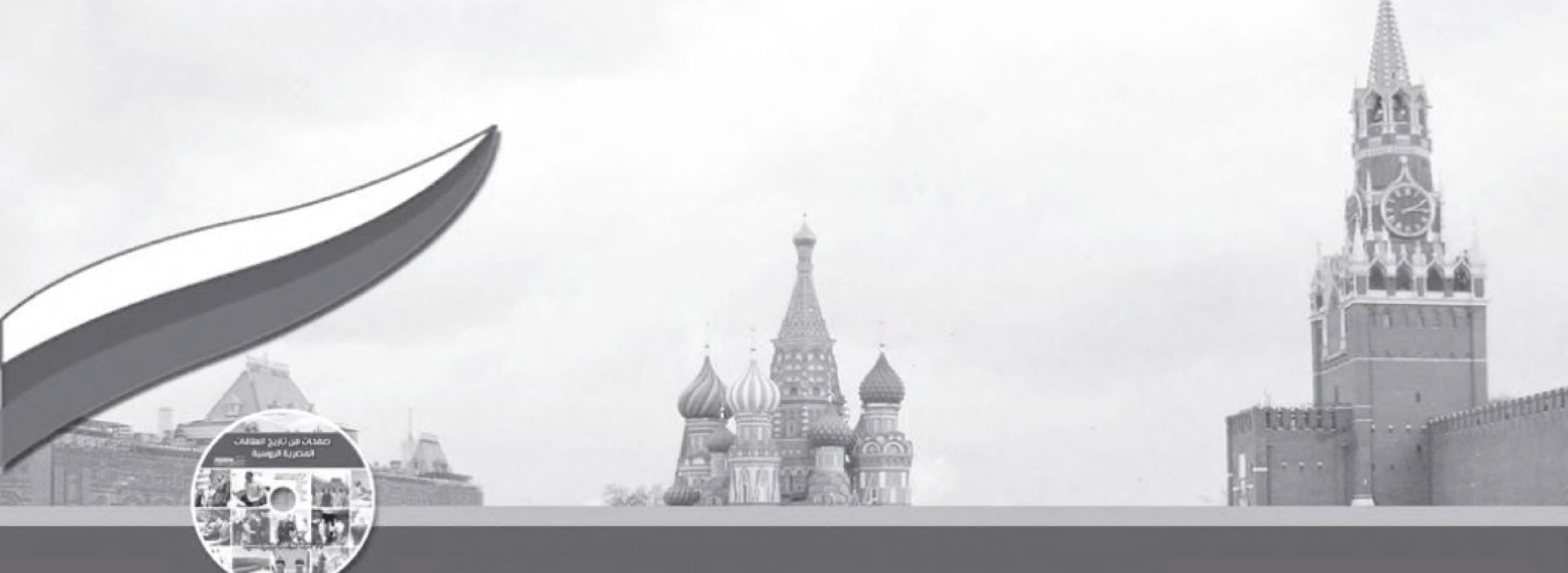
Каир, г. Убур.

Тел. и Факс: + (202) 4478 96 44 & 46

Издание первое

2013 г.

2013 / 10094



Страницы из истории египетских - российско отношений

Посвящен 70-летию установления дипломатических отношений

















دار نشر



д-р Хуссейн Эль-Шафи
Главный редактор изд–ва
«Российские новости»